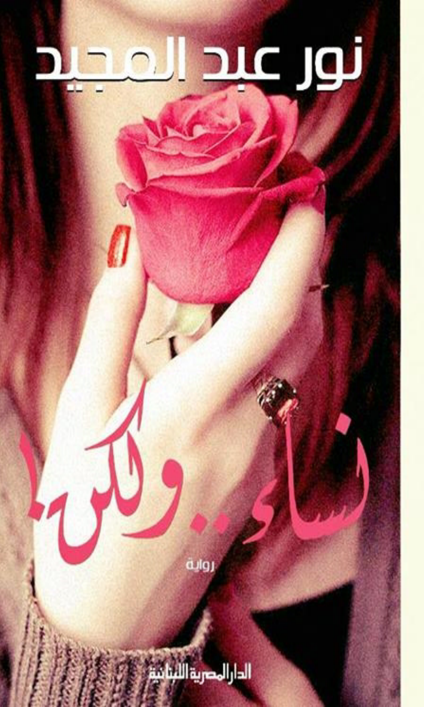


نور عبد المجيد
نساء ولكن
الدار المصرية اللبنانية

نساء.. ولكن!



نساء.. ولكن!

رواية

تأليف

نور عبد المجيد



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
1430 هـ - 2009 م

ردمك 978-9953-87-671-9



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL
عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

إهـــداء

إلى ابنى «نور» الذى يضمّنى دوماً فى حنان كبير..

إلى نور الذى أنظر دومـاً إلى ذراعـيـه الصـغـيـرين وأتمنى أن أحـيـا حـتى تصـبـحـا ذراعـين قـويين لأرمى بينهما بكل شوقى وحاجتى إلى الدفء والأمان!!

إلى ابنـى «كـريم» الذى بكى يومـاً وأنا فى طريقى إلى رحلة قصيرة وعندما أخبرته أننى سأحضر له اللعبة التى يحلم بهـا ضـمّنى فى حنان ثم قـال أنه أبداً لن يطلب لعبة طوال حياته فقط إن بقيت ولم أسافر!!

إلى كـريم الذى أعلم أن ألف امـرأة أكثـر منى جـمـالاً وشبـاباً سـتقع فى هـواه قـريبـاً وأتمنى أن يذكـر عندها أننى سأبقى وحدى من تحبه أكثر!!

إلى نور وكريم.

حلّى وترحـالى دومـاً من أجلهـمـا ومن أجل هـذا الحب الكبير الذى أحيا به وعليه!!



إهــــداء

إلى هيفاء وغادة..

إلى من علمتنى إعاقتهما كيف يكون الصفاء والسواء..

إلى من أرتنى إعاقتهما وجوه كثيرة عارية بلا أقنعة.

وكان حبيبى دوماً يوصينى بهما خيراً.. كان حبيبى يظننى سندهما فى الحياة.. وإذا الأيام تقول كلمتها لتصبحا هما سندى الكبير!!

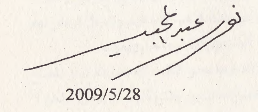
مقدمة..

أؤمن أنا أن المرأة عندما تتحول إلى أم تصبح جنساً ثالثاً لا هو رجل ولا هو امرأة!!

الجنس الثالث أكثر رحمة وحباً وصفحاً وعطاء..

الجنس الثالث يزهد الكثير مما يلهث وراءه الجنس الأول والثانى من البشر..

رائع حقاً أن تصبح من الجنس الثالث لكنه صعب.. صعب جداً!!



2009/5/28



وقف الدكتور منصور أمام باب شقته ليبحث عن مفتاحها فى جيب معطفه فى هدوء.. كان يدعو الله ألا يجد أحداً عندما يدخل.. لا يريد أن يرى أحد.. لا يريد أبداً أن يراه أحد.. ثم نظر إلى أصابعه النحيلة وهى تنتفض فى محاولتها للوصول إلى ثقب الباب وأرخى عينيه.. إنه خائف.. بل هو مذعورا.. لا أحد على الأرض فوق الخوف.. لا أحد حقاً فوق الخوف.. ولا خوف كالخوف من المجهول ولا مجهول على الأرض أكثر بشاعة من الموت.. انه يموت.. «منصور دياب» يموت وها هو يقف أمام بيته عاجزاً عن الدخول إليه.. عاجز حتى عن أن يقف بأصابعه أمام ثقب الباب.. وعاد بظهره إلى الخلف قليلاً لتسقط من عينيه دمعة صغيرة أطلت بعدها ابتسامة مريرة على شفتيه.. كانت دموعه إذن هى التى تقفف بين عينيه وثقب المفتاح.. ورفع رأسه فى هدوء ليحاول أن يشحذ ما استطاع من قوته.. كان يكفى أن يتذكر من يسكنون خلف هذا الباب ليصبح أكثر قوة.. لا وقت لديه للدموع.. لا وقت حتى للخوف.. ما بقى من الوقت بالكاد يكفى لأن يرتب منصور أوراقه.. لأن يملأ قلبه ورئتيه من حبهم.. لأن يملأ رؤوسهم الصغيرة بذكريات حب أخيرة قبل أن يرحل.. يجب أن يفتح الباب ويدخل.. يجب أن يضع المفتاح اللعين فى هذا الثقب الصغير ويدخل ليعلن لهم فى قوة وهدوء أنه سيموت.. أنه سيتركهم وحدهم ويموت..

استدار من جديد ليصوب أصابعه نحو الثقب الصغير ثم أدار المفتاح فى هدوء يهدر صوته بين ضلوع منصور وفتح الباب.. دخل.. لكن لا فائدة مازال خائفاً.. مازال بحاجة لبعض الوقت ليلملم نفسه وأسرع بخطواته ليدخل إلى غرفته.. لِمَ لم تكن غرفته هى الأولى؟! لِمَ يجب عليه أن يمر على غرفتى سميحة ورباب؟!



لماذا يجب أن يمر بجوار المطبخ؟! لماذا لم تكن غرفته هى الأولى فى ردهة غرف النوم؟! لو كان يعلم أن هذه اللحظة ستولد فى حياته لعرف أن يختار.. لعرف أن يختار أشياء أخرى كثيرة ما كان يجب أن يختارها يوماً، ودق قلبه عندما مرَّ بجوار غرفة سميحة.. كان بابها مفتوحاً وكنعامة حمقاء أغمض عينيه حتى لا تراه إن كانت بداخلها، وأسرع يخطو نحو باب غرفته يغلقه خلفه فى هدوء واستند على الباب ثم أغمض عينيه لتسقط دمعة أخرى صغيرة، وانتفض جسده النحيل وهو يسمع صوتاً يسأله من خلف الباب قائلاً:

دكتور منصور.. حضرتك رجعت؟!

فتح عينيه ورفع رأسه ليقول فى صوته الهادئ:

اعمليلى قهوة يا أم سعيد من فضلك..

ثم عاد يتجول بعينيه فى غرفته.. إنها أكبر غرفة فى هذا المنزل، بها شرفة كبيرة تطل على شارع المساحة.. يحلو له الجلوس بها كثيراً فى صباح الشتاء ليطل على كشك الزهور القابع على الرصيف المقابل لها.. ويحلو له السهر فيها فى ليالى الصيف ليستمتع بالنسمات القادمة من النيل القريب.

وبجوار الشرفة فراشه الذى لم يتغير منذ ثلاثين عاماً منذ تزوج نوال.. وعلى أحد جانبى السرير هذا البرفان الكبير الذى ارتسمت عليه نقوش يدوية جميلة لتفصل بين سريره وباقى الغرفة حيث وضع مكتباً كبيراً خلفه مكتبة كبيرة تغطى باقى الحائط بأكمله، وعاد ينظر إلى عشرات الكتب.. وأغمض عينيه وهو يحاول أن يتذكر كل كتاب قرأه.. ترى هل يوجد فى داخل أى كتاب سطر.. كلمة أو حتى حرف واحد يعلمه كيف يكون أكثر قوة فى لحظة كهذه..



وعاد يبتسم وهو يسأل نفسه.. ترى ماذا يصنعون بغرفته بعد أن يموت؟!

وتحرك فى هدوء.. هو الذى يجب أن يساعد سميحة على أن تعلم ماذا تفعل فى غرفته بل وفى حياتها وحياة رباب بعده.. كفاه سخافة.. كفاه طفولية وحماقة.. إن كان لابد من الموت فلابد أيضاً من الإعداد له.

وخلع معطفه ودخل فى هدوء إلى حمام غرفته ليخرج مرتدياً بيجامته الزرقاء التى يحبها ثم وقف يصلى الظهر كعادته وشعر بها تدخل الغرفة ليتنهد كأنه يشكر الله الذى أرسلها وهو يصلى لئلا تسأله أو يجيبها، وقالت فى صوتها الحنون:

القهوة يا منصور بيه..

وانتهى منصور من صلاته ليجلس على مكتبه فى هدوء يرتشف من فنجانه الخاص به وأخرج ورقة وقلماً ليكتب «سميحة ورباب»، وعندما حاول أن يعود بالقلم لم يستطع.. هناك اسم آخر يجب أن يكتبه.. كتب نوال ووضع حول الاسم دائرة أخذ ينظر إليها فى هدوء ومرارة، وبعد لحظات من التفكير التقط سماعة الهاتف الموضوع على مكتبه وطلب رقمها الخاص.. إنه لا ينساه أبداً رغم أنه لم يحادثها سوى مرة واحدة منذ عدة أعوام.. وتخيلها وهى تنظر إلى شاشة محمولها فى دهشة تسأل ماذا يريد؟!

هذه المرة نوال لن تجيب.. يعلم أنها لن تجيب لكنها فتحت الخط وسمع صوتها الهادئ الذى يحاول أن يخبئ دهشة وخوفاً يشعر بهما منصور لتقول:

آلو؟!



وانتفض قلبه.. انه يحبها.. سيموت وهو يحبها، وقال محاولاً أن يخرج صوته بلا لون:

نوال.. أنا عايز أشوفك ضرورى..

وقالت فى هدوء:

إيه؟!! حد من البنات جراله حاجة؟!

وأجاب وقد بدأ صوته يخبو قليلاً:

لا يانوال.. بس حيجرالهم حاجة..

مرت لحظات صمت كأن نوال تفكر فى معنى ما قال غير أن منصور لم يترك حيرتها تطول فقال فى هدوء:

أنا عندى سرطان فى الكبد.. الحالة متأخرة جداً لأنه منتشر فى الكبد كله.. نوال.. رباب.. رباب.. رباب.. لازم نتقابل.. لو حبيتى أنا أستأذن طاهر أستأذنه.. رباب يا نوال رباب.. اتخليتى عنها مرة زمان لكن أنا كنت موجود.. بس دلوقتى مين.. مين غيرك.. لازم نحاول نرتب حياة البنات أرجوكى.

وقالت فى ذهول:

منصور؟

لكنه قاطعها وصوته ينتفض قائلاً:

منصور دياب قدامه شهر أو اثنين بالكتير ويموت.. يموت يا نوال.. منصور حمل نفسه مسئولية وحزن وغدر عشرين سنة من يوم ما مشيت وأنا شايل كل دا فى صمت وسكوت كان لازم الكبد يتسرطن.. عارفة كمان إيه اللى سرطنه.. مش بس الوحدة والخوف والمسئولية.. ولا حتى الحزن على رباب.. اللى سرطنه شوقى وحبى ليكى يا نوال.. أيوه يا نوال أنا لسه بحبك.



والتفت بعينيه نحو سريره لتسقط دمعة ظهرت ملامحها على صوته ليكمل قائلا:

لسه يا نوال بتنامى على صدرى كل ليلة.. إزاى عايزة الكبد ما يقتلوش الشوق دا كله.. لكن كل دا دلوقت مش مهم.. المهم البنات.. المهم رباب.. سميحة لوحدها مش حتقدر.

وقاطعته نوال فى صوت يكسوه الجليد:

منصور.. أنا آسفة بس أنا حقيقى مش حاقدر أعمل أى حاجة أنا عندى جوزى وابنى.. ابنى ماجد محتاجلى.. سميحة كبرت وما بقتش صغيرة ورباب أنا من زمان قلتلك تعمل إيه معاها.. أنا آسفة يا منصور آسفة.

ووضع منصور سماعة الهاتف أمام عينيه ثم عاد يضعها على أذنيه من جديد.. لا يصدق نوال أغلقت الخط.. أغلقت الخط دون حتى كلمة تتمنى له بها الشفاء أو تمنحه الأمل.. وأعاد سماعة الهاتف إلى مكانها وخلع نظارته الصغيرة ليمسح دموعه ويرفع رأسه فى كبرياء.. لن يبكى بعد هذه اللحظة.. لن يبكى أبداً.. هناكُ أمور أهم من البكاء والنحيب عاش وسيموت وهو يرفض أن يعترف أن نوال بلا قلب.. لِمَ أخبرها أنه مازال يحبها.. لِمَ أراح قلبها.. كان يجب أن يموت ويتركها وهى لا تعلم، إن كان يلعنها أو يصلى من أجلها كل يوم.. كان يجب أن يموت ليتركها فى حيرة، ولكن من ذاك الذى يقول إن نوال لا تعلم أنه يحبها.. نوال هى أكثر من يعلم أنه يذوب فيها حباً وشوقاً.. لو كان يعلم أن يوماً كهذا سيأتى لسحق قلبه بحذائه وما تزوجها أبداً.. لو كان يعلم؟! ربما من أجل هذا اقتضت رحمة الله ألا يعلم أحد متى يموت.. لو عرف كل إنسان أنه يموت لانتصبت خطاياه أمام عينيه كما



يرى هو الآن خطيئة عمره الكبرى.. خطيئة منصور دياب أنه أحب وتزوج امرأة بلا قلب.

■ ■ ■



لوح أحمد بيده من خلف زجاج استديوهات ماسبيرو لتعلم سميحة أن كل شىء على مايرام.. وخلعت سماعات التسجيل فى هدوء لتحمل حقيبتها السوداء الصغيرة استعداداً لمغادرة المكان.. ووقف أحمد مُعّد البرنامج يرقبها من خلف الزجاج السميك الذى يفصل بينهما.. إنها جميلة شعرها الطويل الذى يقف عند أول ظهرها فى سمك واحد كان يرقص حول جسدها.. انه يعشق شعرها الكستنائى الذى يشعر دوماً أنه كان فى طريقه إلى أن يكون أشقر لكنه فى اللحظة الأخيرة وقع فى غرام حبة بندق صغيرة فقرر أن يصبح فى لونها.. عينا سميحة أيضاً عشقتا قارورة عسل صافية فسقطتا فيها لتخرج بلون العسل وصفائه.. حاجباها يرتسمان فوق عينيها فى كثافة مقبولة جميلة تعلن أنها أبداً لم ولن تحتاج إلى تشذيب.. أنف سميحة جميل صغير حتى أن أحمد يتساءل دوماً كيف تتنفس منه سميحة ولكن أسفل هذا الأنف الصغير شفاه ممتلئة مستديرة لها ابتسامة رائعة تضع على الوجه الأبيض المستدير ألف شعلة تثير فى كل من ينظر إليه الغيرة والحسد.. غير أن سميحة لا تبتسم إلا نادراً.. رغم رقتها رغم صوتها الهادئ الجميل الذى كان وحده من أكبر أسباب قبولها للعمل فى إذاعة الشرق الأوسط فى برنامجها الناجح معه وفى برنامج آخر تقدمه سميحة على الهواء مرتين أسبوعياً.. رغم أن كل من سمع صوتها أحبها.. إلا أن سميحة لا تبخل بشىء قدر ما تبخل بابتساماتها وكلماتها.

وتنهد أحمد وهو يراها تنحنى لتلتقط شيئاً ما سقط منها وهى فى طريقها إلى الباب.. إن جسدها رائع.. إنها امرأة كاملة رغم أعوامها السبع والعشرين.. صدرها المستدير الممتلئ.. خصرها النحيل..

أردافها المستديرة.. ساقاها.. كل شيء في سميحة جميل مثير.. ربما كانت قصيرة بعض الشيء ولكن قصرها أيضاً يجعلك تشعر أنها قطعة صغيرة من السكر باستطاعتك أن تضعها بين شفتيك لتأكلها في قضمة واحدة.. وفتحت سميحة الباب ونظرت إليه ثم قالت بصوتها الرائع الجاد:

احنا كدا عندنا سبع حلقات جاهزين يا أحمد... يعني ممكن نتقابل كمان أسبوعين.

ومضت ليلحق بها أحمد في هدوء ويقف إلى جوارها في مصعد مبنى الإذاعة والتليفزيون ثم عاد يقول وهما يغادران بوابة المبنى:

سميحة.. معاكي عربيتك؟!

لقد تمنى أن تخبره أنها جاءت بدونها لكي يدعوها إلى سيارته ولكن عندما هزت رأسها بالإيجاب قال دون تفكير:

طيب ممكن توصليني لحد ميدان الدقي معاكي؟!

وابتسمت ابتسامة صغيرة وهي تقف أمامه لتقول:

أنا مش رايحة الدقي يا أحمد وبعدين أنت عربيتك معاك..

وأطلق أحمد تنهيدة كبيرة قال بعدها:

سميحة.. فيه حد في حياتك؟! لو فيه حد أوعدك إني أبطل..

وقاطعته سميحة بذات الهدوء بذات الابتسامة دون رنة غضب أو ضيق قائلة:

أحمد انت عارف كام واحدة في المبنى دا تتمنى منك كلمة واحدة؟!

وقال في لهفة صادقة:

انا مابتمناش غيرك يا سميحة.

لكنها مدت كفها الأبيض الصغير لتصافحه قائلة:



لو يوم فكرت أحب صدقنى مش حافكر فى حد غيرك.. لكن أنا.. أنا عندى ظروف تمنعنى من الحب والجواز يا أحمد.. أرجوك ما تتكلمش فى الموضوع دا تانى.. اتفقنا!

وهز رأسه كأنه طفل صغير تعرض لتأنيب أمه واحتضن كفها بين أصابعه وانطلق يخطو بعدها نحو سيارته وهو يفكر ما الذى يمنع شابة جميلة ناجحة مثل سميحة دياب ابنة دكتور دياب أحد أساتذة كلية الأعلام الكبار من الحب والزواج.. ما الذى يجعلها دوماً تتحدث وتخطو كامرأة على مشارف الخمسين.. لماذا تعتقل سميحة نفسها خلف جدار من الهدوء والجدية إلى هذا الحد.. لماذا لا تنطلق وتضحك وتثرثر وتشعل الدنيا بهجة مثل كل من هم فى سنها..

أى ظروف هذه التى تجعلها لا ترى كم يحبها أحمد زهدى الذى تتمناه أجمل وأغنى فتيات مصر.

لقد حاول معها كثيراً.. عام كامل وهما يعملان معاً فى برنامجهما الناجح «قصائد وأنغام» عام وهو يحاول.. عام وهى تصده فى هدوء وجمود لكنه يحبها ويعلم أن هناك آخرين يحبونها لكن سميحة معهم هى سميحة معه.. لا شىء أكثر من كلمات رقيقة لا تجرح أحداً واعتذارات هادئة لا معنى واضح لها.. لا أحد فى هذا المبنى الكبير رجلاً كان أو امرأة يعرف عن سميحة شيئاً.. لم تقبل يوماً دعوة أحد من زملائها أو حتى رؤسائها ولم تدعو يوماً أحداً حتى إلى كوب شاى فى كافيتريا المبنى.. لكن الجميع يحبها ويحترمها.. انها تحترم الساعى كما تحترم الرئيس.. لا تبخل بنصيحة أو مساعدة.. لكن هى دوماً تتحرك وحولها هذا السياج الكبير.. لماذا تختلف سميحة عن كل فتيات عمرها رغم أنها أكثرهن جمالاً ونجاحاً ونقاءً.



وفتح أحمد سيارته «الباسات» وتنهد من يدرى؟! ربما لو لم تختلف سميحة لما عشقها هو بهذا الجنون!

■ ■ ■



فتحت سميحة باب سيارتها «الكورسا» الحمراء وجلست فى هدوء لتمد أصابعها وتلتقط سيجارة من حقيبتها لتشعلها وهى تنظر فى المرآة.. هل تبعها أحمد.. هل جاء خلفها.. ليته يتبعها.. ليته يقتحم سيارتها الآن.. ليته يمسك بذراعيها فى قوة وقسوة.. ليته حقاً يأخذها بين ذراعيه ويقبلها قبلة طويلة.. وخرجت منها آهة صغيرة كأنها امرأة طال حرمانها.. ثم مالت برأسها إلى الخلف فى عنف كأنها تلوم نفسها.. كأنها تلعنها.. لِمَ تعذبها.. لِمَ تحرمها.. لِمَ لا تستسلم إلى أحمد.. هى أيضاً تريده.. إنه حنون.. طيب.. قوى.. ناجح.. متزن رغم انطلاقه.. رزين رغم مرحه.. إنه الرجل الذى تبحث عنه وتتمناه.. لِمَ تهرب.. وعادت تنظر إلى المرآة الصغيرة فى دهشة وكأنها تسأل من أنت؟! إنها حقاً لا تعلم من هذه الشابة ذات القناع الجليدى التى تراها.. إنها حتى لا تعلم صوت من هذا الذى يخرج إن تحدثت.. إنها لاتعلم أبداً من هذه التى تحادث رجالاً ونساء فى الخمسين وكأنها وحدها أكبرهم سناً وأكثرهم خبرة وتجارب.. ربما لهذا يحبها الجميع.. لهذا السبب يثق فيها الكل ويلقى الكبير والصغير بمشاكلهم وهمومهم بين ذراعيها وهى دوماً تصغى باهتمام وتنصح بإخلاص وتتابع بحب أم ووفاء صديق كهؤلاء الذين نقرأ عنهم فى الأساطير القديمة.. قد يكون كل هذا رائعاً جميلاً لكن من قال إنها به سعيدة؟!

إنها تريد سميحة.. سميحة التى تختبئ تحت جلدها الأبيض الرقيق.. تريد سميحة التى كانت تدوى ضحكتها عالية لتدير الرؤوس وتثير القلوب والاجساد.. لِمَ دفنت تلك السميحة.. لِمَ؟!.. لقد حاولت كثيراً أن تخرجها.. أن تعيدها.. فى الأسبوع الماضى وفى طريقها إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون ارتدت چوب سوداء ضيقة تقف فوق ركبتيها



ليظهر جمال فخذيها إن جلست من خلف الجوارب السوداء الشفافة.. ارتدت يومها «توب توب» وردياً ووضعت فوقه بلوفر فى لون سحاب أوشك على الانهيار فى أمطار غزيرة وتركت أزراره الثلاثة الأولى مفتوحة ليطل صدرها من خلفه.. آه من صدرها.. تعلم كم هو جميل أرادت يومها أن يراها أحمد كما لم يرها من قبل.. أرادت أن ترى هى أيضاً سميحة التى تحبها.. سميحة التى تفتقدها.. سميحة الحقيقية عاقلة كانت أو مجنونة.. تلك الرائعة المثيرة.. حاولت إذن.. حاولت يومها بصدق لكن ما استطاعت أن تصل بمظهرها هذا إلى هنا.. عادت من منتصف كوبرى أكتوبر.. عادت إلى شارع المساحة وبدّلت ملابسها لترتدى البنطلون الأسود مع بلوفر آخر فى لون سحاب باهت ميت لا يحمل أمطاراً ولا يثير رياحاً.. عادت لتكون «ماما سميحة»..

وهزت كتفيها فى يأس ثم وضعت مفتاح السيارة فى مكانه لتدير المحرك لكنها لم تدره بل عادت تنظر إلى المرآة من جديد كأنها تود لو تصرخ وتوقظ سميحة.. تريد أن تحب وتحيا.. تريد أن ترقص أن تغنى.. تريد أن تتأبط ذراع أحمد زهدى وتسير معه على الكورنيش.. تريد أن يأخذها بسيارته إلى المقطم.. تريد أن يقف بها فى مكان هادئ ويمسك يدها ويحتويها بين ذراعيه ويقبلها قبلة طويلة.. تريد أن تفعل ما تفعله كل البنات.. أن تفعل ما كانت هى نفسها تفعله منذ أعوام مع «عمرو». لا.. قصتها مع عمرو كانت أكثر من قبلة على كورنيش المقطم.. قصتها مع عمرو هى الرحم الذى تكونت فيه «ماما سميحة».. قصتها مع عمرو هى الفرشاة التى لونت قلبها وجسدها بلون الجليد الأبيض.. عمرو.. ثلاث سنوات من الحب والعشق.. ثلاث سنوات من الحياة والانطلاق.. التقته وهى فى الجامعة. زميلها فى



اعلام القاهرة.. ومنذ اللحظة التى رأت فيها عينيه علمت أنه حب العمر.. لقد أصبح اسمها سميحة عمرو وأصبح اسمه عمرو سميحة.. عاشت معه سميحة محاضرات.. حباً وأحلاماً.. عاشت معه عيوناً مغلقة وعيوناً أخرى مفتوحة ترى كل شىء بوضوح.. بعد أن ينتهيا من الجامعة سيعلنان الخطبة.. وقبل نهاية عام على الخطبة ستنتقل سميحة معه إلى شقته التى يملكها فى «جاردن سيتى» الشقة التى ورثها عن جدته.. لقد اتفقا على ديكوراتها.. ألوانها.. ستائرها.. سيتخلصان من كل هذا الأثاث القديم بها.. ستحتفظ سميحة فقط بهذا «البيانو» الرائع لتعزف عليه أجمل موسيقى لأجمل أيام.. بل ستعزف عليه الأغانى ليوسف وملك.. ابنيها من عمرو.. يوسف عمرو وملك عمرو.. ملك أصغر من يوسف بثلاثة أعوام.. يوسف أسمر شعره مجعد كشعر عمرو، أما ملك فهى فى جمالها غير أن عينيها ستكون خضراء.. جدة عمرو كانت عيناها خضراء.. كل شىء تراه.. كل شىء تعرفه بل كانت تعرف أول كلمة سيقولها يوسف أول كلمة سيقولها ليست ككل الأطفال.. أول كلمة سينطقها هى كلمة «دياب» لأن عمرو يقول كل يوم اسم دكتور دياب ألف مرة. عمرو ككل طلبة إعلام يعشقون دكتور دياب والدها. ولكن عمرو جابر وحده يعشق دكتور دياب وابنته معاً حتى الدكتور دياب كان يحب عمرو.. كان سعيداً به.. كان يبارك حبهما وينتظر لحظة تخرجهما ولحظة ارتباطهما.. عمرو هو الابن الوحيد للمرحوم المستشار جابر عبدالحميد رئيس محكمة النقض السابق والوريث الوحيد لثروته الكبيرة وسمعته الطيبة، وأمه من أكبر وأشهر محاميات مصر فى الأحوال الشخصية.

عمرو أخبرها أنه لن يخبر أمه عن سميحة إلا بعد التخرج لو عرفت

الاستاذة نادية بقصة حبهما ستضيق عليه الحصار خوفاً على دراسته وهو يريد أن يكون حراً يحيا مع سميحة وينطلق معها وبها حتى يتخرجا.. لقد وافقته سميحة على ذلك.. لم تتعجل لقاءها أبداً كانت تعلم أنها ستلتقى بها وأنها ستصبح جزءاً من أيامها.. أحبتها.. كانت تنتظر مرور الأعوام لتصبح الأستاذة نادية أمها، لم يكن ينقص سميحة شيئاً أبداً سوى الأم ونادية ستصبح أمها!!..

فتحت سميحة عينيها ومدت أصابعها لتفتح نافذة سيارتها ثم اشعلت سيجارة أخرى.. مازالت لا تريد أن تتحرك من مكانها.. مازالت تنظر فى مرآة سيارتها الجانبية علَّ أحمد يظهر.. علّه يمر بسيارته من جوارها ويقف ليأتى ويدخل إلى جوارها أو ربما يفتح باب سيارتها.. كان عمرو يفعلها كثيراً.. كانت إذا غضبت منه ودخلت سيارتها ركض خلفها وأخرجها منها بالقوة وإن رفضت السير معه حملها أو هددها بتقبيلها أمام كل الطلبة والأساتذة فى موقف سيارات إعلام.. لقد قالت له ذات مرة أنه لن يجرؤ على فعلها.. فهو يعلم أن الدكتور دياب قد يعلم أن عمرو جابر قبَّلها فى الحرم الجامعى لكنه لم يبالى فتح باب سيارتها وأخرجها وعاد بذراعيها إلى ظهرها ليمسك بيديها الاثنين معاً بكف واحد ويحتضنها بذراعه الآخر وقيد شفتيها بين شفتيه.. لم تستطع سميحة الافلات يومها.. لم تعتقد أبداً أنه من الممكن أن يقيدها رجل بين شفتيه.. لم تتخيل لحظة ان امرأة ما ضعيفة كانت أو قوية لا تستطيع الإفلات بشفتيها من بين شفتى رجل ولكن ربما لم تكن هى تريد الإفلات منهما.. شفتيه!؟ آه من شفتى عمرو.. ترى هل كل القبلات لها طعم واحد.. عمرو كان يقسم لها دوماً أن لشفتيها مذاقاً فريداً وأن لجلدها رائحة غير نساء الأرض



جميعاً.. كانت تعلم أن عمرو مر بشفتيه فى مرحلة الثانوى وأول أعوامه فى الكلية بعشرات الشفاه والأجساد كانت تعلم وكانت تثق أن لها ولشفتيها مذاقاً غير كل النساء غير كل الشفاه.

تُرى أين هو الآن.. هل تزوج؟! وأن تزوج.. هل سكن شقة جاردن سيتى.. واقشعر جسد سميحة وهى تتذكر.. شقة جاردن سيتى.. آه منها.. هل يجرؤ عمرو على سكناها.. قبّلها فى كل ركن فيها.. رقص بها فى كل شبر منها أخذها عارية بين ذراعيه كثيراً على فراش جدته القديم... ضم صدرها بين أصابعه ألف مرة هناك.. قبّل كل قطعة فى جسدها.. حتى المطبخ لم يتركاه دون أن يتبادلا فيه القبل والأحضان.. عرفت معه كيف تشعر النساء.. كيف تذوب وتتلاشى وتشتعل الأجساد.. عرفت ورغم هذا بقيت عذراء.. وحده عمرو أراد ذلك.

كانت تعلم علم اليقين أنه زوجها.. أنها زوجته.. لهذا لم تهتم يوماً أن تبقى أو لا تبقى عذراء.. لن تكون لرجل سواه فلمَ العجلة؟! ولم يكن يهمها أيضاً إن اصبحت امرأة فهى زوجته فمم الخوف إذن؟! مرة واحدة فقط كان محموماً بها بعد عودتها من غياب أسبوع قضته فى الإسكندرية مع والدها.. مرة واحدة شعرت أنه لا يستطيع الوقوف عند ذاك الخط الذى رسمه.. لقد ضمّته يومها.. ضمّته كأنها تخبره أن يفعل بها ما شاء.. لا تريده أن يتعذب.. لا تريده أن يقاوم.. لا تنسى أبداً أنه فتح عينيه وهى عارية بين ذراعيه كأنه يستأذنها لكن رغم أنها ابتسمت فى وجهه وهزت رأسها فى خجل كأنها تعلن موافقتها وقناعتها بما يحدث ابتعد عنها فى هدوء ووضع رأسه على صدرها العارى تحت جسده وقال فى صوت لا تنساه:

افرضى وأنا نازل مروح عملت حادثة ومت يا سميحة تعملى إيه؟!

وتقولى إيه للدكتور دياب.. احنا مستعجلين ليه كلها سنة ونتخرج.. سنة وأفضل جواكى يا سميحة ليل ونهار..

ثم عاد يضمها فى حنان وحب.. آه من الحب والحنان.. نتعذب بدونهما ونتعذب أكثر بهما.

وعادت سميحة تدق رأسها فى مسند سيارتها الكورسا تريد أن تفيق.. تريد أن ترحم نفسها من الذكريات.. إنها لا تنتظر مرور أحمد زهدى من جوارها ولكنها تحتاج أن تتحرر من سياط ذكرياتها اليومى مع عمرو جابر.

وأطلقت آهة قوية مزقت صدرها.. قتلها عمرو جابر.. قتلها.. انتهت السنة.. تخرج عمرو وحصل على تقدير جيد جداً ورشحه دكتور دياب لأن يكون معيداً بل أصبح بالفعل معيداً.

واقترب اليوم.. اقترب اليوم الذى رسماه على مدى ثلاثة أعوام ونصف.. اليوم الذى وقفت فيه أم سعيد تطلق زغرودة وهى تبكى فرحاً وتردد «كبرت بنتى.. كبرت والله والنهاردة خطوبتها عقبالك يا سعيد يابنى عقبالك».

وعادت سميحة تدق رأسها على مسند السيارة فى قوة أكبر.. إلا تلك الليلة.. إلا تلك الليلة لا تريد أن تتذكرها..

وعادت سميحة تعتدل لتنظر إلى وجهها فى مرآة سيارتها لِمَ تهرب من ذكرى تلك الليلة.. كفاها هرباً.. يجب أن تستعيد أحداثها وتفاصيلها، ونظرت سميحة إلى النيل على يسارها ثم عادت تنظر إلى مطعم «بابريكا» على يمينها.. لقد التقيا هنا ذاك الصباح.. على هذه الطاولة التى أوقفت سميحة هذا الصباح سيارتها تحتها.. لكن فى ذاك الصباح كانا هنا.. كانا يضحكان فى جنون. كان عمرو يخبرها أنه

سيحضرها هنا فى صباح الغد بعد أن يذهبا إلى شراء الشبكة.. لقد اتفقت نادية مع «مختار عوف» الجواهرجى الخاص بها.. لقد أعد لهم ماسة تزن قيراطاً وربع قيراط وستختار سميحة غداء «المونتيرة» التى تشاء.. أما «الدبل» سميحة تريدها عريضة فهى لا تحب «الدبلة» الرفيعة، أما عمرو سيختار دبلة من الذهب الأبيض.. لا أحد منهما يحب الذهب الأصفر على أصابع رجل أو حول عنقه.

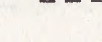
وانتفض جسد سميحة وهى تتذكر تلك اللحظة التى قال فيها عمرو:

احنا ربنا بيحبنا قوى يا سميحة.. ماما كان نفسها فى بنت وحيبقى عندها بنت وولد والدكتور دياب أكيد ما كانش نفسه تكونى وحيدة.. أكيد كان نفسه يكون عنده ابن وحيبقى عنده هو كمان بنت وابن وإيه كمان انت حيبقالك أم وأنا حيبقالى أب.. إحنا بجد محظوظين يا سميحة.. الحمد لله كل حاجة حتبقى أحلى وأجمل مما اتمنينا.. أنا معيد فى الكلية مع الدكتور دياب وانت حتشتغلى هنا فى الإذاعة جنب مكتب ماما..

لاحظ عمرو شرودها فى تلك اللحظة ووضع كفه تحت وجهها ليرفعه وينظر فى عينيها ويسألها:

مالك يا عروسة؟ انت خايفة ولا مكسوفة.. مصيبة لا تكونى مكسوفة.. بتعرفى تتكسفى يا سميحة؟!

لقد انقبض قلب سميحة لحظتها لأنها بعد ما يقارب أربعة أعوام اكتشفت للمرة الأولى أنها لم تخبر عمرو أن لديها اختاً.. أنها هناك وفى ٤٠ ب شارع المساحة وفى الدور الثانى وفى شقة رقم ٩ وفى الغرفة الأولى على اليمين هناك فتاة اسمها رباب.. رباب منصور دياب!



نظرت نوال إلى منفضة السجائر الملقاة أمام مقعدها فى عصبية.. كم سيجارة أشعلت وكم أخرى أطفأت منذ حادثها منصور.. أكثر من عشرين سيجارة.. لماذا يطاردها منصور.. لماذا لا ينساها.. لماذا يظهر دوماً فى الأوقات التى تعتقد هى فيها أنها بدأت تنسى وتصفح وتهدأ.. تنهدت ومدت يدها لتفتح علبة سجائر جديدة اشعلت منها سيجارة جديدة نفثت دخانها فى ضيق ثم وضعتها بين شفتيها لتدخل غرفة نومها بعد أن طلبت الفنجان الرابع من القهوة.. وألقت بجسدها على السرير ثم اعتدلت قليلاً لتتكئ بظهرها على بعض الوسائد ثم ألقت بالسيجارة إلى طقطوقة صغيرة من الفضة موجودة على «الكومود» الملاصق لفراشها.. وضمت ركبتيها إلى صدرها بذراعيها والقت برأسها الجميل عليها وبكت وهى تنتفض.. منصور دياب يموت..

الأحمق العنيد يموت؟! فليذق طعم الموت كما أماتها يوماً.. كم عاماً عاشت معه.. تسعة أعوام.. تسعة أعوام كاملة.. لم يشفع فيهن عاماً واحداً لها ليجعله ينفذ ما طلبته منه لتستمر حياتهما.. وهدأ بكاؤها ورفعت عينيها العسلية الجميلة لتنظر إلى مرآة دولابها أمام فراشها، كان لها معه حياة جميلة رائعة.. عامان من الحب والانطلاق.. كان يعد للماجستير فى بداية زواجهما.. كان يعود إليها من الجامعة كأنه سجين اطلقوا سراحه ليتنفس جسدها كأنها تحمل على جلدها هواء الحرية ونسمات الربيع.. ما عاد يوماً من الجامعة إلا ليأخذها بين ذراعيه ويدخل بها إلى غرفتهما ويلقى بجسدها الصغير على فراشه ويأخذها فى لهفة كبيرة ثم يهدأ على صدرها ويحكى لها عن كل ما حدث فى يومه.. هى أيضاً كانت محمومة به.. كانت تنتظر عودته كل يوم بلهفة كبرى كأنها امرأة طال شوقها إلى لمسة السجين الغائب..

كان دوماً يتركها بعد لقائهما ليعد طعلم الغداء ثم يناديها فى حنان لتضع روباً حريرياً ذهبى اللون على جسدها ويتناولا طعام الغداء معاً.. ما تركها يوماً تعد المائدة ولا ترفع أوانيها.. بعد الغداء تذهب نوال لتأخذ حمامها حتى ينتهى هو من غسل الصحون ثم يأتى ليأخذ حمامه هو الآخر ويستلقيا معاً على فراشهما يفكران كيف يقضيا باقى اليوم..

منصور يغفو ساعة أو ساعتين ثم يصحو ليقضى باقى يومه فى غرفة المكتب ليستكمل أبحاثه وأوراقه.. ونوال تعد طعام العشاء الذى غالباً ما يتناولوه مع صديقى دياب اللذان لا يفارقانه أبداً.. يتناولوه جميعاً مع كثير من النكات والتعليقات الرائعة التى ما خلا منها بيت نوال ودياب أعواماً طويلة.. حتى يوم الجمعة تذهب نوال ومنصور وصديقيه إلى السينما أو لتناول العشاء فى النادى.

ودوماً فى نهاية اليوم أياً كانت ملامحه وعدد ساعاته كان منصور يدخل إلى جوارها ليأخذ رأسها على صدره وينام.. لم يتركها ليلة واحدة تضع رأسها على وسادة غير صدره.

عندما ولدت سميحة شعرت نوال بحب منصور أكثر.. بتفانيه كان يحملها عنها كثيراً.. بل كان يقتطع من وقت أبحاثه وأوراقه ليبدّل لها ملابسها أو يهدهدها إن ضاقت نوال أو بكت مللاً من صراخ سميحة.. أخبرته أنها لا تريد مزيداً من الأطفال.. نوال تكره المسئولية.. يكفيها طفلة واحدة.. لكن الأحمق العنيد كان يبكى بين ذراعيها وهو يرجوها طفلاً آخر.. كان دوماً يكرر لها أنه لا يريد لابنته أن تنشأ كما نشأ هو وحيداً لا أخ له أو أخت.. لقد ماطلت كثيراً وهربت كثيراً.. حتى أنها كانت تبتلع أقراص منع الحمل دون علمه.. كأن شيئاً خفياً بداخلها كان



يحذرها من الطفل الثانى.. بقى الأحمق يطاردها برغبته فى طفل آخر.. أقسم لها أنه وحده سيتكفل برعايته.. أحضر لها «أم سعيد» وأخبرها أنه سيحضر خادمة أخرى ان استدعى الأمر.. كان يركض فى جنون بين رسالة الدكتوراة التى بدأ الإعداد لها وبين البيت وبين عمله فى الإعداد لبرنامجين من أنجح البرامج على القناة الثانية، وبين ذراعيها.. لم يدعها تشعر أن شيئاً تغير هو وأم سعيد يرعيان سميحة وخادمة أخرى تحضر لإعداد طعام الأسبوع.. مازالت نوال لا تعلم كيف كان منصور يتحرك بين كل هذا بكل ذاك النشاط والعزم.. كان يركض ويلهث ودوماً يعطيها هى الأولوية.. كانت ابتسامة واحدة منها تكفى لأن تشعل فيه حماساً كبيراً.. ابتسامة كانت تكفى لأن تستمر حياتهما معاً ولكن ذاك الإلحاح الكبير.. ذاك الإلحاح المستمر على طفل آخر وحده كان يؤلمها.. كان يزعجها حتى استسلمت وليتها لم تفعل.. كأن القدر شاء أن يكون إلحاح منصور الكبير وحده هو السبب فى نهاية قصتها معه.. جاءت رباب.. جاءت كما جاءت سميحة لكنها كانت أكثر طفلة رأتها حتى اليوم جمالاً.. كل الأطفال تولد بلا ملامح واضحة ورباب وحدها ولدت بملامح جميلة واضحة.. لم تشبه نوال كما جاءت سميحة تشبهها ولم تشبه منصور رغم وسامته لكنها جاءت تحمل عينين واسعتين برموش طويلة وشعراً فاحم السواد ظل على لونه حتى فارقتها نوال وهى فى الخامسة.. جاءت تحمل أنفاً دقيقاً جميلاً وشفاه صغيرة رقيقة.. لا تنسى أن الممرضة حين حملتها لها بعد الولادة قالت إنها شعرت أنه لا حاجة لهم بكتابة اسمها على أسورة ذراعها البلاستيكية فهى أجمل مولودة رأتها على مدى أعوام عملها الطويلة فى قسم الولايد.. جاءت رباب بكل ما لم تأت به الأطفال

لكنها جاءت أيضاً بدون عقل.. بعد شهر من ولادتها.. بدأ منصور يتساءل لمَ لا تتحرك.. لمَ لا تبتسم.. لمَ لا تفعل كل ما كانت تفعله سميحة فى عمرها.. وبدأت الرحلة.. رحلة طويلة من الدموع والألم.. رحلة طويلة من اللهاث خلف وهم الطب والدواء.. رحلة كانت أكبر من كل ما تحمله نوال من قوة واحتمال والنهاية رباب مصابة بـSever Mental retardation.. سيبقى جسدها يكبر ككل الأطفال وسيبقى رأسها يحمل عقلاً صغيراً لن يتجاوز عقل طفلة فى الثالثة من عمرها على أحسن الأحوال.. ستبقى رباب عاجزة عن الحديث.. عاجزة عن الفهم.. عاجزة حتى عن معرفة اسمها.. وكرهت نوال منصور.. كرهته كما لم تكره أحداً من قبل.. وحده السبب. لمَ لم يكتف بسميحة.. لمَ لم يحترم رغبتها وشعورها الدفين برفضها لطفل آخر.. لمَ فتح عليها وعلى هذه العائلة الصغيرة باباً لا يوصد من العذاب والقسوة والألم.

بكت نوال.. وبكى منصور لكن منصور بكاؤه هدأ بعد فترة وبدأ يعود لعمله وأبحاثه وأصدقائه.. وحدها نوال كانت ترى رباب كل صباح.. وحدها تراها على ذراعى أم سعيد وتتألم.. وحدها نوال كانت تسمع همسات الإشفاق وأسئلة الفضول تخترق جلدها الضعيف وتمزقه بسكين حادة ملوثة لتترك خلفها ألماً بلا حدود..

بدأت سميحة تذهب إلى المدرسة وانقطعت أم سعيد عن الحضور فى ذاك الوقت لمرض زوجها وحاجته إلى البقاء بجواره، كان منصور قد انشغل أكثر فى عمله بالجامعة والتليفزيون أو ربما كان يهرب من البقاء مع نوال التى لا تقطع عن لومه وتأنيبه وإلقاء الذنب كل الذنب عليه.. الكل مشغول.. الكل تركها وحدها مع تلك الصغيرة التى تنظر إليها نظرات زائغة لا معنى لها.. وأصبحت نوال سجينة بلا قضبان..

تُجلد كل يوم ألف مرة دون سياط.كانت تخبئ رباب إن دق الباب.. وتبكى إن خرجت من غرفتها وجاءت تجلس جوارها فى هدوء لترى نوال من جديد تلك النظرات والأسئلة التى تذبحها من الوريد إلى الوريد كادت تجن.. كادت تموت.. كان من حقها أن تنجو بنفسها.. توسلت إلى منصور.. بللت قدميه العاريتين بدموعها ألف مرة فى فراشهما وهى ترجوه إن يرسل رباب إلى جمعية للمعاقين أو أى دار ترضى التكفل بها ولو لشهور قليلة.. أخبرته أنها لا تحتمل رؤيتها.. لا تستطيع.. ألا يوجد على الأرض بشر يعجزون عن رؤية الدم؟! ألا يوجد على الأرض بشر يخافون الوقوف بأماكن عالية أو ركوب البحر أو الجو؟! لماذا لا يلومهم أحد؟! لماذا يحترم عجزهم الجميع؟! ووحدها نوال يجب أن تحتمل الحياة مع رباب والخروج بها والنوم إلى جوارها.. لأنها ابنتها.. لأنها أنجبتها؟ ولكن ما ذنبها فى هذا.. ومن قال إن رباب تدرك شيئاً من كل هذا؟! رباب تحيا فى عالم آخر لا أحد يعلمه.. عالم سيستمر إن عاشت فيه رباب مع نوال أو انتقلت به إلى ملجأ أو جمعية ما.. رباب لن تختلف حياتها فى شىء.. فحياتها بداخلها وستحمل هذه الحياة معها أينما ذهبت.. لكن نوال.. نوال حياتها فيما حولها.. نوال تشعر وتتألم وتُجلد وتُذبح فلِمَ لا يحترم عذابها.. لِمَ لا يرحمها منصور.. لِمَ ؟

ألف مرة بكت.. ألف مرة توسلت لكن الأحمق العنيد.. لم يكفه إصراره على الإنجاب لكنه يعلن فى جنون تمسكه بتلك الصغيرة.. يخبرها أنه لن يستحق الحياة ولن يقوى على النظر فى قلب مرآة إن تخلى عما وهبه الله.. كان يقول فى حماقة إن رباب هبة.. جاء معها الخير.. لقد حصل على الدكتوراة بعد مولدها.. لقد تضاعف أجره



عن كل البرامج التى يعدها.. لقد انتهى من تأليف أكثر من ثلاثة كتب فى مجال الإعلام وكلها لاقت نجاحاً كبيراً وكل هذا لأنه يرعى رباب.. رباب هبة؟.. رباب اختبار يجب أن يتجاوزه بنجاح.. الغبى.. المعتوه.. ربما ورثت رباب عنه العته ولكن بصورة أخرى.. رفض.. رفض البكاء والتوسلات.. رفض التهديدات والإنذارات.. حتى جاء اليوم الذى غادرت فيه نوال البيت دون رجعة.. شعرت يوم غادرت أنها تتنفس.. تتنفس هواء لا شفقة فيه.. لا أسئلة.. لا هرب فيه ولا اختباء.

من حقها أن تحيا.. وجود رباب أمام عينيها كان يقتلها.. يذبحها لكن منصور هو الذى ذبحها.. بعد أن يئس من اقناعها طلّقها.. طلقها دون حتى أن يخبرها.. حاولت أن تأخذ سميحة.. حاولت وأخبرته أن سميحة من حقها وحدها وأنها مازالت فى سن الحضانة، إلا أنه أخبرها أن رباب أيضاً فى سن الحضانة، فإن أرادت أن تحتضن فلتحتضن الاثنين معاً وإلا فإنه سيطاردها بالقضايا.. سيجلدها بالفضائح.. لأنها أبداً ليست أماً.. من منحها الله طفلاً وما استطاعت أن تكون له أم فهى كائن شرير يستحق النفى والإعدام..

قبلت نوال التحدى.. تركت رباب وتركت سميحة.. وبعد أعوام تزوجت طاهر وانتقلت معه إلى حياة أخرى.. حياة كتلك التى تراها على شاشات السينما.. طاهر يمتلك إحدى كبرى شركات المقاولات فى مصر لكن حتى طاهر مارس عليها الضغوط لتنجب وأنجبت ماجد وهى تعلم فى قرارة نفسها أنه لو جاء مثل رباب فطاهر بإمكانه أن يرسله إلى أحد أكبر المراكز المتخصصة ليحيا فيه.. ربما لهذا أصرت أن يولد ماجد فى أحد أكبر مستشفيات أمريكا بل بقيت معه خمسة شهور كاملة هناك حتى اطمأنت وعادت به إلى مصر لتغلق صفحة



سميحة ورباب وذاك الأحمق العنيد..

لماذا عاد منصور اليوم.. لأنه سيموت؟! فليمت.. فليمت ألف مرة.. لن تشفق عليه.. لن تغفر له، وعندما يموت لن تفكر حتى فى الترحم عليه.. وعادت تنظر إلى مرآة دولابها ترقب شعرها الأحمر القصير ووجهها الأبيض الجميل الذى رغم أعوامه التى جاوزت الخمسين مازال مثيراً جميلاً.. عادت تنظر إلى المرآة وعينا المرأة القابعة بداخلها تسألها هل هى حقاً لا تهتم بموت منصور دياب؟! هل هى حقاً لا تشتاق إلى سميحة؟! هل هى حقاً لا تريد أن تتذكر رباب.. هل حقاً استطاعت بعدهم أن تحيا وتغفر لنفسها؟!

امرأة فى المرآة تنظر إليها فى سخرية.. امرأة لا تصدقها.. امرأة تكاد نوال تكرهها كما تكره منصور دياب.. امرأة ما عادت امرأة منذ رحلت من بين ذراعى دياب والقت بزهرتين بريئتين من بين ذراعيها!

■ ■ ■



رفعت سميحة رأسها من على وسادتها لتنظر فى وجه أم سعيد بإرهاق واضح وسمعتها تقول وهى تلتقط ملابس سميحة التى القتها على حافة سريرها بعد عودتها من الإذاعة:

الغدا جاهز ياست سميحة.. انت نايمة ولا إيه؟!

نهضت سميحة من سريرها وهى تسأل:

رباب وبابا صحيوا يا أم سعيد؟!

تنهدت أم سعيد لتقول وهى تحاول أن تبتسم:

أنا صحيت رباب.. وصحيت الدكتور منصور؟! بس عارفة شكله تعبان.. شكله مش عاجبنى خالص.

وفتحت سميحة عينيها لتنظر إلى وجه أم سعيد قائلة:

بابا اليومين دول على طول نايم.. هو ماراحش للدكتور.

إلا أن أم سعيد قاطعتها كأنها تطمئنها:

لأ.. الظاهر إنه راح.. رجع الضهر ومعاه ورق تحاليل وأشعات وحاجات كتير.. صلى الضهر وشرب قهوة ونام تانى.. يللا يابنتى الأكل حيبرد.. دا الجو تلج.

ووضعت سميحة قدميها فى سابو من الفرو الأسود واتجهت إلى الباب لتطرق على باب رباب قائلة وهى تكمل طريقها:

يللا يا رباب الغدا..

وجلست سميحة على مقعدها الذى لا يتغير.. هى على يمين دياب ورباب على يساره وتنهدت.. كان هذا مقعد نوال.. ثم تنهدت مرة اخرى فى مرارة لِمَ تهاجمها كل الوجوه والذكريات هذا الصباح.. ورفعت عينيها لتشعر بمنصور ينحنى عليها طابعاً قبلة صغيرة على رأسها قبل أن يتوجه إلى مقعده.. وقبل أن تقول له أى كلمة.. دخلت أم



سعيد ورباب تستند على ذراعها لتساعدها على الجلوس فى مكانها وككل يوم قالت أم سعيد:

أنا غديت الست رباب بالهنا والشفا..

وأيضاً ككل يوم أجاب منصور:

انت عارفة يا أم سعيد.. أنا ماعرفش آكل لقمة الغدا دى غير وهما حواليا.

وأيضاً ككل يوم مضت أم سعيد وهى تتمتم بدعواتها اليومية.

ووضعت سميحة قليلاً من المكرونة فى صحنها وصحن دياب والتقطت قطعتين من الإسكالوب لتضع قطعة فى كل صحن ونظرت إلى رباب تسألها إن كانت تريد.

لا أحد يعلم ما الذى تريده رباب حقاً.. ربما لا أحد حتى رباب نفسها.. لكنها اعتادت الحضور.. اعتادت الجلوس معهما على المائدة لكنها لم تأكل يوماً معهما.. رباب تحتاج من يساعدها على تناول الطعام.. رباب دوماً بحاجة إلى من يساعدها على كل ما تقوم به.

وجاء صوت دياب يقول:

سميحة.. أرجوكِ لو عندك أى مواعيد النهاردة إلغيها.. عندى موضوع مهم عايز اتكلم فيه معاكِ.

وقاطعته سميحة بصوتها الهادئ الجميل قائلة:

أنا اللى عايزة اتكلم معاك يا دكتور دياب.. صحتك مش عاجبانى خالص ولازم نشوف حل للموضوع دا..

كانت سميحة تعلم أنه ذهب إلى الطبيب هذا الصباح، كانت تعلم أنه أجرى فحوصات كثيرة كما أخبرتها أم سعيد لكن هذه هى سميحة لا تقول ما عرفته إلا بعد أن تسمعه من صاحب الشأن نفسه حتى إن كان



صاحب الشأن هذا هو منصور دياب والدها.

وتنهد منصور وهو يعبث بالشوكة فى صحنه ولا يأكل ثم قال فى صوت خفيض:

إذا كان دا الموضوع فأنا الحمد لله جاهز وعندى إجابة لأى سؤال.. لكن المهم بعد ما تتغدى يا سميحة حاديكِ ملف فيه أوراق تاخديه تقريه كويس جداً ونتقابل فى أودتى بعد كدا نتكلم.

ورفعت سميحة عينيها وشيء ما فى قلبها يخبرها أن هناك أموراً لا تحبها.. أموراً لا تريد أن تعرفها تختبئ فى غرفة منصور فى انتظارها.

■ ■ ■



فى السادسة تقريبا وبعد أقل من ساعتين كانت سميحة تطرق طرقات خفيفة على باب منصور وهى تحمل بين أصابعها الملف الأخضر الذى أعطاها إياه بعد انتهائهما من تناول الغداء.. ودخلت لتجده نائماً على سريره واقتربت لتقف أمامه ونظرت إلى وجهه الأبيض النحيل وعينيه المغلقة فوق أنفه المستقيم الطويل.. ثم عادت تنظر إلى شعره الأبيض الذى لم يبق فيه سوى شعرات سوداء قليلة كأنها مازالت تقاوم السقوط فى نهر الشيخوخة.. وتنهدت.. لماذا تشعر أن لونه أصبح شاحباً.. يميل إلى الاصفرار.. بل لماذا تشعر أنه هو ذاته يسقط فى بئر شيخوخة سحيق.. مازال أمامه تسعة شهور حتى يبلغ الستين.. ستين عاماً.. كانت سميحة تظن أن بلوغ الأربعين هو الشيخوخة بعينها.. لكن كم عاماً بقى لها هى حتى الأربعين.. ثلاثة عشر عاماً وبعملية حسابية صغيرة سريعة عادت تتنهد.. لو تزوجت وأنجبت فى ظرف ثلاثة أعوام.. عندما تبلغ الأربعين سيصبح لديها طفل مازال فى التاسعة.. هل تأخرت فى الزواج والإنجاب أم تأخرت فى فهم العمليات الحسابية السريعة البسيطة.. أم أن أعوام العمر لا تخضع أبداً للعمليات الحسابية؟! قد يصبح العمر أرقاماً كبيرة لكنه يبقى دوماً لحظات قليلة..

وانحنت لتضع قبلة صغيرة على شعره الأبيض وفتح عينيه فى تثاقل ليضمها بين ذراعيه وشعر بالملف الأخضر الذى مازالت تحمله بين يديها وأطلقها من بين يديه ليمد يده ويبحث عن نظارته الصغيرة قائلاً:

اقعدى يا سميحة من فضلك وافتحى أباجورة المكتب..

جلست سميحة وهى مازالت لا تفهم لماذا لا تحب أبداً ما يدور حولها رغم أنه لا شىء من المفترض فيه أن يثير فيها هذا الخوف وكل



هذا القلق.

وارتدى منصور الروب الـ«دى شامبر» الذى مازال يصر على التحرك به خارج حدود السرير وجلس خلف مكتبه ونظر إليها فى ابتسامة صغيرة ضعيفة يحاول ألا تقع من شفتيه هى الأخرى فى نهر الشيخوخة الذى بدأ يسحبه فى عنف من أرض الأحياء وعالمهم.

وتنهد وهو ينظر فى عينيها العسلية الواسعة قائلاً:

إيه رأيك فى الورق؟!

وفى هدوء مدت سميحة يدها لتفتح الملف وتضعه على المكتب قائلة:

مش فاهمة..

وقال منصور فى هدوء:

شوفى ياستى.. دا كل اللى حيلتنا فى الدنيا.. الحقيقة.. دا كل اللى بقى حيلتك فى الدنيا.. ربع مليون جنيه وديعة فى بنك مصر باسمك لكن نصهم لرباب، أما الميت ألف دول فهما شهادات استثمار فى البنك الأهلى.. دول باسمك لكن بتوع رباب لوحدها.

وأطرق برأسه قليلاً ثم عاد يقول كأنه يفسر:

نوال بعتت المبلغ دا من حوالى عشر سنين لرباب.. أنا طبعاً عملتهم باسمك..

وقاطعته سميحة فى هدوئها الذى لم يفارق صوتها أو وجهها لحظة منذ نهاية قصتها مع عمرو جابر قائلة:

ونوال بعتت دول تحت مسمى إيه؟! اعتذار ولا تعويض ولا بدل أمومة.. ولا يمكن أجرة.

وقبل أن ينطق منصور حرفاً قالت سميحة فى مرارة وتهكم أثار فى قلبه لوعة كبيرة:



آه.. لأ.. دى لو أجرة كان بقى المبلغ ليك ولا أنت اتنازلت عنه لرباب؟!

ونظر منصور إلى عينيها فى اشفاق هائل وقال:

أنا كلمتها يوميها وبعد حوار طويل.. حسيت إنى ما اقدرش أقسى عليها أكتر من كدا يا سميحة.. ما أقدرش أحرمها أبداً من انها تدى بنتها فلوس.

وقاطعته سميحة بذات الهدوء رغم تلون وجهها الأبيض قائلة:

تقسى عليها يا دكتور دياب؟! هى نوال تعرف يعنى إيه قسوة؟ طب لو عرفت القسوة كانت عرفت الحنية..

وقاطعها منصور ككل المرات التى حاولت فيها سميحة تجريح نوال.. قاطعها بذات الحزم.. بذات القوة قائلاً:

سميحة.. ما تجرّحيش فى أمك أرجوكِ يا بنتى.. اسمعى الموضوع اللى عايزك فيه أهم من كل الكواليس دى.

ومد أصابعه النحيلة ليدق جرساً صغيراً لتظهر بعد ثوان منه أم سعيد أمامه وقال لها:

أم سعيد.. اتنين قهوة وهاتى سجاير سميحة معاكى من أودتها.

ورفعت سميحة عينيها فى دهشة لم تستطع أن تخفيها وعاد منصور يقول:

الوقت اللى باقى يا سميحة قصير جداً.. ولازم نقول ونعمل فيه كل حاجة قدام بعض.

وابتسم كأنه يحاول أن يخفف عنها قائلاً:

أول حاجة حنعملها.. إنى عازمك على فنجان قهوة وسيجارة ويمكن اشرب سيجارة معاكِ.

وقالت أم سعيد فى تلعثم كأنها لا تعلم شيئاً:



هو انتى عندك سجاير ياست سميحة؟!

لكن منصور التفت إليها ليقول فى عصبية كأنه لا يحتمل أى حماقات: اتحركى بسرعة.. كل حاجة لازم تتم بسرعة.. الوقت قصير.. قصير..

واختفت أم سعيد.. وزاد دبيب قلب سميحة وعلا صوته بين ضلوعها.. ما يحدث يخفى أشياء مازالت سميحة تشعر أنها لا تريد أبداً أن تعرفها..

وعادت تنظر إلى وجه منصور الذى مد يده ليصل إلى كفها الأبيض الصغير على المكتب وضمه فى هدوء وأغمض عينيه وقال فى صوت خفيض:

آخر مرة قلتلك إنى بحبك يا سميحة كانت امتى؟ أكيد مش فاكرة.. لأنى أنا نفسى مش فاكر.. انتِ كمان عمرك ما قلتيلى بحبك يا دياب.. حاجات كتير اتحرمنا منها.. مع أنه كان ممكن قوى تسعدنا وما تكلفناش حاجة..

وفتح عينيه لينظر فى عينى سميحة التى اتسعت فى دهشة يصدقها منصور لكنه لا يتمنى أبداً أن يريحها منها عندما يخبرها ستفهم لكنها ستحزن.. ستتألم.. الدهشة أرحم من الألم.. الدهشة أقل إذلالاً من الخوف والحزن.. لكن الوقت لا يسمح.. الوقت قصير.. يجب أن يخبرها بالحقيقة.. لو كان يعلم أن لحظة كهذه ستأتى لاقتطع من أعوام عمره الماضية وقتاً للحب.. وقتاً للحديث.. ووقتاً للأسرار.. لكن ها هو الآن يجد نفسه مطالباً بتقديم كل هذا معاً من جسد يأكله السرطان ومن رأس يأكله الخوف ومن قلب ذبحه الحب ونظر من جديد إلى عينيها وقال ودمعة صغيرة تكاد تسقط على زاوية عينيه:

أنا بحبك يا سميحة.. بحبك يابنتى وعايزك تساعدينى..

ودخلت أم سعيد تحمل القهوة وبعد أن وضعتها.. أخرجت فى تردد من جيب ثوبها الأسود علبة السجائر لتضعها فى خوف بين يدى منصور قائلة:

أنا مش عارف دى بتاعة مين.. ممكن قوى تكون بتاعة الست نهال اللى كانت بتزور سميحة من يومين.

والتقطها منصور فى هدوء وهو يسأل:

ممكن تباتى معانا النهاردة يا أم سعيد؟!

وقالت أم سعيد بصوت خائف وهى تنظر إلى وجه سميحة الباهت:

أيوه.. طبعاً بس بكرة الصبح أروح أعمل الغدا لسيد وأرجع تانى.

وأشار إليها منصور بالخروج وهو يشعل سيجارة مد بها يده إلى سميحة قائلاً:

اتفضلى..

ولم تقاوم سميحة.. لم تقاوم مدت أصابعها لتضعها بين شفتيها وقالت كأنها ترجوه:

هو فيه إيه؟!

وأشار منصور بيده إلى طاولة صغيرة جانبية بجوار يده اليمنى وعلى يمين مكتبه حيث ترقد أوراق وملفات من الواضح أنها تحاليل وتقارير طبية ليأخذ نفساً عميقاً قال بعده:

سرطان فى الكبد.. الكبد كله مسرطن.. مرحلة متأخرة جداً.. الزراعة مستحيلة والعلاج كمان.. اللى فاضل..

وسكت لحظة كأنه أشفق عليها من كلمة شهر أو اثنين التى سمعها هذا الصباح فعاد يقول وهو يرتشف قهوته فى مرارة وهو لا ينظر إليها:

شهور.. شهور بسيطة.. لكن تصورى السنين دى كلها عدت من غير ما أقولك إنى بحبك.. السنين دى كلها جريت من غير ما تعرفى حاجات لازم تعرفيها وحاجات أنا كمان عايز أعرفها.. يبقى الشهور حتكفى إيه يا سميحة ولا إيه.. ساعدينى يا سميحة.. ساعدينى يمكن نقدر نعمل اللى ما اتعملش.. واللى كان لازم يتعمل قبل ما نصحى فى لحظة زى دى ونقول يا خسارة.. يا خسارة ضاع العمر وراجل زيى ما قلش حتى لبنت زيك إنه بيحبها.. بيحبها وفخور بيها وحزين عليها.. حزين عليها قوى.. لكن حتى اليوم اللى بيعترف فيه بحبه وخوفه هو نفس اليوم اللى لازم يعترف فيه بعجزه وإيه كمان يطلب فيه مساعدتها.. حتساعدينى يا سميحة؟!

ورآها تطفئ ما بقى من سيجارتها فى قلب قهوتها كأنها تحاول إخماد حريق هب أو كاد فى قلبها.. رأى أصابعها الصغيرة ترتعش وهى تحاول أن تستقر بها فى مكان ما وقبل أن ينطق حرفاً رآها تقف وهى تقول دون وعى:

حاساعدك.. بس بشرط واحد.

وأكلت منصور الدهشة لحظات وهو الآخر لا يفهم ما تقوله ولا أى شرط تضعه سميحة فى لحظة كهذه وانتفض قلبه هو الآخر ليقول فى انكسار:

اشرطى..

وبعين زائغة لا ترى بها شيئاً وبصوت أجوف هادئ قالت وهى تتجه نحو الباب:

ترجّع لنوال فلوسها.

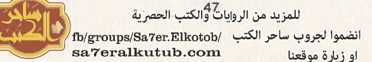




فى طريقها إلى غرفتها رأتها أم سعيد.. رأتها ورأت على وجهها شيئاً لم تره قط.. شىء يذكرها بذاك اليوم، اليوم الذى خرج فيه عمرو جابر هو وأمه من هذا البيت فى تلك الليلة التى جاءوا لخطبتها فيها.. رأت ذعراً.. رأت جليداً يتكون وآخر يتكسر على جلد وجهها الرقيق.. رأت دمعاً يتحجر ورأساً تحاول سميحة أن ترفعهُ فيسقط على عنقها فى قسوة.. لكن ما تراه أم سعيد اليوم أكبر.. هل حدث كل هذا بسبب «علبة السجائر».. هل كان يجب أن تقول إنها لم تجدها؟!.. وحاولت أم سعيد أن تخطو خارج حدود باب المطبخ لتذهب إلى سميحة لتسألها.. ولكن كان الخوف يشل قدميها.. كانت تشعر أن سميحة قد تصفعها.. قد تقتلها فوقفت ترقبها وهى تدخل غرفتها وتصفق خلفها الباب فى عنف.

استندت سميحة بظهرها على الباب.. ونظرت حولها فى جنون.. أى يوم أسود من أيام التاريخ هذا.. أى يوم من أيام عمرها هذا.. وعادت تستعيد ما قاله منصور.. عادت تستعيده كلمة كلمة وحرفاً حرفاً.

كانت أمامه تسمع ولا تفهم.. كانت فى غرفته تنظر إليه ولا تراه.. يجب أن تستعيد ما سمعت وما رأت.. لكن هى لا تريد أن تفهم.. لا تريد أبداً أن ترى.. منصور - منصور دياب يموت.. وكيف؟! بالسرطان؟! سيتركها.. سيتركها وحدها ويذهب.. سيتركها ويترك رباب كما فعلت نوال يوماً.. ولكن لا يعنيها رحيل نوال.. لا يعنيها سوى بقاء منصور.. لماذا اختار السرطان منصور.. أين العدل؟! أين العدل؟! لِمَ تركته فى غرفته وحيداً وجاءت إلى هنا.. لِمَ لم تحتضنه.. لِمَ لم تأخذه من يده وتذهب إلى طبيب آخر.. وعادت تستعيد فى رأسها أسماء الأطباء الذين تعرفهم..



حسناً.. هناك خطأ.. نعم.. يجب أن يكون هناك خطأ.. كتبوا اسم منصور على تقارير رجل آخر أو ربما كان هناك عطل فى أجهزة المعامل التى ذهب إليها.. على أسوأ الفروض.. هناك طبيب ما على هذه الأرض يعلم كيف يساعد منصور.. كيف يستأصل هذا السرطان الأحمق من كبده ليضعه فى كبد الآلاف من القساة والقتلة الذين يستحقونه..

لماذا تركته وحده.. أين ذهب عقلها.. أين العقل فى أن تتركه وحده لحظة بعد أن عرفت؟! إن كان العدل رحل عن الأرض فلماذا تركت عقلها يتبعه؟!

وقررت أن تستدير لتذهب إليه وقبل أن تفعل سمعت طرقات خفيفة على بابها وحين ابتعدت عن الباب أطل منصور فى هدوء ليدخل ويغلق الباب وينظر إليها فى حب قائلاً:

نسيتى حاجة يا سميحة؟! أنا قلتلك بحبك.. نسيتى تقولى وأنا كمان..

واندفعت سميحة نحوه فى جنون.. كانت تريد أن تأخذه بين ذراعيها.. لكنه طوقها هو بذراعيه بكل ما استطاع من قوة وسمعها تجهش بالبكاء.. بكاء حاد عنيف يقطر خوفاً وضعفاً وحباً.. وقال من بين دموعه فى صوت حنون:

ابكى يا حبيبتى.. ابكى كل دموعك اللى حوشتيها.. ابكى يا سميحة.. مش حتلاقى بعد كدا حد تبكى على صدره ويكون بيحبك قدى.. سميحة يابنتى.. أنا مش خايف من الموت ومش عايزك تساعدينى على مواجهته.. سميحة أنا خايف من الحياة.. خايف عليكم من الحياة.. ساعدينى يابنتى على الحياة اللى فاضلة ليا عشان أقدر أساعدك أنت واختك على الحياة من غيرى.. فى الزمن دا الحياة هى اللى بقت تخوف مش الموت.. مش الموت أبداً!



فى حى شبرا ومن شارع خلوصى وفى إحدى الحارات الصغيرة وفى حارة صغيرة اسمها «حارة القهوجى».. دخلت أم سعيد فى السابعة صباحاً إلى إحدى تلك العمارات القديمة التى لا يعرف أحد كيف تقف حتى اليوم.. دخلت من باب حديدى صدئ وصعدت درجتين صغيرتين لتنزل ثلاث درجات أخرى وتدخل إلى شقة صغيرة فى قاع المبنى لا ترى الشارع إلا من نافذة حديدية صغيرة.. كل من يسير فى الشارع يراهم تحت قدميه إن فتحت ستارة النافذة المصنوعة من القماش «الكريتون» الرخيص المشجر.. وفتحت الباب لتخلع طرحتها السوداء وتنظر حولها وعلمت دون بحث.. سيد لم ينم هنا ليلة الأمس.. وتنهدت ثم نظرت إلى الغرفتين الصغيرتين أمام عينيها.. فى كل غرفة منهما سرير خشبى قديم.. هى تنام فى غرفة وهو ينام فى الغرفة التى كان يقتسمها مع سعيد وتنهدت.. سعيد.. عامان لم تره.. عامان فى الغربة.. يعمل ويدخر ما استطاع من النقود.. كل أمله فى الحياة أن يعود بمبلغ يخرجون به من هذه «الحفرة» كما كان يدعوها.. لا يريدها أن تموت فيها.. لا يريدها أن تموت وهى خادمة لدى منصور دياب وابنته رباب.. سيعود ليتزوج عزيزة ويأخذها لتحيا معهما.. فى مكان ما تدخله الشمس ولا تسقط فيه مياه المجارى والأمطار..

هى أيضاً تريد الخروج من هنا ليس حباً فى الشمس ولكن هرباً من الحياة مع سيد.. أرهقها سيد.. إنها حتى هذه اللحظة لا تعلم كيف يكون سيد أخاً لسعيد..

أحضرت أم سعيد كوباً من الشاى لتجلس على كنبة خشبية صغيرة فى صالة تئن بحملها وعادت تتنهد وهى تنظر إلى نافذة الغرفة التى على يسارها.. حطم سيد زجاجها ذات مرة فى إحدى نوبات جنونه



بحثاً عن النقود.. إنه يأخذ كل ما يجده عندها.. كل ما يعطيه إياها منصور.. كل ما تمنحه لها سميحة.. حتى الطعام ما أصبحت تجد نقودا تشتريه بها.. هى دوماً تحضر له بقايا الطعام من بيت الدكتور منصور.. بل هو لا يأكل هنا إلا قليلاً.. هو لا يريد سوى النقود.. لا يهمه سوى تلك الأوراق التى يأخذها من يدها إن كان فى طريقه إلى الخارج.. أما إن كان فى طريقه إلى غرفته فهو يغلق باب الغرفة الخشبى المتهالك حيث يتسرب دخان لفائفه منها.. إنه يدخن الحشيش ولكن هل هو الحشيش فقط.. شىء ما فى رأسها يخبرها أنه يتعاطى شيئاً من تلك الأشياء الخطيرة التى تسمع عنها فى مسلسلات التليفزيون.

منذ مات عبدالصمد منذ عشرين عاماً وسيد يرهقها.. انقطع عن المدرسة.. لم تحتمله ورشة أو دكان حملته إليه.. سعيد كان يساعدها عليه ومنذ رحل وهى لا تعلم ماذا تفعل.. كلما دخلت هذا البيت دخلت وهى خائفة مما قد يفعله معها وكلما خرجت فى طريقها إلى منزل الدكتور منصور خرجت وهى تتمنى ألا تعود.. لكن يجب أن تعود.. يجب أن تعود.. ويجب أن تحيا حتى تلتقى بسعيد.. سعيد سيعود ويتزوج عزيزة.. إنه يدخر مبلغاً كبيراً. لقد طلب منها أن يرسل لها كل ما ادخره لكنها رفضت.. أقسمت عليه بأغلظ الأيمان ألا يفعل وأن يحضر نقوده كلها معه عند عودته.. قد يقتلها سيد إن عرف.. لا يهمها إن قتلها لكن يهمها كثيراً ألا يأخذ ثمن غربة سعيد وأعوام عمره.. ورغم هذا مازال سعيد يرسل لسيد مبلغاً كل فترة.. سعيد يخبرها لكن سيد ينكر ولا يعترف أبداً بما يفعله سعيد.

ووضعت كوب الشاى وقامت فى خطى ثقيلة تفتح الباب فى هدوء



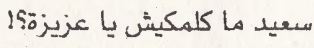
لتجد عزيزة تقف أمامها قائلة:

أنا قلقت عليكِ يا خالتى.. البيت كان ضلمة طول الليل..

ابتسمت أم سعيد بوجهها الأسمر النحيل وعينيها الصغيرة التى رسمت لنفسها تجويفاً داخل وجهها لتطل منه بخوف رسمته الأيام على سوادها بمهارة كبيرة وفتحت ذراعيها لتضم عزيزة فى هدوء.. إنها تشم فيها رائحة الغائب.. عزيزة جارتهم وابنة الاسطى «حسين» النقاش غير أنهم لا يسكنون حفرة كالتى تسكنها أم سعيد بل يسكنون شقة من غرفتين صغيرتين فى العمارة المقابلة لهم.. منذ متى وعزيزة تحب سعيد.. منذ متى وسعيد يحب عزيزة.. لا تذكر.. ما تذكره أن كل من فى هذه الحارة الضيقة يعلم بقصتهما ويباركها.. الجميع يحب سعيد ومنذ حصل على دبلوم التجارة مع عزيزة وهو يحاول أن يعمل.. بل لقد عمل طويلاً مع الأسطى حسين والد عزيزة.. لكن ما كان يحصل عليه كان لا يكفى حتى يتزوج عزيزة ابنة جميلة التى أوضحت له ولها أنها ابداً لن تترك ابنتها تتزوج لتهبط من شقة فى الدور الثانى إلى جحر صغير تحت الأرض.. باركه الله الأسطى حسين أعطاها وأعطى سعيد كلمة بأن تكون عزيزة له..

عامان وسعيد لا يعود من السعودية حيث يعمل سائقاً لدى صديق للدكتور منصور.. عامان وعزيزة تقاوم أمها وتعمل فى مكتبة فى دوران شبرا وتدخر هى الأخرى كل ما تستطيع حتى تساعد سعيد عند عودته.. وتنهدت أم سعيد وهى تنظر إلى عزيزة التى دوماً تسترق النظر إلى الغرفة التى كان ينام فيها سعيد كأنها تتحسس وجوده أو تحلم لو تراه يطل منها وقالت فى حنان:

سعيد ما كلمكيش يا عزيزة؟!





وابتسمت عزيزة فى خجل وهى تقول:

لا والله يا خالتى..

ودخلت أم سعيد لتصنع لعزيزة كوب الشاى قبل أن تذهب لتفتح المكتبة التى تعمل فيها كعادتها كل صباح وما أن دخلت أم سعيد إلى المطبخ الصغير الذى لا شىء فيه سوى بوتاجاز صغير يرقد فوق طاولة متهالكة عليها بعض الصحون والملاعق حتى نهضت عزيزة وسارت خطوتين لتقف بعدهما على باب غرفة سعيد ونظرت فى حسرة.. كانت تنتهز فرصة دخول أم سعيد إلى المطبخ لتقف على باب الغرفة ويمنحها قبلة.. بل فى مرات كثيرة كانت تتركهم وتصلى فى غرفتها ليأخذها بين ذراعيه ويهمس فى أذنيها بأحلى كلمات.. متى تعود يا سعيد.. متى تعود؟

وانتفض جسدها الملفوف وهى تسمع أم سعيد من خلفها تقول:

وحشنى أنا كمان.. وحشنى يا عزيزة قد ما وحشك يابنتى ويمكن أكتر.

■ ■ ■



وقفت سميحة فى شارع سليمان أباظة على باب مركز «كايرو سكان» للأشعة تنظر من خلف نظارتها السوداء لقد نسيت أين أوقفت سيارتها الصغيرة.. وجاءها صوت المنادى يسألها:

الكورسا الحمرا يا آنسة؟!

وهزت رأسها بالإيجاب لتشعر بسقوط دمع غزير على وجنتيها.. وفى لحظة كانت السيارة أمامها.. أعطته المفتاح إذن قبل دخولها.. كيف لا تتذكر ذلك؟! كيف حتى لم تحاول أن تنظر فى وجهه أو تعرف اسمه؟ وتنهدت وهى تقذف بكل أوراق دياب الطبية التى أحضرتها معها إلى مقعد السيارة المجاور لها وأخرجت بعض الجنيهات منحتها للمنادى ودخلت لتقود سيارتها فى هدوء.

عادت لتوها من لقاء الدكتور أشرف سليم صديقهم حيث أجرى دياب فحوصاته.. لقد كان صادقاً معها.. دياب أيضاً كان صادقاً.. لا أمل فى زراعة ولا علاج.. النهاية قادمة.. قد يصيبه استسقاء فى البطن.. قد يصيب الورم أجهزة أخرى كثيرة وقد يدخل فى غيبوبة كبدية.

لا فرق.. النهاية ستأتى قريباً.. وعلا صوت بكائها وهى تقود سيارتها فى طريقها إلى شارع شريف بوسط القاهرة.. منصور فى الجامعة.. لن يعود قبل الخامسة.. ستكون فى انتظاره لكن كما قال لها الوقت قصير.. وهناك أشياء كثيرة يجب أن تنجزها سميحة اليوم.. ومسحت دموعها وابتلعت نهراً آخر منها.. ابتلعتها فى قسوة.. سميحة تعلمت أن تجيد ابتلاع دموعها.. يجب أن تنتهى من أهم شىء تنوى القيام به اليوم.

حين وصلت سميحة إلى باب البنك الأهلى بحثت عن مناد آخر

منحته عشرة جنيهات ليتولى أمر سيارتها ولم تنس هذه المرة أن تسأله عن اسمه بل حاولت أن تسجل ملامح وجهه فى رأسها.. وابتسمت فى مرارة وهى تسأل نفسها هل ستذكر اسمه وملامحه حقاً عند خروجها.. ومضت فى هدوء إلى قسم شهادات الاستثمار ووقفت تخرج من حقيبتها شهادات نوال المسمومة وهى تتمنى ألا تلمسها بأصابعها وحين نظر موظف البنك إلى بطاقتها الشخصية ابتسم قائلاً:

حضرتك سميحة دياب بتاعة الإذاعة ولاّ تشابه أسماء؟!

وابتسمت سميحة ابتسامتها الرقيقة قائلة بصوتها الهادئ الطيب:

أيوة أنا..

وعاد الموظف يقول:

أنا بحب البرنامج بتاع حضرتك جداً.. على فكرة الشهادات دى يافندم شغالة كويس جداً هو أنتِ محتاجة الفلوس دى قوى..

وابتسمت سميحة فى ألم لتقول:

جداً..

وأشار لها بالجلوس على أحد تلك المقاعد بعد أن تعهد لها بإنهاء جميع الإجراءات وعاد يردد مدى إعجابه بها وبصوتها وبرنامجها الجميل ثم عاد يقول فى خجل إنه لم يكن يتصور أبداً أنها جميلة وصغيرة إلى هذا الحد.. لقد كان يتصورها سيدة فى منتصف الأربعينيات..

وجلست سميحة على المقعد المواجه لمكتبه الزجاجى ورأته ينحنى على زميل له يخبره عن أمرها ونظر إليها هو الآخر ليتبادلا الكلمات التى اعتادتها سميحة.. وغابت سميحة عنهما تفكر.. ماذا ستفعل بالنقود؟!



لكن لِمَ تدعى أنها لا تعلم.. بل إن ما تريد أن تفعله بهذه النقود قد يكون سبباً كبيراً من أسباب رغبتها فى إعادتها إلى نوال.. سميحة تريد أن تعيد لها النقود بنفسها.. تريد أن ترى نوال.. تريد أن تقذف بهذه الأوراق فى وجهها.. وجهها؟! مازالت تذكر وجهها جيداً.. ذاك الوجه الأبيض الرقيق.. سميحة تعلم أنها تشبهها كثيراً.. لكنها عادت تهز رأسها.. أبداً لا تشبهها.. فى وجه نوال قسوة.. فى وجه نوال سكين حادة مشهرة دوماً.. سكين أطلقتها فى قلب سميحة يوم رحلت وتركتها.. لا تنسى تلك الأيام.. لا تنساها أبداً..

لا تنسى صوتها وهى تتشاجر دوماً مع منصور.. لا تنسى كم مرة قذفت بشوكتها على مائدة الغداء فى وجهه.. قد لا تذكر الكلمات ولكنها مازالت تسمع صراخها.. بكاءها.. قصصها عن الجارة التى سألتها إن كان هناك أمل فى تحسن رباب.. عن صديق منصور الذى جاءها يخبرها عن وجود مركز ما قد يقبل وجود رباب ليعلمها كيف تأكل وحدها.. لا تنسى أبداً صراخها ونحيبها كلما رأت خطاً نحيلاً من اللعاب يسيل على حرف شفاه رباب الصغيرة.

لم تكن تفهم حقيقة ما يحدث لكنها كانت تعلم أن رباب شىء يجب أن يختفى عن الأعين.. رباب فى حياة نوال كآثار حرق قديم فى صدرها تحاول دوماً أن تخفيه خلف قطعة مجوهرات أو ثوب من الحرير.. ولكن سميحة كانت تحب رباب.. تحب الجلوس معها على الأرض وحولهما تلك الدمى الصغيرة.. كانت تحب كثيراً أن تضع بين أصابعها إحدى تلك الدمى لتراها تنظر إليها فى هدوء وتحاول أن تحركها.. رباب تحاول أن تتحدث إلى سميحة و.. وسميحة كانت تشعر أنها حقاً تفهم تلك الحروف المتقطعة والهمهمة التى تصدرها.. كانت



دوماً تحمل من أجلها منديلا ورقيا لتمسح به خط اللعاب النحيل لأنها تعلم أنه يثير غضب نوال لكن سميحة بقيت لا تعلم هل تخبر أحداً فى مدرستها عن وجود أخت أم لا تفعل.. رحلت نوال وسميحة لا تعلم الإجابة عن هذا السؤال فأصبحت تتحاشى الإجابة عنه.. لا هى تقرّ ولا هى تنفى حتى أصبحت رباب على مر الأيام سراً من أسرار البيت الذى لا يغادر جدرانه..حتى فى تلك الأيام التى كانوا يسافرون فيها معاً إلى الإسكندرية.. كانت أم سعيد تتولى شئون رباب.. بل حتى على الشاطئ عندما كانت الصغيرتان تلعبان رغم كل النظرات التى تطاردهما والعيون التى تتلمز فضولاً وإشفاقاً بقيت سميحة لا تعلمَ ماذا تقول إن سألها أحد عن رباب.

لكنها كرهت نوال يوم رحلت وتركتها وكرهت نوال أكثر عندما كانت تحادثها وتخبرها أنها ستأخذها للحياة معها وعندما سألتها مرة عن رباب أجابت نوال فى هدوء بأن منصور سيحتفظ برباب وهى ستحتفظ بها.. لكن سميحة بكت على التليفون يومها لتقول إنها تحب رباب وتحب منصور وتحب نوال أيضاً فلماذا إذاً يجب أن يتقسّمون؟!

لقد أخبرت منصور يومها بما دار ليضمّها بأعوامها التى قاربت العشرة فى ذاك الوقت وقال لها إنه هو أيضاً يحب نوال ولا يستطيع أبداً أن يحرم سميحة منها وأنها حقاً إن شاءت الذهاب إليها فلتذهب ولكن فلتعلم أنها لن تراه ولن ترى رباب أبداً مدى الحياة لأن هذه هى رغبة نوال.

ليالى طويلة وهى تتخيل أنها تترك غرفتها ومدرستها ومنصور وذراعى منصور ورباب ومنديلها الورقى وأم سعيد و«لقمة القاضى» اللذيذة التى تصنعها لها وتذهب إلى نوال.. نوال التى لا تصنع لها شيئاً سوى الصراخ



والعصبية.. لكنها تحبها.. تحب كل ما فيها رغم هذا.. كانت حائرة لا تعلم ماذا تقرر لكنها فجأة أفاقت على اختفاء نوال الكامل.. لم تعد حتى تطلبها على الهاتف.. لم تعد حتى تزورها فى المدرسة كما كانت تفعل على فترات متباعدة فى العام الأول لطلاقها من منصور.. غابت نوال.. غابت أعواماً.. أدركت فيها سميحة الحقيقة وكرهت نفسها لأنها كانت فى لحظات تتمنى الذهاب إليها حتى لو تركت خلفها رباب ومنصور وأم سعيد.. وكانت على البعد تسمع عن نوال.. بل رأت صورها فى بعض الأحيان فى أخبار المجتمع على صفحات الجرائد والمجلات مع طاهر رسلان زوجها.. وأصبحت نوال هى الأخرى فى حياة سميحة رباب جديدة تحاول أن تخفيها ولا تعترف بصلتها بها أبداً.. لا هى تعترف بها ولا هى أبداً تملك أن تنفيها!

لكن اليوم تريد أن تراها.. تريد أن تفجر قذائف الكره والحزن بداخلها فى وجهها.. تريد أن تقذف بمائة ألف جنيه فى وجهها ورقة ورقة.. تريد أن تكون فى قسوتها.. فى جبروتها ولو لحظات.. هى تعلم أين تسكن نوال.. لم تنس يوماً عنوانها.. أخبرها منصور به وهى فى الثانية عشرة.. أخبرها أن نوال تزوجت وتقيم فى شارع البحر الأعظم بالجيزة على النيل، ومنذ أعوام أشار لها مرة وهى إلى جواره فى السيارة إلى عمارة تحتها جراج كبير ثم قال لها فى مرارة:

طاهر ونوال ساكنين هنا يا سميحة!

لقد ارتسم لون العمارة فى ذهنها.. ارتسم شكلها وعدد طوابقها.. اليوم ستذهب وتحطم كل طوابقها على رأس نوال.. كما تحطم قلب سميحة وتحطمت أيامها!!



رفع الدكتور «على سليمان» رئيس جامعة القاهرة وجهه النحيل وظهرت على عينيه ظلال دمعة تترقرق وهو ينظر إلى وجه منصور دياب بعد أن حكى له عن مرضه.. بينهما صداقة عمر قديمة وحب كبير أصبح أكبر بعد أن أصبح د. سليمان رئيساً للجامعة.. كان دوماً يسمع عن انجازات دياب ونزاهته وتفانيه فى عمله وحب هيئة التدريس بأكملها له والطلبة جميعاً.. وها هو الرجل اليوم يجلس أمامه ليخبره أنه يموت وأنه يجب أن يجد أحداً غيره يقوم بمهامه لأن مئات الطلبة الذين يدرسّهم أمانة عنده.. أمانة لا تقل أهمية عن سميحة ورباب..

وابتسم منصور ابتسامة صغيرة وقال:

انتو كنتو حتطلعونى معاش السنة الجاية.. أنا بقى طلعت أشطر منكم.. حامشى بمعرفتى..

وقام سليمان عن مكتبه وتقدم نحو منصور ليشير له بالجلوس على الكنبة السوداء الجلدية التى على يمين مكتبه وجلس إلى جواره تحت علم مصر الذى كان يقف إلى جوارها ووضع كفه على فخذ منصور النحيل قائلاً فى حنان:

طول مانت قادر تيجى وتحضر تعالَ.. أنا عايزك بس تتفاءل مين عارف يا دياب..

وسقطت دمعة من عين دياب رغماً عنه ليقول:

والله مش عارف يا على.. أكمل ولا أوفر وقتى وجهدى للبنات.. أنت الوحيد اللى عارف حكاية رباب وحكاية سميحة وحكايتنا كلها.. عارف أنا نفسى فى إيه فعلاً؟!

ورفع على سليمان رأسه كأنه يتمنى لو يستطيع تحقيق ما يتمناه



دياب الذى أكمل قائلاً:

نفسى أجوز سميحة يا على قبل ما أموت.. فاكر علاء لطفى.. كان خطبها من حوالى سنة.. أنا شرحتله كل حاجة عنى وعن رباب وهو وافق بس سميحة هى اللى رفضت.. يا حبيبتى البنت من ساعة عمرو جابر وهى..

وقاطعه على:

هو فيه إيه يا منصور؟!.. هى سميحة أول بنت عندها أخت معوّقة ولا إيه؟! وبعدين أنت بتقول إن علاء وافق..

وتنهد منصور ليقول:

ما كانش ممكن أقولها إنى قلتله وإنه راضى. داه كان حيجرحها برضة.. والحقيقة كمان علاء ما كررش طلبه بعدها..

وعاد على يربت على فخذ دياب فى حنان وهو يقول:

علاء مهندس شاطر وناجح.. عارف هو بيشتغل دلوقتى مع المهندس أيمن النجار.. أنا حاكلمه وأخليه يتكلم مع علاء بطريقة غير مباشرة بعيد عنك وعنى.. أيمن دا راجل هايل وأنا بأثق فيه.. سيبلى الموضوع يا منصور..

وحاول منصور أن يرفع رأسه ويقول لا.. حاول أن يخبره بأنه سيحاول أن يجد طريقة ما يتصل هو من خلالها بعلاء لكنه وجد نفسه يهز رأسه بالموافقة.. لا وقت للرفض والتمنع.. لو كان علاء مازال يريد الزواج من سميحة ستصبح هذه هى هدية الحياة الأخيرة له.. سميحة تتزوج قبل أن يموت.. عندها سيموت وقد تركها مع رجل هى وأختها.. رجل بإمكانه أن يحميهما ويقف معهما فى وجه قسوة الحياة.



ووقف د. على يحتضن منصور وهو يكرر عليه:

منصور.. أنت ممكن تسافر برا..

لكن منصور ابتسم فى هدوء قائلاً:

مش حتفرق صدقنى.. على العموم لما الوقت ييجى العميد مش حيتأخر وحيدلعنى فى القصر العينى.

وترقرقت عيناه بالدمع ليقول:

ادعيلى يا على مادخلش المستشفى وأبهدل سميحة ورايا.. ادعيلى أموت بحاجة تانية وأنا فى بيتى جنب بناتى..

وعاد سليمان يضمه فى حب وهو لا يعلم ماذا يقول!!

■ ■ ■



أظهر بواب العمارة ترحاباً كبيراً وأفسح لسميحة مكاناً كبيراً لتوقف سيارتها وعندما سألته إن كانت نوال موجودة قال لها إن سائقها الخاص موجود، إلا أن نوال هانم لم تذهب إلى المدرسة منذ اسبوع.. وابتسمت سميحة فى دهشة.. هل تذهب نوال إلى المدرسة.. ربما تصحب ماجد كل يوم.. هل أصبحت نوال أماً أخيراً.. ثم هزت رأسها فى مرارة وتوجهت إلى مدخل العمارة الأنيق لتدخل المصعد ودقات قلبها تتلاطم فى سرعة وحيرة.. هل هى واثقة حقاً مما تقوم به؟!.. هل تريد حقاً أن ترى نوال.. لماذا الآن؟! ورفعت رأسها لتنظر فى مرآة المصعد إلى وجهها الجميل الشاحب ومدت أصابعها الباردة لتقرص خديها.. لا يجب أبداً أن تراها نوال خائفة أو مترددة.. وأطلقت شعرها البندقى الغزير الذى يقف عند بداية ظهرها وتحت خطى كتفيها.. ماذا ستقول؟! ماذا ستفعل معها؟! لا تعلم لكن بركاناً كبيراً آن له الآوان لأن ينفجر حتى تغلق فوهته المفتوحة.. وانتفضت وهى تسمع رنة جرس صغيرة تخبرها أنها وصلت إلى الدور العاشر حيث أخبرها البواب واستدارت فى هدوء وهى تحمل فى يدها حقيبتها الصغيرة وكيساً بلاستيكياً أسود اللون وضعت فيه ما يقارب المائتى ألف جنيه. محظوظة نوال! نقودها تعود إليها الضعف.. محظوظة هذه المرأة ورغم هذا الحظ تبقى وحدها سر شقاء عائلة بأكملها!

وخطت فى هدوء.. ووقفت أمام الباب الكبير.. طاهر رسلان يملك الدور كله.. من الواضح أنه فتح ما فى الدور من شقق ليصبح شقة واحدة يتوسط الحائط بابها الكبير المصنوع من خشب الأرو الرائع، ومدت سميحة اصبعها لتدق الجرس فى هدوء وأطلت من خلف الباب فتاة آسيوية ترتدى زياً رائعاً.. كذلك الذى ترتديه خادمات القصور..

وابتسمت سميحة.. إنه حقاً بيت نوال.. نوال لم تتغير.. مازالت إذن تعشق المظاهر البراقة، وعادت تبتسم فى مرارة.. أى شىء أحمق على الأرض ذاك الذي جعلها تعتقد أن نوال من الممكن أن تتغير؟!

وعادت الشابة تسألها من جديد عما تريد، وأفاقت سميحة لتقول فى صوتها الهادئ الجميل:

عايزة أقابل مدام نوال.. من فضلك قوليلها سميحة.. سميحة دياب.

اغلقت الشابة فى وجهها الباب فى هدوء بعد أن طلبت منها الانتظار لحظات.. باب نوال مازال لا يفتح بسهولة.. باب نوال مازال بحاجة إلى اجراءات مشدّدة لعبوره وشعرت بثقل ذاك الكيس الأسود بين أصابعها وابتسمت فى مرارة..حتى النقود تؤلم الأصابع!!

ورأت الباب يفتح فى هدوء واشارت إليها الشابة بالدخول لتتبعها سميحة فى ردهة قصيرة انحرفت بعدها إلى اليمين لتشير لها بالجلوس على أحد مقاعد الريسبشن الكثيرة وجلست سميحة تنظر حولها.. كأنها دخلت قصراً من قصور الرئاسة.. سجاد حريرى فى كل مكان.. أطقم من الأوبيسون اليدوى.. وأطقم أخرى من الأثاث اللويسيز الرائع.. كم شخصاً يزور نوال حتى يكون لديها كل هذه المساحة للضيوف.. ورمقت بعينيها سفرة فرنساوى أنيقة حولها اثنا عشر مقعداً.. رأتها على البعد.. كل شىء أنيق وجميل.. سيدة البيت وحدها أبشع ما فيه..

ودق قلبها وهى تسمع صوتاً يقول فى مرح:

صباح الخير.. أنا ماجد رسلان.. إنتِ مين؟!

ورفعت عينيها لتنظر إليه.. لا يشبه نوال.. اسمر.. طويل تعلم جيداً أنه فى عامه السادس عشر.. شعره ناعم تسقط خصلات منه على



جبهته.. يبدو أنه فى طريقه إلى الخروج يحمل فى يده كتباً ومفاتيح.. من الواضح انها مفاتيح سيارة ولكن هل يقود سيارة وهو فى هذه السن..

واقترب منها وهو يبتسم ابتسامة واسعة ليقول:

إيه.. سّر؟!

ورفعت عينيها العسليتين لتقول فى هدوء:

سميحة.. سميحة دياب..

ولم يعن له الاسم شيئاً فقال وهو يشير إلى الشابة التى جاءت تحضر كوباً من العصير:

اتفضلى..

لكن سميحة هزت رأسها بالنفى وما مدت يدها سوى لحقيبتها الصغيرة لتخرج منها سيجارة اشعلتها فى عصبية وعادت تنظر إليه فى دهشة حيث اقترب منها ليقول فى جرأة:

أحب السجاير وأحب الستات اللى تشرب سجاير يا سميحة..

وابتسمت كأنها بدأت تستعيد نفسها لتقول:

انت بتدرس فين يا ماجد؟!

وعاد يقول وهو يمد يده إليها بورقة صغيرة أخرجها من جيب بنطلونه كأنه يحمل منها المئات قائلا:

خدى.. نمرة تليفونى الخاص.. قبل ماما ما تظهر.. نتكلم ونتقابل ونعرف عن بعض كل حاجة.. أنا حقيقى باموت فى السجاير وفى الستات اللى بتشرب سجاير.

ومضى ماجد بعيداً ونظرت سميحة إلى الورقة التى فى كفها ثم عادت تنظر إليه وهو يبتعد.. مسكين.. يكفيه أن تكون نوال أمه ليكون



مسكيناً كبيراً..

وعادت تنظر حولها من أين خرج ماجد.. بالتأكيد ستظهر نوال من نفس المكان لكن هى لا تعلم من أين جاء.. تأخرت مدام رسلان.. تراها حانقة لمجيئها؟ أو ربما أرادت أن تتركها قليلاً لتعلم أن لقاءها ليس سهلاً.. من يدرى ربما تظهر تلك الآسيوية لتخبرها أنها ترفض لقاءها.. ودق قلبها أكثر وهى تشعر برائحة عطر رائع تتسرب إلى أنفها وظهرت نوال أمامها.. واختلطت كل المشاعر فى عروق سميحة واضطربت روحها ودون تفكير وقفت أمامها تنظر إلى عينيها الصغيرة العسلية التى مازالت تبدو عليها آثار النوم.. كانت ترتدى روباً من اللون الوردى الفاتح ويحمل حرفى C D.. وشعرها الأحمر القصير يقف على حدود عنقها فى تدرج جميل.. انها امرأة جميلة.. حقاً نوال لا تتغير.. كانت نوال هى الأخرى تنظر إليها فى دهشة لا تحاول أن تخفيها، فى انبهار لا تحاول أن تدّعيه.. سميحة جميلة.. ترتدى بنطلوناً أسود وبوت سوداء قصيرة مع بلوفر أزرق فى لون سماء الربيع.. كأنها ترى نفسها منذ أعوام.. كل شيء فى رأس المرأتين كان يتلاطم.. لم تحاول إحداهما الاقتراب من الأخرى أو حتى مصافحتها.. كل منهما تنظر إلى الأخرى ولا ترى أو تسمع إلا قصصاً وصوراً قديمة.

قبلات وحقيبة مدرسة.. جبهة سميحة الساخنة عند ظهور أول تسنين لها ودمعة تزحف على خد نوال وهى تحملها إلى الطبيب.. صوت خافت على الهاتف يرجوها أن تعود أو تحضر لاصطحابها.

وسميحة لا ترى أو تسمع سوى صراخ وبكاء واتهامات لا حدود لها.. لا ترى سوى دياب وهو يحتضنها ويخبرها أن نوال لن تعود وإن ذهبت



سميحة إليها لن تراه من جديد كأن كل امرأة منهما قررت ألا ترى أو تسمع إلا ما يريح قلبها ويسقط عن كاهلها شعور الذنب أو الخجل.. ولأن الغضب صوته أقوى.. لأن الجنون دوماً أسرع أفاقت سميحة قبل نوال لتقول فى ذاك الهدوء الذى لا هدوء فيه:

آسفة.. بعد السنين برضة جاية فى وقت مش مناسب.. صحيتك.؟! دقايق وممكن تنامى تانى..

وأفاقت نوال لتعلم أنه لا مجال لمصافحة أو عناق.. هل جاءت تخبرها بمرض دياب أم جاءت تحمّلها مسئولية رباب بعده.. ليكن أى شىء كان جاءت من أجله.. لقد تمنت طويلاً أن تراها وجلست فى هدوء على المقعد المواجه لها.. لتظهر تلك الشابة الآسيوية من جديد لتنحنى واضعة على طاولة صغيرة بجوار نوال صينية صغيرة من الفضة عليها فنجان من القهوة.. وبجواره علبه سجائر وولاعة من ذهب كارتييه.. وجلست سميحة هى الأخرى كأنها تبحث عن ثوراتها.. عن صرخاتها.. عن كلمات تمزق بها صدر نوال لكنها لم تجد.. فمدت يدها بهدوء إلى الكيس الأسود الملعون الذى أحضرها وليته ما أحضرها وقالت:

بنات دياب مش محتاجين مساعدتك.. الدمية ألف» اللى بعتيهم من عشر سنين أهم الضعف تقريباً بنات دياب أكرم منك.

ومدت يدها لتجذب حقيبتها وتمضى إلا أن صوت نوال جاءها يقول:

الفلوس دى مش ليكى يا سميحة.. أنا بعت الفلوس دى لرباب.

ورفعت سميحة عينيها فى وجه نوال لتجد بين عينيها خوفاً وشيئاً كالدمع يقاوم السقوط فى كبرياء واشعل هذا رغبتها فى سحق نوال من جديد فقالت:



رباب؟!.. رباب المتخلفة بقت فجأة حبيبتك وبتبعتيلها فلوس..

وتململت نوال.. مازالت كلمة «متخلفة» تؤلمها حتى وإن خرجت من شفاه سميحة، فقالت فى صوت خفيض:

لما ترجعيها بعد عشر سنين وتاخدى القرار لوحدك لأن أبوها مرض وحيموت.. يبقى أنت اللى بتعامليها على أنها متخلفة مش أنا..

واتسعت عينا سميحة.. نوال تعلم بمرض دياب إذن.. بموته أيضاً.. وشعرت أنها تكاد تبكى.. تكاد تنهار.. كيف ظنت أنها تحمل قذائف ستفجرها.. إنها لا تحمل إلا خوفاً وضعفاً وحزناً لا تريد أبداً أن يفضحها.. لو بكت أمام نوال ستقتل نفسها وهى يجب أن تحيا.. من أجل رجل يموت ومن أجل فتاة تشبه الأموات يجب أن تحيا..

ونهضت لتنظر فى عين نوال من جديد وتقول وهى فى طريقها إلى الخارج:

عندك حق.. أنا باعاملها على أنها متخلفة.. بس جنبها ومعاها.. مارميتهاش ورا ضهرى ومشيت..

وأسرعت نوال تمسك بذراعها وهى تقول:

سميحة.. مش بعد السنين دى كلها يبقى هو دا اللى بينا.. سميحة أرجوكِ..

وأدارت سميحة عينيها لترى دمعة تسقط من عين نوال.. وشعرت بشىء لا تعلم من أين جاء.. شىء كالحنين.. شىء كالشوق.. شىء يعلن فى ألم أن الدماء فى العروق تهفو إلى بعضها.. لكنها نفضت ذراعها من بين أصابع نوال وقالت فى سخرية مريرة:

ياه يا نوال! بتبكى؟! يا ترى الدمعة دى عايزة تقول إيه؟ بتحبينى؟! طب ليه استنيتِ لما آجى لغاية عندك عشان تبكيها؟! وحشتك؟! كان



نفسك تشوفيني؟!

عارفة؟! يمكن لو جريتي أول ما عرفتِ وجودي في بيتك يمكن كان يبقى بينا حاجة تانية.. لكن.. حطيتِ روچ وسرحتِ شعرك وكمان برفان.. طلبتِ قهوة وسجاير وبعدين خرجت تقابليني.. إحنا ما فيش بينا حاجة.. دا حتى الكره مالوش معنى ولامكان..

وقبل أن تمضي إلى طريقها فتحت كفها لتضع تلك الورقة الصغيرة بجوار قهوة نوال وقالت وصوتها يقطر دمعاً وألماً:

الورقة دي اديها لابنك.. قوليله إن اللي كان بيغازلها تبقى اخته.. قوليله دي سميحة أخت رباب!

■■■



انحنت عزيزة ومدّت يدها السمراء ليضع فيها الحاج محروس راتبها الشهرى وتمتمت قائلة:

شكراً يا حاج..

وارتطمت أصابعه بصدرها كأنه لا يعنى ما فعل.. واستدارت لتقف مكانها كأنها لم تشعر بما فعل.. لكنه نهض من على كرسيه وتقدم نحوها قائلاً:

قلتى إيه؟! فيه شقة فاضية فى خلوصى عالشارع تانى بلكونة.. أربع أود وصالة.. برحة يابت وكبيرة.. اشتريها من بكرة باسمك.. قلتى إيه؟!

ورفعت عزيزة عينيها لتقول كأنها تتوسل إليه:

والنبى يا حاج محروس افهمنى.. أنا مخطوبة.

وقاطعها قائلاً بصوته الأجش:

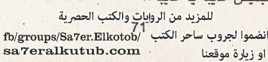
مخطوبة إيه؟! طيب أقولك حاجة.. خليكى مخطوبة.. بلاش جواز عرفى.. ناخد الشقة نريح فيها ساعة الغدا بتاعة المكتبة وياستى لما يجيى خطيبك اتجوزى.

وسقطت دمعة من عين عزيزة لتقول:

الله يسترك يا حاج.. دا أنا شايلة المكتبة لوحدى.. وبخاف على مالك زيك واكتر يا حاج.. كل اللى طالباه تنسى الحكاية دى أبوس إيدك..

ونظر إليها الحاج محروس بعينيه الجاحظتين ومد يده ليدق على رأسه الصلعاء كأنه يقاوم الجنون ثم قال بصوت قاس:

مكتبة أيه؟ دا أنا متهيألى إنى سايبها عشانك.. على العموم فكرى.. فكرى وما تبقيش خايبة يا خايبة..





ونهض عن كرسيه ليغادر المكتبة وككل مرة يحضر فيها.. ككل مرة يغادر فيها توجه إلى حيث تقف عزيزة خلف بنك المكتبة متظاهرا أنه يلتقط شيئاً ما من خلفه ليمر بكفه الأسمر الخشن على أردافها ثم قال فى سماجة وصوته يدق أذنيها فى بشاعة تفوق بشاعة اسنانه السوداء قائلاً:

برضة مش حامشيّكى يابت وبرضة مش حاعمل حاجة غصباً عنك..بكرة تجيلى بنفسك يا عزيزة بس ساعتها أنا اللى يمكن أقولك مايلزمنيش..

وابتعدت عزيزة عنه فى هدوء حيث انقذها طفل صغير دخل من باب المكتبة يطلب شراء بعض المستلزمات لترقب الحاج محروس وهو يخرج منها بجسده الضخم ملوحاً لها بالتحية.

وبعد لحظات جلست عزيزة على مقعدها ووضعت وجهها بين كفيها وبكت.. لماذا لا تنقطع عن الحضور؟! لماذا لم تقذف بمفاتيح المكتبة فى وجه هذا الرجل الكريه! ولكن أين تذهب؟! لم تجد عملاً آخر.. لا عمل آخر يمنحها المبلغ الذى يمنحه إياه الحاج محروس.. يعطيها سبعمائة جنيه كل شهر.. لا أحد فى عائلتها يعلم هذا.. جميلة أمها تعتقد أنها تأخذ أربعمائة جنيه فقط، ورغم هذا هى سعيدة بعمل عزيزة.. أين تذهب إذن؟! هى تعلم أنه لن يؤذيها.. هى فقط عليها أن تتحلى بالصبر وتحتمل يده التى ترتطم بجسدها من حين لآخر.. كلاهما يتظاهر بأنها صدفة وغير مقصودة.. لقد أدخرت ستة آلاف جنيه ووضعتهافى دفتر توفير البريد.. ستضعها على ما ادخره سعيد أو ربما تعينه فى شراء الشبكة أو الشقة.. عندما يعود ستترك المكتبة.. ستبصق فى وجه هذا العجوز المتصابى يوم عودته.. بل إنها



تحلم بأن تخلع فردة حذائها وتلطمه على وجهه يومها.. يوم عودة سعيد ستتغير الأرض بأكملها.. سترحل عن جميلة وتعليقاتها الساخرة.. سترحل عن سيد الذى يسخر منها دوماً كلما رآها.. يوم يعود سعيد وتتزوجه لن تسكن فى شبرا بأكملها.. ستذهب بعيداً.. أرض اللواء أو ربما ميت عقبة.. كرهت هذا الحى بأكمله.. لن تأخذ من هذا الحى سوى سعيد وأمه.. أمه الطيبة، لقد أخبرتها أنها هى الأخرى تحلم بذاك اليوم الذى تبتعد فيه عن سيد.. لقد أخبرت سعيد عن النقود التى ادخرتها عزيزة لكنه أقسم أنه لن يأخذها بل لقد قال لها إنه حتى لن يدعها تشترى بها أياً من مستلزماتها.. سيحضر لها كل شىء معه من «السعودية»..

وأغمضت عينيها وهى تتذكر سعيد بقامته الفارعة وشعره القصير وعينيه السوداء الحانية وانتفض جسدها وهى تسمع رنين هاتفها الصغير يغنى بصوت محمد رشدى.. «متى أشوفك يا غايب عن عينى».. ومدت يدها إنه سعيد.. سعيد!! كأنها استحضرته بشوقها.. بذكرياتها.. استحضرته بضعفها وخوفها وقالت فى لهفة:

سعيد.. حبيبى يا سعيد..

وقال فى حنان:

أوعى أكون معطلّك.. الحاج صاحب المكتبة عندك؟!

وقالت فى خجل كأنها تخشى لو كان سعيد رأى ما حدث..

لأ.. دا لسه ماشى.. حاشوفك امتى يا سعيد.. أنا خلاص مابقتش قادرة.. أرجوك ترجع.. ارجع يا سعيد ارجع.

وجاءها صوته من جديد يقول فى ألم:

نفسى يا عزيزة نفسى.. هانت.. سنتين كمان يا عزيزة.. اشترى



شقة بس وبعد كده اشتغل سواق اشتغل عتال فى مصر.. اشتغل أى حاجة بس ابقى معاكى ومع أمى.. خدى بالك منها وحياة سعيد عندك.. اسمعى.. اسمعى حاكلمك تانى.. الاستاذ عبدالعزيز عايزنى.

وغاب صوت سعيد من جديد.. غاب كأنه جاء فقط ليخبرها أنه معها وسقطت دموعها من جديد.. غربة وألم وخوف.. ذل ومهانة تحتملها هى ويحتملها هو.. هى فى قارة وهو فى قارة أخرى.. الحاج محروس يطمع فى جسدها وهى لا تملك إلا أن تحتمل.. والاستاذ عبدالعزيز وعائلته هناك يسحقون عمر سعيد وصحته.. كل هذا من أجل حوائط تجمعهم.. جدران من طوب وأبواب من خشب.. كم عام مر.. عامان ومازال عليها أن تنتظر عامان آخران.. هل يتركها الحاج محروس عامين آخرين.. هل تتركها جميلة عامين آخرين.. وهل يقبل الأسطى حسين عامين آخرين - وهى.. هل تستطيع مضغ كرامتها والسكوت على كل هذا التحرش والمهانة عامين آخرين.. كل هذا من أجل جدران من الطوب وأبواب ونوافذ من الخشب؟!

ووضعت هاتفها الصغير فى حقيبتها وامسكت بالأوراق السبع التى منحها إياها الحاج محروس وبكت.. أصبحت الأوراق تُشترى لا بالعمل والعلم لكن بالمهانة والاجساد.. بالشباب والغربة.. لكن عزيزة لم تفرط فى جسدها.. ما يفعله الحاج محروس ليس انتهاكاً لجسدها وما تسكت هى عنه ليس خيانة لسعيد.. سعيد ليس زوجها بعد.. والحاج محروس رجل عجوز احمق.. لن تدفع هى ثمن حماقته.. انها بحاجة الى العمل.. بحاجة الى النقود.. النقود؟! وتنهدت فى ألم.. هل تراه يمنحها النقود من أجل العمل؟! حتى إن لم يكن يمنحها النقود من أجل العمل.. يكفيها ويرضى ضميرها أنها هى تعمل بهذه النقود.. هى التى



تفتح المكتبة بنفسها كل صباح.. هى التى ترفع بابها الحديدى الثقيل وحدها.. هى التى تنظفها وتمسح بلاطها.. هى التى تبيع وتكتب كل ما باعته.. هى التى تستلم البضاعة وتكتب قائمة بالمستلزمات الناقصة.. هى التى استحدثت اشياء تبيعها فى المكتبة.. لقد طلبت من الحاج محروس أن يورد لها بعض الدببة الحمراء والزهور البلاستيكية الصغيرة.. لقد تعلمت كيف تغلف الهدايا.. وقامت ببيع الكثير من هذه الدببة فى أوراق حمراء فى عيد الحب.. بل إنها أيضاً جعلت فى المكتبة ركناً صغيراً تبيع فيه بعض أصابع الحلوى والشيكولاتة.. الأطفال عندما يحضرون لشراء الأقلام والكراسات يشترون بعض أصابع الحلوى.. لقد زاد دخل المكتبة على يدها.. بل إن معظم رواد المكتبة من سكان شارع خلوصى وما حوله يحضرون من أجل ابتسامتها الطيبة وأمانتها.

إنها تقضى عمرها كله فى هذا المكان.. من الثامنة وحتى الثامنة.. ليلى وهناء وسعاد صديقاتها يتبادلن الزيارات ويذهبن إلى السينما وإلى المحلات ويأكلن الآيس كريم عند مدبولى وهى لا تفعل شيئاً سوى عملها فى المكتبة.. حتى عندما تعود إلى البيت تجد نفسها منهكة لا شىء أمامها سوى أن تأكل نصيبها الذى تتركه لها جميلة ثم تغسل أوانى الطعام المتراكمة.. جميلة تقول إنها يجب أيضاً أن تتحمل جزءاً من أعباء المنزل.. انها تمنح أمها مائتى جنيه كل شهر ورغم هذا تغسل الصحون ويوم الجمعة يوم اجازتها الوحيد تقوم بتنظيف المنزل مع سماح اختها الأصغر منها، وتغسلان أكواماً من الملابس، وفى المساء تذهبان إلى زيارة جدتهما فى روض الفرج أيضا لتقوما بإعداد طعامها وتنظيف بيتها.. إنه واجب تجاه جدتهما كما تقول جميلة..



عزيزة لا تقول «لا» ابداً.. كل هذا حتى تتركها جميلة دون تحرش.. دون سخرية دون أن تثير الاسطى حسين ضدها ليجد لها زوجاً بدلاً من انتظار سعيد.. انها خادمة مثل أم سعيد بل ربما كانت أم سعيد أحسن حالاً منها.. أمْ سعيد خادمة لدى الدكتور دياب وبناته.. أما عزيزة فهى خادمة فى بيت أبيها.. خادمة تدفع أجراً شهرياً.. خادمة لدى جدتها.. خادمة تمسح الأرض لدى الحاج محروس وتدفع له أيضاً من كرامتها ومن جسدها.. ألا تلتهم عيناه جسدها كلما جاء.. ألا يتحسس أردافها كل يوم.. ألا ترتطم أصابعه السمينة واظافره الطويلة بصدرها.. ألا يلقى فى أذنيها بتعليقاته السمجة ونكاته الوقحة.. أليس هذا كله ثمناً تدفعه من أجل سبع ورقات.. ألا تستحقها بعد كل هذا؟!

ورفعت عزيزة رأسها إلى السماء وهمست:

سامحنى يارب سامحنى.. أروح فين بس؟!

الفقر دائرة مغلقة لا يمكن الخروج منها.. الفقر مرض يجب أن نحتمل آلامه وأعراضه حتى يكتب لنا الله منه الشفاء أو الموت، ولكن هى لن تموت.. ستصبر.. ستحتمل.. ليس كثيراً ليس طويلاً.. عامين وربما أقل عندما يعود سعيد ستتحرر.. عندما يعود سعيد ستشفى عزيزة من مرضها.. ستشفى وتستعيد كرامتها الضائعة!

الفقر لن يقتلها.. الحب سيسكن الآلام.. لن تدع الفقر أبداً يقتلها.. ستحتمل.. وستشفى.. بعد عامين فقط ستشفى..

وأعادت الأوراق الأربع إلى حقيبتها بعد أن خبأت ثلاث ورقات فى سوستة الحقيبة الداخلية.. فى الصباح ستمر على مكتب البريد وتودعها هناك.. لن تدع الفقر يقتلها.. لكن انقبض قلبها وهى تسأل نفسها كم فقيراً على وجه الأرض شفاه الله من فقره.. حتى وإن كانوا



قلائل.. سعيد سيجعلها واحدة منهم.. سعيد بعد عامين سيحررها ويشفيها من مرضها المزمن الذى يكويها بألمه..

عامان.. عامان فقط يارب..

عامان ستعود هى بعدها عزيزة الطاهرة النقية التى لا يلمسها أحد ولا يطمع فى جسدها أحد سوى سعيد زوجها .. عامان وتصبح عزيزة أطهر زوجهة على وجه الأرض!

■ ■ ■



دخلت سميحة إلى غرفة رباب فى هدوء بعد طرقات صغيرة نقرتها على بابها.. اعتادت أن تطرق بابها قبل الدخول رغم أنها تعلم أن رباب لن تجيب ودخلت لتجدها كعادتها تجلس على السجادة الكبيرة الموضوعة فى وسط غرفتها.. تجلس فى هدوء تلعب بتلك الدمى الكثيرة المتناثرة حولها.. وككل مرة تدخل فيها سميحة ذهبت لتجلس إلى جوارها على الأرض ورفعت رباب عينيها السوداء الواسعة تنظر إلى سميحة فى هدوء فارغ.. ومدت سميحة أصابعها الرقيقة لتضعها على شعر رباب الأسود القصير ثم أخذت تمسح على رأسها فى حنان.. فى غرفة رباب تشعر سميحة أنها تعود طفلة تلعب بالدمى مع رباب.. تتحدث عن كل ما يدور فى رأسها وقلبها دون خجل.. دون خوف ودوماً بعد أن تنتهى تنظر إلى عين رباب كأنها تستنبط منها الرد.. كأنها تهتدى بنظرة عينيها.. سميحة تؤمن أن بينهما لغة.. بينهما حواراً أحد طرفيه مسموع والآخر مقروء.. ومدت يدها تمسك بإحدى الدمى الصغيرة وقالت وهى لا تنظر إلى رباب:

بابا حيموت.. تصورى حيموت يا رباب..عمرى ما فكرت أن دا ممكن يحصل.. كلمة تانية حتسقط من قاموس حياتنا وحيبقى مستحيل نستعملها.. سقطت كلمة «ماما» زمان وكمان شهر ولا اتنين حتسقط كلمة «بابا».

كان صوت سميحة هادئاً رقيقاً ملوناً بالدمع وكانت رباب مازالت تمسك بدمية صغيرة بين أصابعها لكنها توقفت عن اللعب بها كأنها حقاً تستمع إلى كل ما تقوله سميحة التى عادت تكمل فى صوتها الهادئ الباكى:

أنا كلمت رؤسائى النهاردة.. حاخد اجازة من غير مرتب.. سنة



يارباب.. سنة.. تفتكرى سنة كفاية عشان أقدر أفوق وأقف تانى بعد..

وتهدج صوتها بالدمع ورفعت عينيها تنظر إلى وجه رباب الأبيض الهادئ لترى خط اللعاب النحيل يسيل على حرف شفتيها وانتفضت فى جنون تمد يدها إلى علبة المناديل التى تضعها أم سعيد فى كل مكان حول رباب فهى تعلم كم يثير سميحة ألا تجدها..

وسحبت منديلاً مسحت به ذاك الخط النحيل ونظرت إلى عين رباب وعادت تقول:

أنا عايزة أعمله كل اللى بيحبه.. عايزاه يعيش يا رباب كل العمر اللى ضيعه علشان إحنا نعيش.. أنا من النهاردة حانام جنبه وأخرج معاه كل مشواريه.

وشعرت أنها تختنق.. شعرت أنها هى التى تموت كلما تذكرت أن دياب يموت.. شعرت أن صوت بكائها سيعلو.. إن قلبها سيتحطم ويصدر أصواتاً كقطع زجاج أصابتها قذيفة من قذائف عدوان كبير غاشم.. فوقفت بسرعة وعادت تنحنى لتربت على رأس رباب التى بدأت تهمهم فى أحرف كثيرة تفهمها سميحة ولكن لا تشكل معنى مترابطاً أبداً وسارت نحو الباب فى هدوء والتفتت قبل أن تخرج لتنظر إلى رباب التى كانت تتبعها بعينيها وقالت:

فيه حاجة كمان عايزة أقولك عليها.. أنا رجعت الفلوس لنوال بس ياريتنى مارحت.. ماقدرتش أكرهها.. ماعرفتش أوجعها.. بالعكس يا رباب أنا فى ثانية اتمنيت لو أقدر.

وطأطأت رأسها لتسقط دمعة ثم قالت:

أنا كل اللى حقيقى عايزاه ومحتاجاه مش باقدر أبداً عليه!





نظرت سميحة إلى مرآتها بعد أن مرت بقلم روج من اللون الهافان على شفتيها.. انها جميلة.. ترتدى «بولونيك» فى لون قشرة برتقال صيفية وبنطلون جينز اسود.. ومرت بأصابعها بين طيات شعرها ثم التقطت معطفها الأسود الصوفى الذى يقف عند حدود ركبتيها ووضعت فى طياته هاتفها الصغير وعلبة سجائرها ورفعت رأسها وهى تحاول ان تبتسم.. ستخرج مع دياب إلى نادى الجزيرة.. أخبرها أنه بحاجة إلى أن يمشى قليلاً فى تراك النادى، وبعد النادى ستصطحبه إلى «لو كرنفال».. هى تعلم كم يحب تناول «كريب بالما رون».. هى أيضاً تحب تناوله فى «لو كرنفال» وعادت تتذكر كلمات دياب عندما حدثها عن الأشياء الصغيرة التى تسعد القلوب وتنير حناياها ورغم هذا نسـاها.. ما بقى من الوقت ستكرسه هى لهذه الأشياء الصغيرة التى تحبها والتى تعلم أن دياب يحبها.. وجاءها صوته من بعيد ليطل بعدها فى غرفتها..

هو الآخر كان أنيقاً يرتدى قميصاً من الكاروه البنى الصوفى وبنطلون اسود وحذاؤه لامع كالعادة وكوفية صوفية كانت سميحة اهدتها له فى أحد أعياد ميلاده وخطت نحوه فى حنان وهى تقول:

شايل البالطو ليه على إيدك.. البسه.

وابتسم وهو يقول:

الجو النهاردة حلو يا سميحة.. انا واخده عشان لو سقّعت بالليل.

وقالت فى ابتسامة صغيرة:

خلاص أنا كمان اقلع البالطو بتاعى..

واقترب منها ليقبلها فى حنان وهو يرتدى معطفه ليمنعها من خلع معطفها ووضعت ذراعها بين ذراعيه لينطلقا إلى خارج البيت فى



هدوء.. كلاهما سعيد بصحبة الآخر وكلاهما حزين لفراق الآخر.. كلاهما يعلم أن اللقاء تأخر والفراق جاء مبكراً.. جاء يطل برأسه هنا أو هناك ولكن من يقول إن الفراق لا يختبئ خلف أبواب اخرى كثيرة سكانها فى غفلة من أمرهم!

عندما دخلا من بوابة نادى الجزيرة تنهد دياب فى راحة.. إنه يحب هذا المكان.. مازال كلما دخله يرى شبابه.. يرى نوال إلى جواره أو يراها تركض خلف سميحة ودراجتها الصغيرة.. مازال يرى نفسه وهو يقص شعره عند «صبحى» حلاق النادى أو ينتظر سميحة بعد أن أنهت تدريب السباحة أو البيانو وشرد بذهنه وهو ينظر نحو «الليدو» الذى اعتاد شُرب القهوة فيه منذ أعوام.. يعلم أن أصدقاءه هناك سيفتقدونه لكنهم فى الليدو اعتادوا سقوط الاسماء اسماً تلو الآخر.. لكن لا أحد منهم يتوقع سقوط اسم دياب ابداً.. مازال صغيراً.. وابتسم فى مرارة.. ليس شاباً لكنه أيضاً ليس كهلاً..

وافاق على سميحة بعد أن أوقفت سيارتها أمام جزيرة الشاى وسار إلى جوارها نحو «التراك».. قررا المشى قليلاً قبل أن يجلسا لتناول مشروب ما.. وفى التراك مد دياب يده لتشتبك أصابع سميحة بين أصابعه فى حنان..

كان الجو بارداً لكنه ليس مخيفاً.. كان عدد السائرين فى التراك ليس كبيراً مما أعطاهم الفرصة للسير بهدوء والحديث بحرية وشعر منصور برغبة كبيرة فى الحديث.. رغبة لم يقاومها لحظة فانطلق يقول فى صوته الهادئ الرزين:

عارفة يا سميحة.. الحياة زى التراك دا.. كل الأحياء بيمشوا بس ناس بتمشى عشان تخس وناس بتمشى عشان تحافظ على صحتها



وناس بتمشى غصباً عنها مجاملة للى معاها او تعليمات دكتور.. وناس بتمشى استعراض لقوتها وصحتها يمكن كمان طريقة المشية بتختلف.. واحد تلاقيه بيمشى بسرعة وجد وواحد بيدلع.. وواحد تانى بيجرى.. وفيه ناس بتتعب وتخرج بدرى وناس بتخرج وهى قوية حتى بعد ما مشيت كتير.. لكن فى النهاية كله بيمشى جوا وكله بيمشى من جوه لبره.. كله بيمشى وكله فى لحظة لازم يسيب التراك عشان غيره يدخل ويمشى.. ويفضل التراك هو هو والأسباب هى هى.. الوشوش بس هى اللى بتتغير.. لكن الحواديت ثابتة والقانون واحد.

وضغطت سميحة بأصابعها على أصابعه فى حنان وهى تصغى كأنها تحاول أن تحفر صوته وكلماته فى رأس ذاكرتها وعاد دياب يكمل قائلاً:

أنا عشت ماشى فى التراك عشانك أنت ورباب.. بس مش عارف ليه حاسس إنى ما مشيتش صح يا سميحة.. لا أنت سعيدة ولا رباب قدرت أعملها حاجة..

وقاطعته سميحة قائلاً:

انت عملت كل حاجة.. حتى لو أنا مش سعيدة مش انت ابداً سبب تعاستى.

وقاطعها دياب فى صوت بدأ يتلون بالإجهاد:

ولا نوال يا سميحة ولا عمرو جابر.

وشعر بانتفاضة أصابعها بين أصابعه فضغط عليها فى قوة وأكمل قائلاً:

نوال مش سبب تعاستك.. نوال حاولت تهرب من التعاسة لأنها أكبر من امكانياتها الذهنية والعاطفية.. نوال رقيقة هشة.. عارفة؟! فيه



ناس تخاف تروح للدكتور تقوم تكتشف إنها مريضة.. دا نتيجته انها ممكن تموت بمرضها.. فيه ناس تواجه مرضها تقوم تقدر تتعالج وممكن تخف من الألم.. اللى بيهرب أله أكبر.. لأنه بيتوجع من المرض وبيتوجع كمان من الخوف والترقب والضعف اللى جواه.. نوال بتتألم يا سميحة زينا واكتر.

ولم تقاوم سميحة سؤالاً كان يتجول فى صدرها منذ أعوام فقالت فى صوت خفيض:

لسه بتحبها؟!

وانتفضت هذه المرة أصابع دياب بين أصابعها وشعرت به يتألم فعادت تقول:

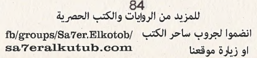
أنا آسفة يا بابا.

وقاطعها قائلاً:

أيوه بحبها.. زمان كنت بأقول إنى رفضت دخول ست تانية حياتى وقلبى علشانك وعلشان رباب.. لكن لأ يا سميحة أنا بحبها.. عشت على الذكريات.. عشت سنين زى المراهقين أضم المخدة بين ايديا واستنى أحلم بيها فى نومى.. أوقات كنت أحس إنى باعاقب نفسى وباستمتع بعذابى.. أنا كمان ضغطت جامد على جرحها.. لما طلبتك يا سميحة قلتلها رباب معاها.. لما حبت ترجع قلتلها رباب معانا.. كنت بادوس على الجرح.

وقاطعته سميحة قائلة:

رباب مش جرح يا بابا.. رباب بنتها.. هو أنا لو دراعى اتحرق أو اتشوه أقطّعه؟ أجيب سكينة واقطعه يا بابا؟ أبداً حيفضل دراعى.. حيفضل حتة منى حاخاف عليه من لسعة عود كبريت.. حادفيه لو



برد .. وحاغسله وأنا باغسل جسمى..
ونكس دياب رأسه فى ألم ليقول:

بس حا تخبيه يا سميحة.. حتلبسى كم طويل.. حتحاولى ما يظهرش قدام الناس.. أوقات اللى بيوجعنا مش الألم اللى جوانا.. أوقات اللى بيقتلنا الألم اللى بيحاصرنا من بره.. الناس يا سميحة بتهرب من أوجاعها بالخروج.. بالناس.. لكن لما الألم يحاصرك من جوه وبره مش كل انسان بيقدر يتحمل وأنا قلتلك نوال هشة ضعيفة.

وشعرت سميحة أن دياب أصابه الإرهاق فلم تكمل حديثها وسارت به إلى خارج التراك ليجلسا معاً على إحدى طاولات جزيرة الشاى وبعد ان استقرت على مقعدها قال لها دياب فى حنان:

قد إيه المشى فى التراك حلو لما يكون معاكِ صحبة.. بصى مافيش حد ماشى لوحده.. حتى لو كان فيه واحد او اتنين لوحدهم.. حتلاقيهم بيخرجوا اسرع او بيحاولوا يعملوا اى حاجة تحسسهم انهم مش لوحدهم..

الحياة تراك مستحيل تمشى فيه لوحدك.

ورفعت سميحة عينيها اليه كأنها تحاول أن تفهم ما يعنيه لكنه عاد يقول:

نوال اتجوزت طاهر عشان ماتبقاش لوحدها.. حاولت تختار صحبة حلوة.. غنية وقوية لأنها برضة ضعيفة وهشة.. اللى عنده صداع بياخد قرص بنادول لكن اللى عنده حرارة بياخد اتنين واللى عنده التهاب بياخد مضاد حيوى.. ارجوكِ يا سميحة حاولى تعذريها.

وقالت سميحة فى مرارة:

زى ما بتعمل انت؟!



وعاد يقول فى مرارة أكبر:

لو ما حاولناش نعذرها وجعنا على حبنا حيبقى أكبر.. ندمنا على عمرنا حيبقى اكتر.. انت كمان بتحبيها يا سميحة..

ورفعت سميحة وجهها فى غضب إلا أن دياب مد يده الرقيقة ووضعها على كف سميحة فى حنان وقال:

حتفضلى طول عمرك بنت نوال.. اقولك تعالى نغير الموضوع..

ولانت قسمات سميحة قليلاً كأنها حقاً تحاول الخروج من حصار نوال الذى تشعر به يسحق عروق دياب فقالت:

أنا مبسوطة قوى إن احنا سوا.. انا حقيقى كنت محتاجة استمتع بيك.. انا بحبك يا دكتور دياب.. بحبك قوى.

ورقصت دمعة فى عين دياب وأخذ يرقب أسراب الأحياء الذين يطوفون فى تراك النادى وقال:

السرطان دا مش نقمة من ربنا.. دا المكافأة اللى ربنا بعتها لى.. كان ممكن أموت وأنا ماشى.. لكن اختارنى عشان اعرف ان الموت قرب.. اقوم ألاقى الفرصة اللى أقعد فيها معاك نتكلم.. اسمعك وتسمعينى.. الفرصة ان سريرى تنام فيه واحدة حلوة زيك.. الفرصة إن راجل على مشارف الستين يسمع كل كلام الحب دا ويشوف كل نظرات اللهفة والخوف دى.. كان ممكن يا سميحة أموت فجأة ونتحرم أنا وانت من كل دا.. تخيلى ربنا قد إيه جميل وبيكافئنا.

وطأطأت سميحة رأسها كأنها حقاً لم تفكر فى هذا.. إنه على حق.. اكثر الاشياء بغضاً وقبحاً قد تكون اكثرها جمالاً وروعة.. وتبعت بعينيها عينى دياب لترقب معه تراك النادى فى تأمل بعيد.. الكل يمشى.. الكل يسير، البعض يسير سعيداً يتباهى بصحته والبعض



يسير خوفاً عليها والبعض يسير هرياً من ألم يتبعه ألم ويسبقه ألم، ولكن الكل يسير والكل يجب أن يخرج.. قليلون جداً هم الذين يعلمون متى يخرجون بالتحديد.. لكن القانون ثابت لا يتغير.. الكل يخرج والكل يتمنى لو كان يستطيع البقاء أكثر.. وجاءها صوته يقول:

سميحة.. زمان نوال طلبت ندور على دار تقبل رباب.. انا رفضت لأنها أمها.. لكن انت يا سميحة مش من حقى ابداً.

وقاطعته سميحة فى حزم:

رباب دى حتة منى يا بابا.. أنا مش هشة ولا ضعيفة يمكن بتوجّع.. يمكن بتألم.. لكن رباب حتة منى وأوعدك انها تفضل معايا لآخر عمرى..

وتهد دياب كأنها علمت حقاً ماكان يريد سماعه.. تنهد كأن وعدها هذا هو إحدى هدايا السرطان الكبرى له وقال كأنه يطلق سراح الآلاف من الكلمات التى طال سجنها داخل صدره:

عمرو جابر مش نهاية الدنيا يا سميحة.. انت كمان غلطتى لما خبيتى عليه..

وقاطعته سميحة وهى تحاول ألا يرى دياب خناجر الألم التى بدأت تتلاحق على روحها:

حبيبى.. أنا مش حزينة على عمرو.. أنا حزنى كله كان على ضعفى.. على سنين نسيت أقول فيها اسم رباب.. حزنى على عقدة بقت جوايا عارفاها ولامساها بصوابعى لكن مش قادرة أحلّها.. حزنى على رباب اللى ماخدتش حقها.. ليه مش بتخرج معانا؟! ليه ماعندناش أصدقاء ومعارف وزيارات فى بيتنا.. حزنى على حتة مننا بنتعامل معاها على أنها خطيئة.. عارفين وفاهمين لكن برضة



عاجزين.. عمرو جابر هو اللى فتّح عينيا على كل دا.. لكن لسه ايديا مربوطين.. لسه ايديا مقفولين يابابا.. بس قلبى وعقلى وضميرى عارف ان رباب حتة منى ومنك ومن نوال كمان..

عمرو مابقاش قضيتى.. قضيتى من ساعتها مع نفسى.. ما تخافش علينا ابداً.. أنا مش ضعيفة. بس حتى الأقوياء بيتألموا.

ورفع كفها إلى شفتيه ليقبّلها فى حنان وعادت سميحة تسحب كفه النحيل لتقبّله قبلات كثيرة حانية هادئة وجاءها صوت دياب يقول:

أوعدك انى مش حخاف وأوعدك لو زى ما بيقولوا يا سميحة اللى بيموت ممكن يرفرف على اللى بيحبه.. حاكون دايما حواليكم.. لو لقيت أنه ممكن ازورك كل ليلة فى منامك يابنتى حبقى حلم لياليكى.. أوعدك انى لما أموت حاكون أقرب ليكى من دلوقتى.. لو لقيت ذا ممكن حاعمله، ولو ما كنش ممكن حاكون مرتاح ومش خايف لإنى عارف أنك مش ضعيفة.. مش هشة.. قوية ومن حقك تتألمى بس أكيد حتتغلبى على الألم وتقهريه..

وعاد ينظر فى صمت إلى كل الوجوه حوله.. ورآها بطرف عينيه تمسح دموعها بسرعة حتى لا يراها.. وعاد يفكر.. هل تراه يذهب إلى الجنة.. هل الجنة جميلة حقاً.. ولكن هل حقاً سيعلم كيف يستمتع بالجنة وهو بعيد عنها.. لا أحد يعلم.. ربما يذهب إلى الجنة ويكون باستطاعته أن يراها.. يشعر بها ويطمئن عليها.. ورفع رأسه إلى السماء كأنه يدعو الله أن يدعه يراها.. يشعر بها.. يقترب منها ويلمس شعرها الجميل كل يوم ولو مرة واحدة..

يارب.. إن كان على دياب أن يترك هذه الحائرة الجميلة الغارقة فى الخوف والوحدة وحدها فلتكن معنا معاً لأن الألم والخوف من الفراق

يقتلنا..

قد تكون الجنة رائعة حقاً ولكن يبقى الفراق جحيماً كبيراً..

وتسلل إلى أذنيه صوتها وهى تقول:

بابا.. تليفونك بيرن..

وأخرج منصور هاتفه من جيب معطفه ونظر فيه وقال:

نمرة ما اعرفهاش.. ردى يا سميحة أرجوكى..

والتقطت منه الهاتف الصغير وامسك بيدها الأخرى بين كفيه فى حنان وسمعها تقول بعد لحظات:

بابا.. المهندس علاء لطفى..

■■■



انحنت أم سعيد تلتقط ورق الجرائد الملقى تحت سرير سيد، إنه يستخدمه ليلقى عليه آثار لف سجائر الحشيش.. كم يحزنها أن يأخذ كل ما تعمل به لتلتقط هى آثاره من على ورق الجرائد.. إنه يأخذ نقودها المختلطة بدمعها وعمرها ليشترى بها حشيشاً يحرقه ويحرق به شبابه وعمره ثم تنحنى هى فى النهاية وتجمع بقايا عمريهما معاً.. لا فائدة.. لن تحادثه مرة أخرى.. لن ترجوه ولن تهدده وتتوعده.. يجب أن تدع هذه الجمعة تمر فى هدوء.. لا طاقة عندها للصراخ والبكاء.. انها متعبة حزينة.. ستدع اللحظات تمر دون حديث.. لا فائدة من الحديث.. دقائق وينهى «حمامه» ثم يقف ليتأنق ويخرج.. شهور ويعود سعيد لتخرج هى أيضاً من حفرة الرطوبة والمخدرات التى تحيا فيها.. ورفعت الأوراق بعد أن أنهت تنظيف كل آثار مخدرات سيد وأطلقت آهة من ألم ظهرها واعتدلت لتراه يرتدى ملابسه.. إنه حتى لا يشبهها ولا يشبه سعيد أو أباه.. إن بشرته بيضاء وعينيه مشروطتان بنية وحاجبيه صغيران وأنفه مستقيم.. حتى شفتيه رفيعة مستقيمة وابتسمت فى مرارة كل شىء فى سيد مستقيم إلا شعره الأكرت وسلوكه المائل.

ونظر إليها بطرف عينيه وهو يغرق شعره فى «الجيل» قائلاً:

النهاردة يوم مفترج.. شوفيلنا قرشين حلوين معاكى يا أم سعيد..

ورغم أنها قررت ألا تتحدث.. ألا تلوم لكنها لم تستطع، فقالت فى تهكم:

أنت كل أيامك مفترجة.. كل أيامك جمع يا سيد.. خد اللى معايا أهو عشرة جنيه.

والتفت ينظر إليها وهى ترتدى جلابية من القطيفة الخضراء



القديمة ثم قال محاولاً أن يكون هادئاً:
عايز مية جنيه..
ولطمت أم سعيد خديها وهى تقول:
حرام عليك.. مية جنيه؟! يابنى أنا باشقى طول الشهر وباخد ستمية جنيه.. يابنى حرام عليك.. شوفلك شغلانة بقى أنا تعبت..
لكنه اقترب منها فى هدوء قائلاً:
مش ذنبى انك بتشتغلى عند ناس قيحة.. عايز مية جنيه..
وطافت دمعة بعين أم سعيد لتقول فى انكسار:
الدكتور منصور عيان وحيموت ويمكن الست سميحة تمشينى أنا ماحدش حيرضى يشغلنى فى السن دى.. حنشحت ياسيد يابنى أبوس إيدك ارحمنى..
وكأن سيد لم يسمع حرفاً مما قالت فعاد يكرر:
ادينى مية جنيه ولما سعيد يبعتلى فلوس حاردهملك.
وصاحت أم سعيد كأنها تحتمل كل شىء إلا أن يقترب من سعيد..
صاحت كأنها نمرة اقترب من صغارها صياد أحمق:
ابعد عن سعيد وفلوسه ياسيد.. ابعد عن شقاه وغربته ما تخلنيش ادعى عليك فى يوم جمعة.
ونفد صبر سيد فاقترب منها ليقول فى فجاجة:
ماتخلنيش أنا اتجنن عليكى فى يوم جمعة.. عايز مية جنيه.. بصى.. شوفى.. نعل جزمتى مقطوع.. عايز اشترى جزمة.. عارفة أنتى جزمة بكام النهاردة؟!
وقاطعته وقد بدأ صوتها يعلو هى الأخرى في جنون:
جزمة إيه يا سيد؟! دا أنا فى الشتا دا وباخرج من البيت الساعة



سبعة كل يوم لابسة شبشب وتحتيه شراب..

وأطبق سيد على ذراعها فى جنون وهو يصيح:

زهقت من موال كل يوم دا.. يلعن ابو العيشة.. خليهم خمسين وخلصينا..

ومدت ذراعها إلى صدرها لتخرج بعض من الورقات ذات العشرة جنيهات وقبل أن تحاول عدهم أطلق سيد سراح ذراعها والتقطها لينطلق وهى تصيح..

ياسيد.. والله ما حيلتى غيرهم سيب لى حاجة اركب بيها بكرة وأنا رايحة الشغل.. يا سيد..

لكنه لم يجب.. صفق الباب خلفه وانطلق ليترك خلفه رائحة عطره الرخيص النفاذة تملأ البيت وتملأ صدر أم سعيد بمزيد من الحزن والغضب.. يئست منه ويئست من حياتها.. لماذا يموت منصور وتبقى هى على قيد الحياة.. لقد أخبرتها سميحة أن مرضه خطير وأنه سيموت.. رباب وسميحة بحاجة لمنصور.. أما هى فسعيد وسيد بحاجة لموتها.. إن ماتت سيصبح عبء سعيد أخف وحياته أسعد.. وسيد سيضطر لحظتها للعمل.. حتى لو لم يعمل وسرق أو قتل سيدخل السجن ولن تراه.. لن تتعذب عندها.. لن تلوم نفسها.. لن تشعر أنها فشلت فى تربية أبناء عبدالصمد.. لماذا لم تمت هى؟! لماذا يموت منصور وتبقى أم سعيد؟!

ورفعت أم سعيد رأسها إلى السقف.. فى هذا البيت لا أحد يرى السماء.. ربما لهذا السبب لا تراهم السماء هى الأخرى ربما لهذا نستهم الرحمة ولكن ألا يقولون إن الله يرى حتى النملة إن كانت داخل جحرها ويرزقها.. هى ليست نملة.. انها امرأة.. امرأة خلقها الله.. أم



عملت خادمة وأنشأت رجالاً.. أحدهما لا حظ له والآخر لا رجولة فيه..

لِمَ تنساها السماء.. وعادت ترفع وجهها إلى السقف وصرخت:

يارب.. أنا مش طالبة غير الموت.. هو حتى الموت كتير على واحدة زيي؟!

■■■



يجب أن تكون جميلة أنيقة.. حتى إن رفضها علاء يجب أن يرفضها وهو يتألم ويتحسر على جمالها.. وارتدت سميحة چوب من التريكو التى تحتضن جسدها فى إحكام وعلى أحد فخذيها فتحة طويلة تظهر جمال ساقها التى تطل ملفوفة فى جورب أسود خفيف.. الچوب التى اختارتها فى لون قشرة باذنجانة لا تستطيع ابداً أن تعلم لونها الحقيقى، فلونها أسود لكنه يتمايل فى احمرار بعيد وكأنها حين لامست جسدها الجميل أصدرت موجات من لون بنفسجى فيه حُمرة خجل كأنها كانت تداعب جسد سميحة ولا تستطيع الصمود أمام إغراءات جلدها الأبيض البض.. وعندما أغلقت سميحة حمالة صدرها السوداء نظرت إلى مرآتها على صورة صدرها المستدير.. هل تتزوج حقاً علاء؟! هل تحتوى كف صدرها كما اعتادت كفا عمرو يوماً أن تحتويه.. وتنهدت فى حزن.. لا شىء على الأرض واضح أو محدد.. مازالت تستعيد عمرو رغم إيمانها بسقوطه من عينيها ورأسها.. وتعلم أنها تحب أحمد زهدى وتريده، وها هى تقف لتختار ملابسها فى دقة لتلتقى رجلاً ثالثاً لا تعلم عنه شيئاً.. تستحضر عمرو وتعشق أحمد وتستعد للقاء علاء.. كل هذا يحدث وهى تستعد لوداع أغلى وأحب رجل إلى قلبها.. منذ عرفت باقتراب نهايته وهى تستعيد قصتها مع عمرو أكثر.. منذ علمت باقتراب رحيله وهى تحلم بأحمد أكثر وتتمناه بجنون لم تعد تقاومه.. وها هى بعد أن علمت باقتراب رحيله توافق على ما كانت ترفضه.. سميحة تستعد لزواج صالونات قد يتم وقد لا يتم.. انها لا تفهم لكنها ايضاً لا تقاوم شوقها لعمرو ولا حبها لأحمد ولا رضوخها للقاء علاء لطفى بعد لحظات..

وانحنت تلتقط بلوفر فى لون قشرة ليمون باهتة لترتديه وتطلق



شعرها.. مازالت تصر أن تكون جميلة مثيرة.. ان رفضها سيتألم وإن هى رفضته أيضاً يتألم.. لم تعد تحتمل أن تكون وحدها من تتألم.. ووضعت قطرات من عطر «جوتشى» على عنقها الجميل وخلف قرطها الماسى الصغير الذى لم تخلعه منذ أعوام طويلة وسمعت جرس الباب يدق ورفعت حاجبيها فى هدوء وكبرياء ثم انحنت ترتدى حذاء أسود له كعب ٥ سم.. به ستصبح أكثر طولاً.. ستصبح حوالى ١٦٥سم.. وقبل أن تتجه نحو باب غرفتها دخلت أم سعيد بعد طرقة واحدة لتقول لها فى انبهار:

الباشمهندس وصل.. ما شاء الله يا ست سميحة يارب يجعله من نصيبك.. راجل زى الفل.. الدكتور منصور قاعد معاه فى الصالون..

وتحركت سميحة فى هدوء وقبل أن تغادر غرفتها قالت فى صوت هادئ:

كمان عشر دقائق هاتى رباب تقعد معانا يا أم سعيد..

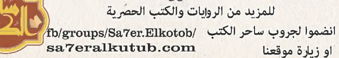
وقالت أم سعيد فى سذاجة:

ما بلاش.. الست رباب يمكن تكون نايمة..

والتفتت إليها سميحة لتقول فى صوت قاطع:

عشر دقايق.. لو نايمة صحيها..

ومضت سميحة نحو الصالون.. لا فرحة فى عينيها.. لا سعادة فى قلبها.. لن يهزمها أحد من جديد.. لن ينكسر قلبها مرة أخرى.. رجاها منصور أن تلقاه وهى لم ترفض لأنها هى الأخرى تريد أن ترى نفسها فى عينى رجل لن يذل قلبها إن ذهب ولم يعد.. كان من الممكن أن تنتفض لو كان الجالس فى الصالون هو أحمد زهدى.. كان من الممكن أن تخطو على دقات قلبها ونبض شرايينها إن كان عمرو جابر..



لكن زائر الصالون ليس أحمد زهدى ولا هو حتى عمرو جابر.. القصة تختلف كثيراً.. ودخلت إلى الصالون فى هدوء وخطت فوق السجادة الشينواه السوداء لينهض علاء ويمد يده ليصافح سميحة فى أدب بالغ وفى طريقها إلى الجلوس على الكنبة الخشبية اللّويكانز المذهبة إلى جوار منصور رمقت بعينها طبقاً من الكريستال يضم قطعاً من شيكولاته «باتشى» اصطفت فى أناقة بالفة علمت أنه أحضرها وارتاحت قليلاً فهذا يعنى أنه يعلم ماذا يختار ومن أين يختاره..

ووضعت كفها على كف منصور ورفعت عينيها لتنظر إلى وجه علاء الذى كان يرقبها وهو يحاول أن يبدو طبيعياً لكن كل قطعة فى جسده كانت تعلن انبهاره بسميحة وأناقتها.. وقال بصوت هادئ:

أنا سعيد إنى قابلت صاحبة الصوت الجميل اللى عمرى ما فوّت اسمعه يوم!

وابتسمت سميحة ابتسامة صغيرة وهى تنظر إليه.. من النظرة الأولى كانت تعلم أن علاء لطفى رجل جاد.. طويل عريض الكتفين.. عضلات ذراعيه تكاد تشق أكمام البذلة التى جاء يرتديها.. قمحى اللون فى أواخر الثلاثينيات من عمره.. شعره أسود خفيف قليلاً من الأمام.. عيناه ثابتتان.. أنفه أفطس قليلاً لكنه مقبول.. شفتاه رفيعتان وأسنانه بيضاء منتظمة.. تكره سميحة الشفاه الرفيعة.. وابتسمت ابتسامة اخرى كأنها تخجل من نفسها وهى تفكر فى شفتى رجل لم تمر لحظات على لقائها به.. وعاد علاء يحاول أن يبدد الصمت فقال:

ليه ما فكرتيش فى التليفزيون يا سميحة هانم؟!

ونظرت إليه سميحة هانم لتقول:

أنا طول عمرى بحب الإذاعة.. لكن اتعرض عليا تليفزيون وقنوات



متخصصة وقضائية.. عندك حق.. انا فعلاً فى الاجازة اللى أنا واخداها حاختار حاجة منهم.. التليفزيون أنجح وجمهوره أكبر..

ووقفت سميحة تقدم له كوباً من أكواب العصير التى دخلت تحملها أم سعيد وحين هب ليقف ويأخذه من بين يديها التقت عيناهما من قريب.. رأته يكاد يلتهمها.. ورأت نفسها لا تشعر بشىء فيها يتحرك نحوه إلا أنها أيضاً لا تجد شيئاً فيها يرفضه أو يرفض شيئاً ما فيه.

وسارت أم سعيد لتمنح منصور كوب عصير إلا أنه رفض ونظرت إلى عين أم سعيد كأنها تُذكرها برباب وأرخت الأخرى عينيها كأنها تتمنى لو نسيت سميحة.

ودار بينهم الحديث عن عمل علاء وعن أسرته.. عن القاهرة وازدحامها وقال علاء:

أنا قدامى فيلا هايلة معروضة عليا فى السليمانية فى ستة اكتوبر.. أنا وقعت عليها بحكم شغلى هناك مع المهندس أيمن فى أكثر من مجمع سكنى.. لكن ممدوح أخويا لسه وكيل نيابة ولسه ما بيفكرش فى الجواز دلوقتى.. الحقيقة المهندسين والدقى والعجوزة دول بقوا حريق أعصاب يومى.

وأقبلت رباب ترتدى «ترينينج» رماديا كأنه سحابة شتاء.. وفى قدميها سابو من الصوف الأسود.. اقبلت بخطى هادئة ثقيلة تتبعها أم سعيد فى هدوء وترقب.. رباب تسقط أحياناً وهى تخطو.. ووقف علاء ليصافح رباب لكنها مضت من جواره دون أن تنظر إليه.. وشعر علاء بالحرج إلا أن منصور قال فى صوت خفيض:

اتفضل يا علاء بيه.. أنت عارف رباب بنتى لها ظروف خاصة.. .

ودوت الكلمة فى أذن سميحة.. «انت عارف».. جاء وهو يعلم إذن..



علم وجاء.. لم يخبرها منصور أنه يعلم..

ونهضت سميحة وأجلست رباب على كرسى «كانيه كوربيه» بجوار تلك الكنبة التى تجلس عليها سميحة ومنصور.. وأصبح علاء أمامهم .. هم فى جهة وهو فى الجهة المقابلة كأن سميحة أرادت أن يراهم جميعاً ليعلم أن ثلاثتهم واحد لا يتجزأ.. وعادت ترمقه بعينيها وهو يختلس النظرات إلى رباب التى كانت تتجول بعينيها بين علاء ومنصور كأنها تحاول أن تفهم من هذا الذى تراه.. والتقطت عينا رباب طبق الشيكولا وقامت بخطاها المتأرجحة لتحاول أن تتناول منه قطعة.. رباب كالأطفال فى نقائهم.. فى بساطتهم.. وأيضاً فى عشقهم للحلوى..

ورفع علاء حاجبه رغماً عنه كأنه يحاول أن يفهم ما يدور إلا أن سميحة نهضت بسرعة عن مكانها وهى تقول:

ميرسى قوى يا علاء بيه.. الحقيقة شكلها مغرى جداً.. رباب اشجع واحدة فينا.. ما حاولتش تقاوم.

وربتت على كتف رباب فى حنان وهى تفتح الطبق الكريستال وانحنت تقدمه لعلاء ليلتقط قطعة شيكولاته والحيرة تغزو وجهه وعادت سميحة برباب إلى مقعدها وأجلستها فى هدوء وهى تفتح لها قطعة الحلوى التى أطبقت عليها بين أصابعها وعندما رفعت يدها لتضعها بين شفاه رباب رأت خط اللعاب النحيل واستدارت تبحث بعينيها عن منديل سارعت بالتقاطه لتمسح شفاه رباب فى حنان ثم وضعت قطعة الحلوى بين شفاهها لتستدير من جديد وتكمل ما بدأته قائلة:

اظن أنت كمان نفسك فى واحدة يا بابا وأنا كمان..



ورفع علاء كوب العصير إلى فمه.. سميحة ذكية قوية تعلم ماذا تفعل ورغم الألم الظاهر على ملامحها إلا أنها تعلم كيف تهزأ منه وتحيله إلى نصر صغير.. وابتسم كأنه اتخذ قراراً قائلاً:

أنا عمرى ما شفت اختين حلوين قوى كدا بس برضة مش شبه بعض.

ورفعت سميحة رأسها فى كبرياء وقالت:

لو شبه بعض لازم يكون فينا واحدة أحلى من التانية..

الجمال الحقيقى هو اللى مالوش شبه!

■■■



أيام تمر وسميحة لا تمنح منصور ردها.. أيام وهو لا يلح لكنه يطاردها بعينيه كأنه يرجوها أن توافق.. حادثها علاء بالأمس ودعاها إلى تناول العشاء.. أخبرها أنه استأذن دياب فى ذلك وشعرت هى أن موافقة دياب رجاء آخر لها بالقبول.. تائهة هى ممزقة.. لا تعلم هل تقبل به لتُرضى دياب.. ليرحل وهو أقل خوفاً وقلقاً.. لكن علاء لا عيب فيه.. أخبرها دياب أنه من أسرة طيبة.. ويمتلك ثروة مقبولة ومستقبله واعد كبير.. بل أخبرها أنه يعلم أن رباب ستحيا معه هى وسميحة بعد رحيل دياب.. كم يمزقها أن تسمع منه هذا الحديث.. مازالت عاجزة عن نطق كلمة الموافقة وهى أيضاً عاجزة عن الرفض.. لماذا ترفض؟!

من أجل أحمد زهدى.. هل تُعّرض نفسها لرفضه إن رأى رباب بل هل تحتمل ما فعلته رباب بطبق الحلوى إن جاء به أحمد زهدى.. لكن شيئاً ما فى عين علاء يوم رأى رباب لا يغيب عن خاطرها ابداً.. كان علاء ينظر إلى رباب كأنها ثقب فى ثوب قرر أن يشتريه.. كأنه كان يفكر كيف هو أيضاً سيخفيه.. كان واضحاً أنه مغرم بالثوب ولكن كان أيضاً واضحاً أنه يخشى ذاك الثقب الصغير الذى يراه فيه.. ولكن لِمَ تلومه..

من يشترى ثوباً ذا ثقب دون تردد أو تفكير؟!

ونفضت سميحة رأسها وهى تتقلب فى فراشها.. طلب منها منصور العودة إلى النوم فى غرفتها.. انه لا ينام بالليل ونومه متقطع.. تعلم أنه يتألم ويزيد من ألمه أن تشعر به.. لقد عادت إلى النوم فى غرفتها لترحمه وترحم نفسها من رؤيته يتقلب فى فراشه.. حتى عندما كانت تتظاهر بالنوم كانت تشعر به دوماً يمشط شعرها بكفه ويبكى ودوماً



يتمتم «يارب»..

وتنهدت سميحة وقالت دون وعى هى الأخرى.. يارب..

وقامت عن فراشها.. لا فائدة انها لا تستطيع النوم وارتدت روبها القطيفى الأحمر ووضعت قدميها فى «منتوفلى» أحمر تحت فراشها وخرجت من غرفتها لتدخل غرفة رباب لتجدها نائمة فى فراشها وأحكمت عليها الغطاء توجهت إلى غرفة منصور لتجد ضوءاً خافتاً يتسرب من بابها.. ستدخل إليه وتتحدث معه عن كل ما يدور فى رأسها.. قال لها يوماً أن الوقت الباقى قليل ويجب أن يفكروا فيه بصوت عال دون حرج ودون خوف أو خجل..

وطرقت طرقة خفيفة على بابه دخلت بعدها ولم تجده فى فراشه ولا على مكتبه.. وسمعت صوت آهة مكتومة تصدر عن حمام غرفته والتفتت تخطو نحو بابه لتراه يخرج على عجل بعد أن سمعها تناديه.. لم يكن يرتدى نظاراته وكانت عيناه حمراوين واندفعت نحوه بسرعة لترى من خلف ذراعه بقعاً صغيرة من الدم على سيراميك الأرض وانتفض جسدها فى ذعر والتفت منصور يضع نظارته على عينيه والتى كان يحملها بين أصابعه حيث رأى بقع الدم ورآها تنظر إليها فى ذعر وهى تخطو إلى داخل الحمام.. كان واضحاً أنه تقيأ دماً فالتفتت إليه فى جنون وهى تقول:

بابا.. لأ.. لأ.

والقى كفيه على ذراعيها يشدها إلى الخارج وجذبها فيما استطاع من قوة غير أنها كانت مازالت تردد:

لأ.. لأ مش ممكن.

وامسك منصور بذراعيها بين كفيه ونظر إلى عينيها وقال فى حزم..



قال كأنه يخاطب نفسه قبلها:

مش لأ... أيوة.. أيوة يا سميحة.. فيه إيه ما احنا عارفين.. يابنتى اهدى.. أنا مش بتألم يا سميحة مش بتألم..

وبكت سميحة وعادت تحاول العودة إلى الحمام مرة أخرى إلا أن منصور جذبها نحو فراشه وقال لها:

حتعملى إيه هناك!! أنا هنا.. هنا يا سميحة.. تعالى جنبى.. انا محتاج أفرد جسمى..

ومالت به سميحة على فراشه وحاولت أن تهدأ وهى تفهم لماذا طلب منها العودة للنوم فى غرفتها.. كيف تركته كل هذه الليالى لكن هو أيضاً سيتركها ما بقى من ليالى عمرها.. ونظرت إليه من خلف دموعه وهو يستلقى ويغلق عينيه وهطلت دموعها..

يوماً سيغلق منصور عينيه ولن يفتحهما أبداً..

عندما خلع منصور نظارته الصغيرة لينخرط فى بكاء عنيف قفزت سميحة إلى جواره من الجهة الأخرى وضمته بين ذراعيها حيث سمعته يقول:

أنا مش عايز أموت دلوقتى يا سميحة.. مش عايز اسيبكم أبداً دلوقتى.. عايز أطمن عليكم الأول..

ضمت سميحة رأس دياب إلى صدرها فى قوة وأخذت تهدهده كطفل صغير ودموعها تسكب فى سخاء صامت.. دياب خائف.. دياب خائف من الموت.. أنه على حق.. من هو ذا الذى لا يخشى أن يُلقى وحده فى غرفة مظلمة معتمة ويترك فيها وحده آلاف الأعوام.. من منا لا يخشى ذلك حتى إن تحررت روحه.. من منا بإمكانه أن يتخيل روحه الطليقة ترقب جسده وهو يذوب فى الظلام.. وهدهدته طويلاً



حتى بدأ وجهه يستعيد تلك القشرة الرقيقة من الهدوء والرضا ولف ذراعيه حول ظهرها فى هدوء وسمعها تقول:

أنا بحبك قوى.. ماكنتش أعرف أبداً إنى بحبك كده..

وأجاب ونبرة صوته تكسوها الحيرة:

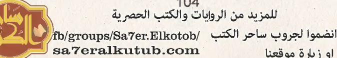
بيقولوا إن الولاد بيعرفوا حب أهاليهم لما يخلّفوا.. انتِ الوحيدة يا سميحة اللى مش حتعرفى قد إيه أنا بحبك.. حتى لما تخلفى حتخلفى عيل واتنين وتلاتة.. أنا حبى ليكِ حتى مش حب أب لبنته الوحيدة.. لأ ده حب ورجا وطوق نجاة لحتة تانية منى سايبها فى ايديكِ.. عمرك ما حتعرفى قد إيه بحبك.. عمرك..

وعادت تهدهده فى حنان.. ليته هو يعرف أن ألف طفل تضمّه بين ذراعيها لن يغنيها عنه.. لن يعوضها عن هذا الدفء.. لن يمنحها يوماً الحماية والأمان اللذين تشعر بهما إلى جواره.. ليتها تعلم وليته يعلم وليتهما ما علما يوماً ما يعلمانه الآن معاً.

حين غط دياب فى نوم عميق تركته سميحة فى هدوء لتذهب إلى غرفتها.. إن كان زواجها سيطمئن قلب دياب فليكن.. لكن لمَ لا تحاول أن تتـزوج أحـمـد زهدى.. إن كـانت لا تطيق أن يأتى زهدى هنا.. فلتخبـره قبل أن يأتى.. فلتخبـره عن الثقب الصغيـر فى الثوب الذى يحب.. فلتحاول.

من حق قلبها وجسدها عليها أن تحاول.. ستختلق له قصة تحكى فيها عن رباب.. ستخبره أن اختها.. وتنهدت ماذا تخبره؟! هل تقول إنها مريضة.. معاقة.. هل تقول متخلفة عقلياً..

لكنها أسدلت جفنيها وهى تهز رأسها.. لا تستطيع أن تقولها.. ماذا تقول إذن؟! وعادت تمسك بهاتفها الصغير لتفتحه.. يجب أن تقول..



الوقت قصير.. إن كان الدم يهرب من جسد منصور فيجب ألا يهرب دمها هى أيضاً هذه المرة.. يجب أن تقف فى قوة وليكن ما يكون.. الأمر يستحق المحاولة..

وجاءها صوت أحمد يصيح فى لهفة كبرى رغم تأخر الوقت:

سميحة.. يا خبر يا سميحة أنتِ فين؟! ما بترديش ليه على تليفونك؟.. صحيح الأخبار اللى سمعتها؟ أجازة يا سميحة؟ أجازة ليه؟ سنة..

وهبطت دموعها من جديد لتجيب بصوتها الهادئ:

أيوه يا أحمد أصل..

لكنه عاد يقاطعها من جديد فى لهفة أكبر:

أصل إيه يا سميحة؟.. فهمينى.

وشردت سميحة بذهنها بعيداً عن صوته.. رأت هذه اللهفة المثيرة التى تدغدغ عروقها تخبو إن اخبرته عن رباب.. رأته يخرج مطأطئ رأسه إن جاء بيتها كما خرج عمرو يوماً خلف أمه.. رأته يبحث عن اعذار وكلمات تأتى على ما بقى من روحها..

ورفعت سميحة رأسها فى كبرياء جريح لتسمعه يصيح من جديد:

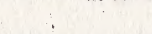
سميحة إنتِ فين؟! سامعانى؟! فيه إيه؟!

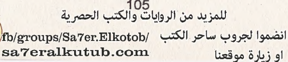
وأجابت سميحة فى هدوء قائلة:

مافيش يا أحمد.. أنا أصلى حاتجوز.. حاتجوز يا أحمد.

وانفجر صوت صمت هادر قصف بروحها وأطاح بجيوش جديدة من دمعها لتسمعه بعد لحظات طويلة يقول فى انكسار:

مبروك يا سميحة.. مبروك يا حبيبتى.. ربنا يسعدك!





كل شىء كان يسير بسرعة مذهلة حتى تدهور صحة دياب أصبح هو الآخر يخطو خطوات كبيرة تثير فى قلب سميحة الرعب وتجعلها تركض أكثر.. اتفقوا جميعاً على عقد القران بعد أسبوع.. لم يجرؤ أحد على تحديد موعد الزفاف.. دياب وعلاء يريدان الاثنين معاً.. وحدها سميحة تعارض.. اشياء صغيرة تفكر فيها وحدها.. أين تزف وكيف تزف؟! اين تحيا مع علاء.. ماذا لو لم تعجبها ڤيلا السليمانية.. وماذا لو حتى أعجبتها.. ولكن كانت بحاجة إلى بعض التعديلات.. من المستحيل أن تنتهى فى أسبوع.. وإن حدثت المعجزة وانتهت التعديلات فى أسبوع أو لم تكن بحاجة إلى تعديلات هل تخرج سميحة من بيت دياب وتتركه وحده يواجه الشبح القادم؟!

وهل يموت دياب وهى بين ذراعى علاء.. وإن مات هل تعود لتصطحب رباب معها؟! ثم كيف تشعر أنها عروس وهى تراقب دم دياب يهرب من جسده يوماً بعد يوم..

ربما كان بإمكانها فقط ومن أجله أن تحتمل عقد القران.. بإمكانها فقط أن تشترى ثوباً واحداً ولكن كيف تستطيع شراء أثواب ومنزل وأثاث.. ومن أين تشترى ابتسامة تضعها على وجهها أمام علاء كلما دعاها إلى الخروج والتسوق!

كل هذا كان يدور برأس سميحة وهى تجلس إلى جوار علاء فى طريقهما إلى السليمانية لترى الڤيلا التى تحدث عنها علاء.. لقد أخبرها أنه سيشتريها اليوم إن اعجبتها..

وافاقها صوت علاء يسألها عن سر صمتها كأنه لا يدرك أى مأساة كبرى تحياها لكنها التفتت لتقول فى ابتسامة صغيرة:

كان نفسى بابا يبقى معانا واحنا بنشوف الڤيلا يا علاء..



ومد علاء كفه ليضعه على كفها قائلاً:

سميحة.. تعجبك الڤيلا ناخد صاحبها ونروح الإدارة نعمل اجراءات نقل الملكية ونطلع على جاليرى صاحبى تختارى العفش يا سميحة وأوعدك انه فى اسبوع نجيب بابا يشوفها جاهزة ومفروشة..

واختنق صوت سميحة بدموعها وهى تقول:

أنا خايفة.. خايفة ما يلحقش.. بابا حالته بتتدهور خالص..

ودون رنة حزن.. دون انحناءة ألم أجاب علاء:

وصلنا يا حبيبتى.. إن شاء الله حيلحق.

ودخل علاء بوابة السليمانية وأخذت سميحة تتجول بعينيها فى أشجارها وشوارعها الصغيرة.. إن الحياة حقاً هنا تختلف.. هدوء وأشجار وأزهار كثيرة مع مساحات خضراء.. وتنهدت دياب كان سيحب مكاناً كهذا.. ليته.. ليته يحيا هنا معها ولو أياماً وقبل أن تسقط منها دمعة كان علاء قد أوقف سيارته وتوجه نحو باب سميحة ليفتحه وهبطت سميحة ووقفت تنظر إلى الڤيلا.. إنها جميلة صغيرة وقبل أن يتوجها نحو بابها سمعت علاء يقول:

أهلاً يا دكتور محمد.. احنا وصلنا فى ميعادنا.

ودخلوا جميعاً.. الحديقة الأمامية جميلة رغم صغر مساحتها إلا أن بها حمام سباحة صغيراً حوله صخور صغيرة وأوان فخارية كثيرة يطل من رأسها زهرات بيضاء وصفراء.. وفى الجانب الآخر من الحديقة الأمامية شجرة كبيرة من «سرو الليمون» قصت على شكل حلزونى جميل.. وسألت سميحة نفسها كيف يهتم الدكتور محمد بحديقة ڤيلا يعرضها للبيع لكن دهشتها اتسعت أكثر حين فتح محمد باب الڤيلا الخشبى.. لا ذرة تراب واحدة.. الحوائط جميعها من اللون السيمون



الهادئ والأرضيات كلها من خشب الـHDF.. الريسبشن ليس ضخماً لكنه يسمح بغرفة صالون وغرفة طعام وربما انتريه صغير.. وخطت سميحة لتفتح النافذة الكبيرة التى احتلت حائطاً بأكمله لتجدها تطل على الحديقة الخلفية والتى أيضاً ليست كبيرة لكنها مريحة جميلة تم تنسيقها بعناية وأناقة لا خلاف عليها.

وجاءها صوت علاء يدعوها إلى مشاهدة بقية المنزل.. وتجولت سميحة.. الدور الأرضى به مطبخ وحمام للضيوف.. والدور العلوى تجولت فيه سميحة مع علاء وحدهما حيث خرج الدكتور محمد لإجراء مكالمة جاءته.. وتعجلها علاء يسألها رأيها فأجابت:

مش عارفة.. بس طبعاً حلوة..

لكن علاء عاد يقول:

دا عمل فيها توسيعات وتغييرات كبيرة يا سميحة هو الراجل عايز يبيع عشان مسافر.

وأطرقت سميحة برأسها وتجولت.. ثلاث غرف نوم فى الدور العلوى.. إحداهن الغرفة الرئيسية والتى يوجد بها حمام خاص وأيضاً Walking - Closet أما سطوح الڤيلا فكان فيه جناح صغير عبارة عن غرفة كبيرة بواجهة زجاجية تطل على الروف بأكمله وأيضاً أوفيس صغير لوضع «مينى بار» أو إعداد مشروبات سريعة.

وتنهدت سميحة.. لا يمكن أن يرى أحد هذا المكان ويجد فيه عيباً.. كل شىء تم اختياره بدقة وجمال.. لكن هى مازالت لا تصدق كيف صنع مالكها كل هذا ويبيعها.. ولكن يبقى داخل كل رأس وجسد ألف قصة وقصة.. ووضع علاء ذراعه حول كتفيها قائلاً:

سميحة.. إيه رأيك؟! الراجل تحت مستنينا..



ونظرت سميحة إلى عينيه فى حيرة وقالت:

طبعاً حلوة بس..

وقاطعها علاء قائلاً:

بس إيه يا حبيبتى.. مبروك علينا.. يللا على الإدارة ما عندناش وقت.. نخلص ونروح نختار الموبيليا والشبكة إن شاء الله..

وتبعته سميحة فى دهشة.. لا تصدق.. فى يوم واحد.. ڤيلا وأثاث وشبكة!!

حين وصل الثلاثة إدارة مكتب مبيعات السليمانية.. كان كل شىء معداً.. كأن اتفاقاً سابقاً كان قد تم إبرامه وابتسمت نهى مديرة المبيعات وهى تقول:

مبروك يا جماعة ولو إن إحنا كان نفسنا برضة ما نخسرش الدكتور محمد.

وابتسمت سميحة فى هدوء لترى نهى تخرج أوراقاً وقعها الدكتور محمد وسألت علاء:

بطاقة حضرتك.. عشان ناخد البيانات وتمضى حضرتك..

لكن علاء نظر إلى وجه سميحة ثم قال فى هدوء:

الڤيلا باسم خطيبتى.. سميحة منصور دياب..

ورفعت سميحة عينيها فى ذهول لتقول:

إيه؟! مستحيل طبعاً..

لكن علاء ربت على كتفها قائلاً:

مبروك عليك يا سميحة!!





عادت سميحة إلى شارع المساحة فى الرابعة.. مازالت لا تصدق ما فعله علاء.. كيف منحها فيلا تقدر بأكثر من مليونى جنيه وهى لم تصبح حتى زوجته بعد؟!

لقد تركها وهى مشوشة الذهن.. عندما انتقيا الشبكة كان أكثر ترقباً وخوفاً مما ستختاره سميحة.. ربما لأن ما بقى معه كان لا يكفى ولكن إن كان هذا هو تفسير ما فعله فلماذا أصر على استبقائها معه.

تكاد تجن.. يمنحها فيلا بملايين بإسمها وحدها ويستبقى شبكة ثمنها عشرون ألف جنيه بين يديه فى ذاك الحرص.. حتى عندما دخلا إلى جاليرى الأثاث كان يقف دون وعى أو تركيز يراقب سيارته من خلف زجاج الجاليرى خوفاً على الشبكة التى خبأها تحت مقعد القيادة.. إنها حقاً لا تفهم!!

دخلت سميحة البيت تبحث عن دياب لتحكى له عن علاء وما فعله ولكن فى لحظة قررت ألا تفعل.. سميحة ستخبره فقط بكل ما يمكن أن يدخل السعادة إلى قلبه.. حتى قصة شراء الفيلا باسمها لن تخبره بها على الأقل ليس بالشكل الذى يثير فيه القلق لن تدعه أبداً يحتار أو يفكر.. فلتحمل هى وحدها الحيرة والخوف.. كفى دياب ما حمله أعوام عمره السابقة بأكملها. واتجهت نحو غرفته وهى مازالت بملابسها تفكر هل تراه نائماً فى سريره أم ألقى برأسه بين كفيه على مكتب غرفته..

وعندما لم تجده على أى منهما قررت أن تتوجه إلى أم سعيد لتسألها وفى طريقها تسلل صوت دياب إلى أذنيها قادماً من غرفة رباب.. كان بابها نصف مفتوح وسمعته يقول:

سامحينى يا رباب.. لا عرفت أنصفك ولا قدرت أرحم سميحة من الوجع..



ودخلت سميحة فى هدوء لتجده مستلقياً على سرير رباب وقد أخذ رأسها الجميل على صدره.. كانت رباب مستيقظة هادئة لا تتحرك كأنها تتدفأ بصدره وتملأ رئتيها من أنفاسه.. كان خط اللعاب النحيل يسيل إلى جوار شفتيها وللمرة الأولى لم تبحث سميحة عن منديل.. بل للمرة الأولى لم تشعر أنه يؤلمها رؤيته بل تقدمت فى هدوء نحو دياب وهى تقول:

سميحة مش موجوعة يا حبيبى إلا على تعبك وإحساسك بالذنب والتقصير.. إحنا مبسوطين وسعدا بيك وبحبك.. نفسى تبطل تلوم نفسك.. ازاى أقدر أثبتلك إن اللى بتفكر فيه ده غلط؟!

رفع دياب رأسه لينظر إليها بحب ثم أرخى عينيه لتسقط منها دمعة صغيرة وقال: أشوف سميحة بتاعة زَمان.. فاكراها؟!

وانحنت سميحة لتضمّه فى حنان.. وحده دياب يذكر سميحة القديمة.. وحده مثلها يفتقدها.. وحده رأى جريمة ذبحها وقالت من بين دموعها:

سميحة الجديدة أقوى.. سميحة الجديدة فهمت الناس والحياة.. يمكن التمن كان كبير لكن الدرس كمان كان يستاهل.. بجد يستاهل.. انت ممكن تحب القديمة لكن أنا متأكدة إنك متطمن على الجديدة اكثر.. القوة أهم من السعادة.. الوعى أحسن من الجهل..

صدقنى الدرس يستاهل.. يستاهل..

وجلست سميحة على طرف فراش رباب تنظر إليهما معاً.. تحبهما.. يا للمفارقة.. رباب ليست موجودة رغم بقائها ومنصور سيبقى أمامها رغم الرحيل!



دخلت عزيزة غرفتها لتخلع طرحتها فى انكسار كبير واندفعت سماح بأعوامها العشرة نحوها تضمها فى حنان وأزاحتها عزيزة فى هدوء.. انها اليوم مثقلة.. الحاج محروس بدأ يتجرأ أكثر.. لقد وضع اليوم يده داخل صدرها فى فجاجة كبيرة.. لم يتركها إلا بعد أن بكت بكاء حاداً جعله يصرخ فيها بوقاحة كبرى.. لن تعود.. أبداً لن تعود.. ليست بحاجة إلى النقود.. ولكن النقود ليست مشكلتها الوحيدة.. ما يخيفها هو جميلة.. جميلة إن لم تأخذ من عزيزة نقوداً ستصر على تزويجها.. ستلقى بها إلى أول طارق يطلبها كما فعلت مع أميرة أختها الكبرى.. لقد زوجتها تاجر فاكهة من تجار روض الفرج.. تركتها تذهب لتحيا مع زوجته الأولى وإن جاءت يوماً تبكى أو تنتحب طردتها جميلة فى قسوة، الحاج نعيم يمنح جميلة نفحة كل شهر.. مشكلتها الكبرى قسوة جميلة.. وتنهدت وهى تخلع ملابسها لتقف أمام المرآة تمشط شعرها كأنها تدعه يتنفس بعد رحلة سجنه طوال اليوم، وقبل أن تنحنى لتلتقط جلبابها الأحمر دخلت جميلة غرفتها ونظرت إليها قائلة:

أنت رجعتِ بقالك قد إيه؟!

واستدارت عزيزة إليها فى خوف والتقطت «جلبابها» تضعه على صدرها العارى كأنها تخشى أن ترى أمها آثار أصابع الحاج محروس قائلة:

لسه حالاً.. حالبس وآجى آكل وأشطب المطبخ..

لكن جميلة قالت وهى تقترب منها:

اطلعى برة يا سماح واقفلى باب الأوضة وراكِ..

انتفضت عزيزة.. جميلة تنوى شيئاً لا تعرفه وأسرعت تدخل فى جلبابها القديم وقبل أن ترفع رأسها كانت جميلة تقبض على شعرها



بين كفيها وتصيح:
ياواطية يا زبالة.. بقالك سنتين بتاخدى سبعمية جنيه وبتقولى ريعمية بس.. بتودى الفلوس فين يا عزيزة؟!
تألمت عزيزة.. تألمت وحاولت أن تفلت برأسها من بين كفى جميلة إلا أن الأخرى عاجلتها بصفعة قوية على وجهها بعد أن أطلقت شعرها لتكمل قائلة:
ياريت باين عليك حاجة.. دا انتى بترقّعى فى جزمتك بقالك سنة.. بتدى الفلوس لأم حبيب القلب ولا بتديهم لأخوه يشترى بيهم حشيش وبانجو؟!
كانت جميلة تصرخ وكانت عزيزة حائرة لا تعلم ماذا تقول لكنها علمت أن الحاج محروس هو الذى أخبر جميلة وعندها قالت فى يأس:
الحاج محروس هو اللى قالك.. أنا كنت عارفة أنه حيعملّى مصيبة.
ولم تتركها جميلة تكمل بل قاطعتها قائلة:
مصيبة لما تلمك.. يعملك مصيبة ليه يابت؟!
وبكت عزيزة.. بكت فى عنف ويأس لتقول:
عشان.. عشان عايزنى امشى معاه فى الحرام..
ولمعت عينا جميلة وهدأت لتطلب من عزيزة أن تحكى لها كل شىء..
وانطلقت عزيزة تحكى.. عن شقة خلوصى عن الزواج العرفى.. عن أصابع الرجل الحقيرة التى تلتهم صدرها وأردافها كل يوم.. أخبرتها عما فعله هذا الصباح وكيف دخل بكفه إلى داخل صدرها..
كانت تعلم أنها لن تعود إلى المكتبة فى الصباح التالى.. لذا شعرت أنها يجب أن تحكى لجميلة كل شىء.. ستعطف عليها سترحمها..



ستأخذها بين ذراعيها بل ربما تذهب جميلة بكل جبروتها إلى الحاج محروس وتخلع حذاءها وتضربه.. أى أم على الأرض تفعل هذا مع رجل يحاول هتك عرض ابنتها.. وجميلة رغم قسوتها.. رغم جبروتها أم..

رفعت عزيزة عينيها البنية الجميلة من بين دموعها الكثيفة تنظر إلى جميلة وهى تنتظر أن تأخذها بين ذراعيها لتجد جميلة شاردة برأسها تفكر وبعد لحظات طويلة نظرت إلى عزيزة تتفحصها ثم رفعت حاجبها وقالت فى صوت هادئ:

انتى عارفة شقة أربع أوض فى خلوصى بكام النهاردة؟!

كست البلاهة ملامح عزيزة ليتوقف نهر دموعها وانتفض جسدها لتشعر بجميلة تهز ذراعها فى عنف وهى تقول:

اتجوزيه يابت.. اتجوزيه دا لو ابوك جاب عمر على عمره ودهن شقك يا شبرا كلها ما يعرف يجيب حيطة فى خلوصى.. هو إيه الغباء اللى انتِ فيه؟!

وتمتمت عزيزة فى ذهول:

دا عايز يتجوزنى عرفى.. دا عياله متجوزين.. دا ما بيعرفش يقرا ولا يكتب اسمه حتى.

نظرت جميلة إلى وجه عزيزة الأسمر الرقيق وتنهدت.. لم يرزقها الله ولداً.. رزقها ثلاث بنات فى سذاجة حسين زوجها.. لكنها لن تدع هذه الفرصة تهرب من يدها ولا يد عزيزة الحمقاء وأخذت نفساً عميقاً وضعت بعده كفها على كتف عزيزة لتسير بها ليجلسا على حافة سريرها وقالت بكل ما استطاعت سكبه من هدوء على صوتها:

الدكتور صابر اللى على ناصية شارعنا ابن حميدة مانتى عرفاها..

أمه اتكفت عليه سنين عمرها لحد ما بقى دكتور.. بقاله أربع سنين فى مستشفى الساحل.. عرف يتجوز؟.. عرف يجيب شقة؟! لبست أمه حتى هدمة جديدة؟! بلاش.. ليلى صاحبتك معاها حقوق.. عرفت تشتغل؟! بلاش دا ودا.. مانتى أهو.. دبلوم تجارة.. لقيتى إيه غير المكتبة دى تلمك.. يابت الفلوس هى اللى تجيب كل حاجة.. شفتى عزة اللى فى شوكلانى بعد ماتجوزت الراجل السعودى سنتين جابت شقة وعربية واطلّقت واهى اتجوزت تانى وعندها عيلين.. حطت رجل على رجل ونقت الراجل اللى هى عايزاه بفلوسها..

كانت عزيزة تسمع وتفهم لكن كل ما كان يؤلمها هو سعيد.. فقالت فى ألم:

طب وسعيد.. أنا عايزاه.

ونظرت جميلة إليها فى غيظ وقالت:

حاخليك تتجوزيه يا عزيزة ورحمة أبويا حاخليك تتجوزيه..

اسمعى العبيها صح وانتى تتجوزى سعيد وتخليه يحطك على راسه من فوق..

سوقى الدلال على الحاج محروس شوية ولما يستوى خليه يشتريلك الشقة باسمك ويكتبلك ورقة عرفى.. يابت سنة ولا حاجة خدى منه كل اللى تقدرى عليه وبعدين سيبيه.

وقاطعتها عزيزة فى ذعر قائلة:

-يا مصيبتى وهو سعيد حيرضى يتجوزنى بعدها؟!

وعادت جميلة تكمل:

يا غبية.. سعيد مش حايعرف ولا أنا حتى حتقولى إنى عارفة.. هى ورقة واحدة يكتبها لك وتفضل معاكى.. عشان ما يبقاش حرام.. عايز

يشوفك يدفع بقى.. ساعة تقوليله حادى فلوسّ لصاحبتى عشان تقول إنى بايتة معاها.. ساعة تقوليله حاقول لأمى انى اشتغلت فى مستشفى وعندى نوباتشية.. أنا حارسيّكى على كل حاجة.

كانت عزيزة غارقة فى الذهول.. لا تعلم ماذا تقول لكنها تعلم جيداً ماذا تسمع.. وعادت جميلة تكمل:

يابت.. افهمى هو سعيد بتاعك دا حيرجع معاه كام وحتى لو رجع معاه فلوس يجيب شقة.. حيجيبها فين ويفرشها منين؟! اسمعى انا آخد الشقة اللى يجيبها لك الحاج محروس واسيبلك دى تتجوزى فيها سعيد.. ساعتها البيت بيتك والفلوس اللى حيجبها زفت دا معاه من السعودية اعملوا بيها مشروع..

فكرى يا عزيزة.. فكرى.. دا أنا أمك..؟

ومن حيرتها قالت عزيزة:

وافرضى حملت؟!

لكن جميلة قاطعتها كأنها تعلم كل شيء:

مش فيه حاجة اسمها برشام.. وحتى لو حصل ما الدكتور انطوان ورانا أهه.. عمل لأميرة اختك العملية مرتين.. وقبل ما تتجوزى سعيد برضة يرجعك زى ما انتى..

ورفعت عزيزة عينيها فى ذهول.. لا تصدق أن أمها هى التى تقول ولا تصدق أبداً أنها تسمع.. وعادت تتذكر سعيد.. سعيد الذى يحتمل الاستاذ عبدالعزيز وزوجته وابناءه الثلاثة.. لقد صفعه الاستاذ عبدالعزيز مرة عندما تأخر عن الذهاب إلى مدرسة ابنته الكبرى.. لقد أخبرها يومها أنه فكر فى العودة ولكن عندما تذكر أمه وتذكر صبر عزيزة وانتظارها قرر أن يبقى.. هل يحتمل سعيد كل هذا الذل



من اجلها وتتبع هى أمها وتخونه وتخدعه.. وانتفض قلبها لتقول:

لأ ماقدرش.. ماقدرش.. أنا من بكرة حادور على شغل فى حتة تانية إن شالله أقول لخالتى أم سعيد تشوفلى شغل فى البيوت بالشهر باليوم.. لكن مش حاقدر أبداً..

ونهضت جميلة فى هدوء لتتجه إلى باب الغرفة قائلة:

يومين لو ماوافقتيش أنا حاخلّى أبوك يشوفلك راجل يتجوزك.. ورحمة أبويا مانتى عايشة معانا بعد كدا. يومين ياعزيزة وتدينى ردك..

صفقت جميلة خلفها الباب لتبكى عزيزة من جديد.. هل تخبر الأسطى حسين لكن الاسطى حسين لا يفعل إلا ما تخبره به جميلة.. حتى يوم وعد سعيد بالانتظار فعلها خجلاً من أمه التى يحبها ويحترمها.. لكن حتى يومها قال لها أمام جميلة ان اللحظة التى ترى فيها جميلة شيئاً آخر هى اللحظة التى سيصبح فيها فى حل من وعده.. جميلة هى الأم هى سيدة العائلة هى التى تعرف كل شىء.. وهزت رأسها.. الأسطى حسين لن يفعل شيئاً.. ثم مدت يدها تبحث عن حقيبتها والتقطت هاتفها الصغير وحده سعيد يمكن أن ينقذها.. سعيد يجب أن يعود ويتزوجها.. ما معه من نقود مع ما جمعته هى سيبدآن به أى مشروع.. هناك مشاريع صغيرة.. سيجدا وسيلة.. فقط ليعد وليتزوجها وستذهب لتحيا معه فى حفرة أم سعيد.. ستحيا معه فى أى مكان لكن أبداً لن تخدعه.. أبداً لن تبيع جسدها لذاك الرجل المقزز.. تاجر الخردة الذى اشترى مكتبة يخبئ خلف اسمها جهله ووضاعته.

نظرت إلى الساعة إنها التاسعة.. هل تطلب سعيد الآن.. ماذا لو كان



مع زوجة الأستاذ أو مع أحد ابنائه.. وأرسلت له رسالة تخبره فيها أنها تريده لأمر هام.. أمر حياة أو موت.. وجلست تنظر بعينيها إلى هاتفها.. وصلته الرسالة.. سعيد يقرأها الآن وتمتمت تدعو الله أن يحادثها سعيد.. لن تسقط أبداً فى الهاوية التى تدعوها إليها جميلة.. أبداً لن تسقط.. سعيد سيأخذ بيدها وابتسمت وهى تسرع لفتح هاتفها.. ها هو سعيد يحادثها.. سعيد أبداً لا يخذلها ولم تستطع أن تقاوم دموعها وهى تصيح:

سعيد.. الحقنى يا سعيد الحقنى..

وفى لهفة كبيرة قال:

إيه؟! مالك.. أمى جرالها حاجة.

وقالت:

لا يا سعيد.. أمى أنا اللى جرالها عايزانى اتجوز يا سعيد انزل يا سعيد.. سيب كل حاجة وتعال نتجوز.

وأطرق سعيد للصمت قليلاً ثم قال فى وجوم:

طب وأبوكِ يا عزيزة دا وعدنى.

لكن عزيزة عادت تقاطعه:

مانت عارف.. انت اشتغلت معاه كام سنة.. الكلمة كلمتها والشورة شورتها..

وبعد لحظات أخرى من الصمت قال:

اسمعى يا عزيزة أنا مش حاسيب هنا غير لما يبقى معايا فلوس أجيب شقة ليكى ولأمى.. مش حاسيب أمى أبداً تموت فى الحفرة اللى هى عايشة فيها.. أنا ممكن أبعتلك توكيل لسيد أخويا يكتب كتابى عليكى.

وقاطعته فى جنون:

توكيل؟ طب وبعدين أروح فين.. أعيش مع سيد.. أمك ما بترجعش من بيت الدكتور إلا كل كام يوم يا سعيد.. أروح فين؟.. ارجع يا سعيد ارجع أبوس إيدك.

وتخلل صوت سعيد دموع اشعلت فى عروق عزيزة حريقاً هائلاً وهى تسمعه يقول:

حرام عليكى يا عزيزة.. لو رجعت مش حيدونى حاجة حيقى زى اللى رقصت على السلم.. يا عزيزة اعملى أى حاجة.. خلينا نعرف نعيش بقى.. أرجوكى اتصرفى أنتى ما تعرفيش الناس هنا عايشة ازاى.. أنا مش طالب أعيشك واعيش أمى زيهم.. لكن طالب حيطان تلمنا.. ابوس ايديكى اتصرفى يا عزيزة اتصرفى..

وعادت دموع عزيزة تهطل فى جنون لتقول:

اتصرف؟! أعمل إيه؟! قوللى أعمل إيه؟

وقاطعها سعيد قائلاً:

عزيزة.. المدام نازلة لازم أقفل حاكلمك كمان يومين نكون فكرنا حنعمل إيه؟!

ووضعت عزيزة الهاتف أمامها فى هدوء.. لا تراه من دموعها ولا ترى شيئاً كل ما يرن فى اذنيها كلمة «يومين».. جميلة تريد رأيها بعد يومين وسعيد سيحادثها بعد يومين.. ماذا تفعل فى يومين.. هل تجد عملاً؟! وحتى إن وجدت.. جميلة أقسمت انها لن تحيا معها.. تذهب إلى بيت أم سعيد.. انها تخاف من سيد أكثر من خوفها من الحاج محروس.. تخبر جميلة أنها تزوجت سعيد.. ستقتلها جميلة.. ستشعل حرائق لن تنتهى إلا بطلاقها.. تهرب من البيت.. إلى أين؟ تذهب إلى

أميرة وتطلب حماية الحاج نعيم.. حتى الحاج نعيم يقع تحت سيطرة جميلة.. فوحدها التى تعيد له أميرة كلما هربت منه.. هل تطلب من أم سعيد أن تجد لها عملاً.. خادمة مقيمة فى بيت.. لكن من يعلم ماذا سيحدث خلف ذاك البيت.. انها تسمع قصصاً كثيرة.. هناك سيدات يعذبن الخادمات وهناك أسياد يغتصبن الأجساد..

ماذا تفعل.. هل قرر الفقر قتلها؟! هل قرر الفقر قتلها حقاً؟! وإن فعل هل تستسلم له ولكن كيف تقاوم.. لا تعلم.. كل ما تعلمه أنه باق لها من الزمن يومان.. ورفعت رأسها تبتسم فى سخرية.. يومان إما ماتت وإما ماتت!

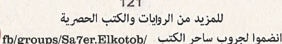
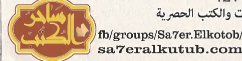
أفاقت عزيزة من أفكارها على صوت باب غرفتها وهو يُفتح ليرتطم بالحائط.. كان الأسطى حسين يندفع نحوها فى جنون وخلفه جميلة وسمعته يصيح:

فيه إيه يا عزيزة؟ الحاج محروس طردك ليه؟ يا فاجرة.. مين اللى قفشك معاه جوا المكتبة.

ونظرت إليه عزيزة فى ذهول لا تفهم.. وعادت تنظر إلى جميلة التى كانت تقف خلفه وهى تصيح:

كنتِ فاكرانى مش حاقوله.. لأ.. تفضحينا واسكت.. تتمسخرى فى المكان اللى بتاكلى منه عيش.. فى المكان اللى الراجل آمنك عليه.. وبتستغفلينا.. ربيها يا حسين ربيها.. دى حتى ما عملتش قيمة للواد اللى مسافر وفاكر انها بتحبه..

نهضت عزيزة من سريرها تركض فى جنون وهى ترى حسين يخلع حزامه فى قسوة وجنون كأنه ذئب جريح ليركض خلفها يضربها فى جنون.. كأنه يضرب فقره.. قلة حيلته.. لم يسمعها أبداً وهى تقسم

وتحكى وتبكى.. كان يجلدها ودمعة صغيرة تترنح بين عينيه.. لقد تعب.. تعب كثيراً.. تعب من حمل فرشاة الدهان.. تعب من تسلط الأسياد وقهر الزمان.. لا أحد يرحمه.. ولكن أن تفضحه عزيزة.. أن يطأطئ رأسه.. أن تمرغ شرفه ورجولته بعد أن مرغهما هو أعواماً فى صناديق الألوان وعلى الجدران.. أبداً!!

كان يضربها فى قسوة ودون وعى وصاحت سماح وهى تمسك بساقيه النحيلتين تبكى وترجوه أن يترك «أبلة عزيزة» وارتمت عليها لتصرخ عندما طالها حزام حسين ليترك هو عزيزة تسقط أمامه على الأرض ونظر إليهما فى ذهول وسمع جميلة تقول:

تسلم إيديك.. تسلم إيديك يا حسين.

وسقطت دمعة حسين الحائرة وهو ينظر إلى عزيزة وسماح تضمّها بذراعيها الصغيرتين ومضى نحو باب الغرفة وهو يقول:

ليه يا عزيزة ليه؟ انتى والزمن.. انتى والزمن.. الرحمة يا ناس.. ماحدش فيكم عارف أنا مستحمل إيه علشانكم ودى آخرتها.. ليه.. ليه..

هدأ بكاء عزيزة.. هدأت دموعها وفى رفق أبعدت ذراعى سماح عن جسدها المشتعل وقالت فى ألم مكتوم:

أنا كويسة يا سماح ما تعيطيش.. بابا معذور.

وقاطعتها سماح:

دى ماما قالتله انك..

وعادت عزيزة تقاطعها:

ماما كمان غلبانة.. احنا غلابة يا سماح وهو دا اللى بيحصل لكل الغلابة!





إنه أول خميس فى مارس.. إنه اليوم الذى جاء بعد خمسة أيام.. إنه اليوم الذى لا تصدق سميحة أنها ستصبح فى مسائه زوجة.. دياب رغم مرضه ووهنه الكبير ملأ لها البيت بباقات ورد بيضاء فى كل ركن.. هو يعلم كم تحب سميحة الزهور البيضاء.. لقد حادث بنفسه «لاماندين» واختار لها كعكة الاحتفال بلون وردى من دورين مع بعض الأطباق الجانبية.. لقد طلب لها «كايترنج» من لاماندين.. أخبرها أنها يجب أن تتفرغ فى هذا اليوم لزينتها.. وهى ترقبه بخوف.. إنه يتحرك بصعوبة ولا تمضى ساعة دون أن يدعو الله أن يستطيع الصمود حتى نهاية اليوم.. هى أيضاً تشعر بتآكله بضعفه.. هذا الشعور يفقدها الشهية فى أى شىء وفى كل شىء.. لكنها تتحرك.. فى الرابعة سيحضر إليها مصفف الشعر.. لقد اتفقت مع «إبراهيم» مصفف نادى الجزيرة على الحضور اليها.. إنها تثق فيه وتطمئن إلى خصلات شعرها الجميلة بين يديه.. هى أيضاً لا تريد أن تغيب عن المنزل طويلاً لا أحد يعلم ماذا يمكن أن يحدث فى لحظة.

وعادت سميحة تتنهد وهى تخرج ملابسها من الدولاب.. لن ترتدى ثوب خطبة.. اشترت تايير جميلاً من «فيولا».. لن تخرج لتناول العشاء مع علاء بثوب خطبة.. ووضعت التايير الوردى على حافة سريرها وتوجهت تبحث عن دياب وعندما وجدته نائماً فى سريره تنهدت فى ألم لتعود مرة أخرى إلى أم سعيد تتابع معها ما يحدث..

الحاضرون سبعة أشخاص فقط.. علاء وممدوح أخوه وخالهما وزوجته وابناؤهما.. ودعا الدكتور دياب صديقه الدكتور على سليمان رئيس الجامعة.. لقد دعت هى نهال صديقتها وهزت سميحة رأسها من جديد وهى تتذكر عيون دياب وهى ترجوها شيئاً تجاهلته لكنها



تدركه.. دياب كان يرجوها أن تدعو نوال.. لماذا يريدها دياب؟! هل يفتقدها أم أنه هو الآخر يسكنه الفضول الذى سكنها أعواماً قبل أن تذهب إليها فى ذاك اليوم.. لكن سميحة لن تخبرها.. ليس لأنها تعلم أنها لن تأتى ولكن لأنها تخشى حقاً أن تأتى.. لا تريد أبداً أن يرى دياب نوال بكل هذا الجمال والأناقة وتراه هى بكل هذا الضعف والوهن.

الوقت يركض وسميحة تشعر أنها فى نصف إغماءة.. كأنها تحررت من جسدها لتراقب نفسها وهى تتحرك وتخطو وتجلس على كرسى مرآتها وإبراهيم يرفع شعرها البندقى الغزير فى شينيوه هادئ جميل فوق رأسها.. وضع بعدها مشبكاً ماسياً صغيراً على جانب رأسها الأيسر.. كان شعرها رائعاً جميلاً مرفوعاً بأكمله لتظهر جبهتها الهلالية الجميلة.. ماكياجها الذى انتهت منه قبل وصول إبراهيم أيضاً كان هادئاً جميلاً.. لقد رسمت عينيها بخط عريض من الآى لاينر الأسود وسارت فوقه بفرشاة وردية تتدرج حتى تصل إلى أول درجات اللون الزهرى.. رموشها التى زادت كثافة بطبقتين سميكتين من الماسكرا.. شفاهها المكتنزة الوردية.. كل شىء جميل.. كل شىء رائع.. عدا أن وجهها ينقصه شىء وعينيها أيضاً.. هل كان يجب أن تحضر خبيرة ماكياج؟ هل كان يجب أن يصفف لها شعرها أحد سوى إبراهيم؟!

شيئان كبيران ينقصان عينيها ووجهها.. شيئان فى وجه كل عروس وعين كل عروس.

وعادت سميحة تحدق فى المرآة وإبراهيم يلملم اشياءه تاركاً الغرفة وهو يبارك لها.. عادت تحدق لتعلم أن ما ينقصها اليوم لا تملكه



خبيرة تجميل على وجه الأرض ولا يضعه اى مصفف شعر.

عينا سميحة ينقصهما البريق ووجهها مازالت تنقصه الابتسامة!

***



وقفت أم سعيد تطلق عشرات من الزغاريد حول سميحة ونهال صديقة عمرها تنظر إليها فى حنان وإشفاق كبيرين.. نهال أيضاً ككل طلبة إعلام.. ككل من عرف دياب تحبه.. تتمزق لاحتضاره البطىء.. نهال أيضاً تعلم كم هى تائهة سميحة وممزقة تلعب كل الأدوار معاً.. وحدها نهال ترى وجه سميحة الباكى خلف هذه الألوان الجميلة والتايير الأنيق.. لكن نهال متفائلة.. علاء وسيم.. هادئ سيتمكن من مساندة سميحة.. إن زواج سميحة جاء حقاً فى الوقت المناسب ومن الشخص المناسب أيضاً.. وركضت نهال نحو سميحة وهى تراها تتحنى لإخراج حذائها المصنوع من الجلد الوردى بكعبه الـ٧سم وهى تقول:

لا يا سميحة ما توطيش هدومك حتتكسر..

وأسرعت أم سعيد تتحنى لتمسك بالحذاء لسميحة التى جذبتها من ذراعها فى رفق وهى تقول:

انتِ كمان يا أم سعيد عدت سنين طويلة نسيت أقولك فيها قد إيه بحبك وقد إيه حياتنا من غيرك كانت حتبقى صعبة..

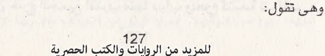
بكت أم سعد وهى تنظر فى وجه سميحة وأخذت تتمتم بالآيات القرآنية ثم قالت:

أنا ربنا عوض عليا بيكم يا سميحة يابنتى.. أنا ماعنديش بنات وانتو بناتى وماعنديش راجل وانتو سندى فى الدنيا..

لفت سميحة ذراعيها حول أم سعيد التى كانت ترتدى عباءة كحلية جديدة لم تنس سميحة أن تشتريها لها فى هذا اليوم وقالت لها:

أم سعيد.. قولى لمسيو ريمو إنى عايزاه.

رفعت أم سعيد عينيها فى دهشة لا تفهم وخرجت نهال من الغرفة وهى تقول:





خليكِ يا أم سعيد أنا حاندهله.

ابتسمت سميحة بعد أن ارتدت حذاءها ووضعت قطرات كثيفة من عطر «ديبون» على عنقها وشعرها وهى تقول:

دا المصور اللى برا..

وسمعتهما يطرقان الباب ودخل مسيو ريمو ليطل فى وجه سميحة من خلف نظاراته الصغيرة فى انبهار.. يعرفها ويعرف دكتور دياب ولهذا جاء.. ريمو يذهب إليه الناس ولا يذهب هو إلا إلى الفنادق الكبرى لكنه حضر.. لا أحد يعرف دياب أو ابنة دياب ويقول لا..

وقالت سميحة فى صوتها الهادئ:

مسيو ريمو.. أنا عايزاك تاخد صورتين ليا أنا وبابا لوحدنا.. بس عايزاك انت اللى تطرح الفكرة وعايزة صورة كمان ليا أنا وهو ورباب.. غير صورى مع علاء..

ونظر ريمو إليها فى دهشة وقال:

لكن مدموازيل أنا باعمل بس.

وقاطعته سميحة فى هدوء:

مسيو ريمو.. أى تكاليف أنا.

وقاطعها فى حنان:

مدموازيل أنا عارف انا باتكلم مع مين لكن صورة لازم يبقى فاميلى.

نظرت إليه سميحة وقالت:

بابا هو الفاميلى مسيو.. هو العيلة كلها..

وطرق دياب الباب ليدخل فى هدوء وهو ينظر إلى سميحة قائلاً:

سميحة.. المأذون وصل.. أنا عايز اتكلم معاكِ كلمتين..

وبعد أن خرج الجميع اقترب منها دياب ودموع كثيفة تتراقص فى



عينيه وتمنى لو يضمّها لكنه خشى أن يفسد شعرها الجميل أو مكياجها الرقيق.. لم يكن يتخيل أبداً أن يراها بهذا الجمال.. تاييرها الوردى الجميل كان رائعاً.. تتناثر عليه قطرات صغيرة من اللؤلؤ الوردى متدلية فى جمال بعيد.. وقميص حرير أبيض مفتوح خلف چاكيت التايير وچوب التايير تقف تحت ركبتيها لتظهر ساقيها الملفوفتين فى چورب كريستال هادئ.. رغم أنها لا ترتدى ثوب عروس إلا أنها عروس بل هى أجمل عروس.. وأرسل لها قبلة صغيرة بشفتيه وأمسك بيدها الصغيرة البضة وسار بها ليجلسها على حافة سريرها وجلس أمامها قائلاً:

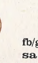
سميحة.. أنا خايف من الحزن اللى فى عينيكي.. لو الحزن دا سببه حالتى.. أفهم، لكن خايف يابنتى يكون سببه قبولك لجوازة مش عايزاها عشان بس..

رفعت سميحة اصبعها لتضعه على شفتيه وقالت:

أنا قلتلك إنى اتعلمت.. وأهم حاجة اتعلمتها إنى احكّم عقلى.. عقلى راضى وسعيد بعلاء.. أنا فعلاً محتاجة لوجوده.. كفاية جداً سعادته بينا وفرحته.. كفاية قوى عشان أحبه واحترمه..

أنا مش حزينة.. أنا بس اللى مابقاش فيه فرحة بتظهر على ملامحى: مش ذنبى ولا بأيدى صدقنى.

ولم يقاوم.. ضمّها دياب إلى صدره وتنهد.. يجب أن يصدق ليهدأ هو بحاجة إلى الهدوء وتركها بعد لحظات ليرسل إليها الشهود ليسألوها بعد أن رفضت سميحة أن تغادر غرفتها قبل انتهاء عقد القران.. لا تريد أبداً أن تسمع دياب وهو يمنحها لرجل كأنه يعلن انتهاء دوره من حياتها.. شىء كبير من الخوف يخبرها أن دياب يقف



كجندى باسل مرشوق بألف رصاصة لكنه يترنح فى صمود حتى يأتى من يأخذ مكانه.. لا تقوى أبداً على رؤية هذه اللحظة.. ستبقى هنا حتى يتبادلوا الأدوار..

وقبل أن تنطلق الزغاريد فتحت أم سعيد الباب فى ارتباك واضح وهى تقول:

الحقينى يا سميحة.. الست رباب ماعرفش مالها.

نهضت سميحة من مقعدها تتبع أم سعيد إلى غرفة رباب دون أن تسألها لكن أم سعيد كانت تقول فى صوت خفيض:

بتوقّع كل الحاجات على الأرض ومش راضية تلبس الهدوم اللى انتى اشتريتها لها.. عمرى ما شفتها كده..

دخلت سميحة وأغلقت أم سعيد الباب لتستند عليه.. كانت رباب تستند على نافذة غرفتها وتنظر إلى سميحة فى ذهول.. كان وجهها شاحباً وأخذت تهمهم فى حروف متقطعة.. «با.. با.. با».

وانقبض قلب سميحة وهى تقترب نحوها فى هدوء قائلة:

مالك يا حبيبتى.. مالك؟ عايزة بابا؟!

وعلت همهمة رباب أكثر وألقت بنفسها بين ذراعى سميحة وهى تحتوى ما استطاعت من ملابسها بين أصابعها كأنها تحتمى بها.. أو كأنها تتمنى لو تمزق عنها ثوب خطبتها..

أخذت سميحة تربت على كتفها فى هدوء وهى تقول:

تعالى.. تعالى نروح عند بابا.. لو مش عايزة تغيرى هدومك يا رباب بلاش..

وانتفضت أم سعيد وهى تقول فى لوعة:

بلاش والنبى ياست سميحة.. أنا حاقعد معاها.



لكن سميحة نظرت إلى أم سعيد ورباب مازالت على كتفها وهى تقول:

قبل نوال ماتسيب البيت رباب قعدت أيام تعمل كده حتى أنا ساعتها كنت باخاف أقرب منها.. قبل عمرو جابر ما ييجى يخطبنى برضة قعدت أيام تعمل كده.. يا ترى إيه اللى حيتكسر المرة دى؟! بعد كتب الكتاب هاتيها يا أم سعيد بهدومها.. رباب حتتصور معايا ومع بابا..

رفعت أم سعيد عينيها وهى تنظر إلى كل ما أوقعته رباب أرضاً وقالت:

بس افرضى..

ابتسمت سميحة فى مرارة وهى تطلق رباب من بين ذراعيها وتغادر الغرفة قائلة:

ما تخافيش.. أنا وأنت وهى وبابا كلنا مكسورين حنخاف على إيه تانى توقّعه أو تكسره!

■ ■ ■



انطلقت الزغاريد بعد خروج سميحة برفقة دياب ونهضت صفية زوجة خال علاء هى وبناتها تقبّله وتقبّل سميحة وممدوح وابتسمت سميحة لكنها رمقت دياب بعينيها لتجده يسارع إلى الجلوس على أول مقعد فى تهالك واضح وانتفض قلبها.. الجندى ينهار.. يبدو أن الرصاصات المتناثرة فى كبده بدأت تهزمه فى شراسة وقبل أن تخطو سميحة إليه قالت صفية فى حنان:

يااللا يا علاء مش حتلبس عروستك الشبكة.

وجلست سميحة إلى جوار علاء وهى مازالت تنظر إلى دياب فى قلق وعندما رآها علاء شاردة لا تمد كفها إليه أخرج الدبلة الخاصة به ونظر إليها وقال فيما استطاعه من مرح:

خلاص.. لبسينى أنتِ الأول.

والتقطت سميحة الدبلة ومد علاء يده اليمنى فصاحت صفية تقول:

لأ.. الشمال.. انتو خلاص بقيتوا متجوزين.

أفاقت سميحة على الكلمة ونظرت إلى علاء.. علاء أصبح زوجها.

وقف ريمون يلتقط لهم الصور ونفذ ما طلبته سميحة ونهض دياب فى تثاقل وهو ينظر إلى وجه ريمون فى لوم.. إنه حقاً لا يستطيع الوقوف لكنه شحذ ما بقى من قوته ووقف إلى جوارها ثم وضع ذراعه حولها وشعرت سميحة عندها أن دياب لا يضمّها بل يستند عليها.. وقبل أن تلتفت إليه سمعت ريمون يقول:

مدموازيل.. ابتسامة حلوة.

ولمس دياب خد سميحة بشفتيه وقال فى صوت خفيض:

تيجى نقبل التحدى؟!

نظرت إليه سميحة فى خوف وسألت فى لوعة كبيرة:



تحدى إيه؟!

وأجابها فى ضعف أكبر:

نبتسم!!

■ ■ ■



بعد أيام اعتذرت فيها سميحة عن تلبية دعوات علاء بالخروج وبعد إلحاحه الكبير وقفت تنظر إلى مرآتها فى حزن كبير.. دياب ينهار.. لقد أصبح أقل حركة وأكثر عصبية.. أصبح كل شىء يثيره.. ويجعله يصرخ فى جنون.. قليلاً ما يهدأ وإن هدأ يبكى على ذراعها كطفل صغير.. رباب أيضاً أصبحت أكثر عصبية.. زادت همهماتها.. زاد تحطيمها للاشياء ولا تهدأ هى الأخرى إلا بين ذراعى سميحة.

رفعت سميحة عينيها إلى المرآة لترى دمعة صغيرة تسقط منها كأنها تسألها على ذراعى من تهدأ هى.. على كتف من تلقى سميحة بحزنها.. وتنهدت وهى تضع مسحة من قلم الشفاه الذى طال وقوفه بين أصابعها..

لقد ارتدت جوب سوداء واسعة عليها نقوش وردية صغيرة وارتدت قميصاً وردياً من لون النقوش.. لكنها تشعر أن كل ما فيها باهت خائف والتفتت لترى أم سعيد تدخل غرفتها وهى تقول فى صوت خفيض:

الحقينى ياست سميحة.. الدكتور بيعمل حمام فى الأوضة..

ولم تفهم سميحة لكنها أيضاً لم تسأل.. ركضت إلى غرفة دياب حيث وجدته مازال واقفاً فى أحد أركانها يقضى حاجته وعندما شعر بهما دياب صرخ فى جنون:

إيه.. إيه يا سميحة حد يدخل على حد وهو بيعمل تواليت؟

تقدمت سميحة نحوه فى هدوء وهى تنظر إلى دائرة الماء الكبيرة تحت قدميه ووضعت يدها فى ذراعيه وهى تقول:

آسفة يا حبيبى.. أصلى كنت عايزة أقولك إنى خارجة مع علاء.

وعاد يصرخ فى عصبية:

ما تخرجى.. برضة ده ما يخلكيش ابداً تدخلى عليا كده..

اجلسته سميحة على فراشه فى هدوء ومسحت قطرات دموعها بسرعة حتى لا يراها وبعد أن وضعت على جبهته قبلة صغيرة انتفضت تلحق بأم سعيد التى دخلت الغرفة وفى يدها قطعة من القماش لتمسح بها ما فعله دياب.. وقبل أن تنحنى أم سعيد قالت سميحة:

أوعى يا أم سعيد.

لكن أم سعيد نظرت إليها وقالت فى حب:

لأ عشان هدومك.. أنا

وقاطعتها سميحة فى حزم وهى تنحنى:

أنا اللى أعمل كل حاجة لبابا..

كان دياب بدأ يسترد وعيه قليلاً.. إنه لا يفهم لماذا تختلط عليه الأمور كثيراً.. أنه لا يفهم لماذا يصرخ فى جنون دوماً ولا يفهم كيف يعتقد أن غرفة النوم هى الحمام.. انه لا يفهم سوى أنه ينهار وأنه يعذب سميحة ويعذب قلبها.. لكنه مازال يتمنى ألا يرحل.. مازال يريد معها أياماً أخرى.. مازالت عيناه تتمنى لو ترتوى منها أكثر.. مازال قلبه يهفو إلى سماع دقات قلبها.. وقال فى صوت خفيض:

هو سرطان الكبد بيجنن يا سميحة؟!

خرجت سميحة من حمام غرفته بعد أن غسلت قطعة القماش وغسلت يديها وجلست إلى جواره وقالت فى حنان:

سلامتك من الجنان.. سلامتك من كل حاجة ومن أى حاجة.. يا حبيبى أنت بخير..

وبعد لحظات من الصمت ألقى بجسده على فراشه ونظر إليها



قائلاً:

يا بختك يا علاء.. انتى زى القمر النهاردة.. اخرجى يا حبيبتى.. لو بتحبينى اتبسطى يابنتى ماتخليش الراجل يكرهنى ويتمنى موتى..

انحنت سميحة تقبّله فى حنان وهى تقول:

مش حاتأخر.. احنا حنتعشى هنا فى الشيراتون جنبك يا قلبى..

أغمض عينيه وهو يمسك بكفها قائلاً:

قلبى يا بنتى بيدعيلك.

■ ■ ■



جلست سميحة إلى جوار علاء فى مطعم علاء الدين بشيراتون القاهرة تنظر إلى النيل.. كانت حقا تحتاج شيئاً من هذا الهدوء وعادت تنظر إلى كل الوجوه حولها.. هل فيهم تعساء مثلها؟ وابتسمت فى مرارة.. من يعلم.. قد تكون هى أكثرهم سعادة!

وشعرت بعلاء يضع ذراعه حول كتفيها من مقعده المجاور لها.. ورمت رأسها إلى الخلف فى استسلام وقالت وهى مغمضة العينين:

ميرسى قوى يا علاء.. أنا حقيقى محتاجة أخرج.

ومد علاء كفه الآخر ليضغط على يديها الملقاة فى قوة وحنان قائلاً:

أنا بقالى قد إيه بتحايل عليكى يا سميحة.. إحنا من يوم كتب الكتاب ما خرجناش مع بعض.

واعتدلت سميحة ونظرت إليه لتقول فى صدق:

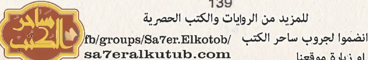
أنا آسفة.. المفروض إن الجو العام بينا يبقى أحسن من كده بكتير لكن غصباً عنى.. علاء.. أنا عايزة أقولك إنى بجد فرحانة بيك ومحتاجة وجودك جنبى وجنب بابا ورباب.. أنا عايزة أقولك حاجات كتير وأسألك على حاجات كتير بس حتى مش قادرة أركز.

جذبها علاء نحوه أكثر وقال وهو يغمض عينيه:

هانت يا سميحة.. حنستلم العفش وحنروح بيتنا واقولك وتسألى زى ما أنتى عايزة.

وانتفض جسد سميحة وهى تسمع كلماته.. الأثاث سيصل بعد عشرة أيام كما وعدهم مالك الجاليرى لكن هى ابداً لن تنتقل للحياة معه وتترك دياب وحده لكن هل من اللائق أيضاً أن تخبره أنها تريد دياب ورباب معها..

لا تعلم.. ما تعلمه أن هناك سؤالاً أكبر يدور فى رأسها.. سؤال لا



يحتمل التأجيل أكثر وقالت فى تردد:

علاء.. أنا مش قادرة أفهم إزاى انت خلّتنى امضى على ورق الفيلا.. أنا يوميها مضيت من الإحراج قدام الدكتور صاحبها والست بتاعة الإدارة.. لكن أنا حقيقى مش حاأقدر أقبل.. بكرة نروح نغيّر الموضوع ده.

مد علاء أصابعه ليرفع وجه سميحة فى وجهه ونظر إلى عينيها وقال:

ده موضوع انتهى.. الحاجة الوحيدة اللى ممكن تعمليها دلوقتى هى انك تحبينى وتساعدينى يا سميحة أبنى مستقبلى وانتِ كمان لازم تشتغلى وتبنى مستقبلك.

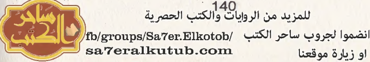
مازالت سميحة حائرة لا تعلم ماذا تفعل.. مازال موضوع الفيلا أكبر من أن تفهمه أو تصدقه.. لكنها سعيدة به.. سعيدة بالثقة التى منحها علاء.. سعيدة وتشعر أنها يجب أن تكون أهلاً لثقته وعطائه وقبل أن تفكر فى شىء تقوله التقطت هاتفها الصغير فى قلق.. ان المكالمة تأتى من البيت.. وقالت فى لهفة:

آلو..

وجاءها صوت أم سعيد تبكى قائلة:

ست سميحة.. تعالى يابنتى الدكتور دياب تعبان قوى..

ولم ترد سميحة بكلمة.. نهضت فى جنون وهى تنظر إلى علاء فى استعجال بعد أن اخبرته بما حدث.. وانطلق علاء بعد لحظات يتبعها.. وركبت سميحة الى جواره السيارة وعندما حاول علاء ان يتصل بأم سعيد ليفهم ما تعنيه بما قالت رفضت سميحة.. لا تريد أن تعلم.. لا تريد أن تسمع.. لا تريد أبداً أن تلوم نفسها لأنها تركته



وخرجت تتناول العشاء.. تريد فقط أن تطوى الطريق.. أن تصل إليه وتضمه إلى صدرها.. تريد أن تحمله بين ذراعيها إلى الطبيب لكن ابداً لن تسمع كلمة لترسم صوراً فى خيالها.. اتعبها الخيال.. انهكها رسم الصور.. صور للحب وصور للألم وصور اخرى كثيرة لهذا الشبح الأسود الذى تراه يطل كل صباح برأسه الأسود ليأخذ منها دياب..

حاول علاء أن يتحدث معها وهو يسرع من الفندق القريب إلى شارع المساحة.. حاول أن ينظر إلى وجهها ليفهم ما يدور برأسها.. لكن لا شىء.. ان سميحة حتى لا تبكى.. سميحة تحدق فى زجاج السيارة بعيون مفتوحة مازالت رغم مقاومتها ترسم صوراً وصوراً..

عندما وصل الاثنان إلى شارع المساحة قفزت سميحة من باب السيارة حتى قبل أن يقف بها علاء تماماً.. قفزت وركضت إلى مدخل العمارة لتجد المصعد فى الطابق السابع عندها ركضت دون وعى على السلالم وهى لا تعلم هل اخذت السلالم لأنها اسرع أم لأنها تريد أن تؤجل رؤية ما ينتظرها.. هل رحل دياب؟!

هل تهرب دماء جديدة من جسده؟! يارب.. مازالت تريده.. مازالت تحتاجه.. شهوراً أخرى.. شهوراً أخرى فقط.. لقد منحته تسعة وخمسين عاماً عاشها فلتمنحها هى الآن شهوراً لتعيشها بين يديه.

وحين وصلت إلى الدور الثانى اكتشفت أنها نسيت مفتاحها داخل حقيبتها فى سيارة علاء.. ومن خلف الباب سمعت أم سعيد تطلق صرخات عالية وأخذت سميحة تلطم الباب فى جنون كأنها تلطم خوفها ورجاءها.

وأطلت أم سعيد تفتح وعندما رأت سميحة ارتفع صوت بكائها وهى تقول:

لما قلتله إنك جاية قاللى طلعينى استناها برا وقع يا سميحة وقع منى.

كانت سميحة تركض ولا تسمع ما قالته أم سعيد.. لكنها وجدت دياب مسجى فى الردهة المؤدية إلى صالة البيت وانحنت عليه فى سكون.. سكت صراخها.. سكتت كل الصور فى رأسها.. ما تراه أكثر ذلاً وبشاعة وجاء علاء من خلفها لينحنى وينهض بدياب بين ذراعيه ومضى يحمله وهو يسأل:

أعمل إيه يا سميحة ننزل بيه على مستشفى ولا أطلب الاسعاف..

ركضت سميحة نحو باب البيت وهى تقول:

ننزل.. ننزل وفى الطريق حاكلم أنكل على اشوف حنعمل إيه..

وفى المصعد رفعت سميحة وجهها إلى علاء تسأله السؤال الكبير:

علاء.. هو عايش مش كده؟!

■ ■ ■



رفع حسين عينيه ثم مد يده إليها بقطعة لحم صغيرة ليقول:

يابت كلى.. أمك بتقول إنك حتباتى النهاردة فى المستشفى.. ومدت إليه عزيزة يدها لتلتقط قطعة اللحم وتضعها فى طبق سماح قائلة:

مانا ها آكل هناك.. دول أكلهم حلو قوى..

وردت جميلة:

آه والنبى يا حسين.. أنا لما رحت معاها شفت حاجات كتير.. دا حتى مستشفيات مصر الجديدة لها شكل تانى..

نهضت عزيزة مع سماح فى خطوات ثقيلة إلى غرفتها ومالت جميلة على حسين لتقول:

أنا مش مصدقة إن ربنا فتحها عليها.

لكن حسين عاد يقاطعها:

والنبى أنا خايف يا جميلة.. مستشفى وبيات وبعدين قوليلى هما فى المستشفيات الكبيرة اللى زى دى مش مابقوش بياخدوا غير شهادات تمريض يقبلوا واحدة دبلوم تجارة ازاى بس؟!

ضحكت جميلة قائلة:

هو أنا مليون مرة حاقولك الدكتور صابر اتوسطلها عند واحد دكتور زميله.. يا حسين دا قاللى بالبقشيش يمكن تقفل أكتر من ألف جنيه فى الشهر.

لكن حسين تنهد فى مرارة قائلاً:

كان الدكتور صابر شغل نفسه هناك.. خلاصته مادام رحت وشفت كل حاجة بعينك هاقول إيه بقى.. ربنا يسترها.. خلفة البنات دى هم يا جميلة.. هى نازلة امتى؟

نهضت جميلة إلى غرفة عزيزة وهى تقول:



ساعتين كدا على المغرب إن شاء الله.

كانت عزيزة مستلقية على سريرها وسماح تجلس إلى جوارها حين دخلت جميلة لتطلب من سماح رفع أوانى المائدة وبعد خروجها جلست جميلة إلى جوار عزيزة ونظرت إليها لتقول:

اسمعى.. افردى خلقتك.. الراجل بقى جوزك بعد الورقة اللى كتبهالك خلاص.. وعقد الشقة خلاكى تمضيه بايدك وكمان قبضك خمسة آلاف مهر.. افردى خلقتك بقى.

نظرت إليها عزيزة لتقول:

أنا خايفة بابا يسأل الدكتور صابر.

لكن جميلة قاطعتها:

لأ.. أنا قلتله انه شرط عليا ماجبشى سيرة لحد حتى لأبوكى قلتله الراجل مش عايز حد يطلب منه حاجة ويحرجه فى الحتة.. يابت أنا أمك وعاملة حسابى على كل حاجة..

وانتفضت عزيزة لتجلس وهى تقول:

أنا خايفة.. خايفة قوى.. أروح أبات معاه النهاردة لوحدى.

أمسكت جميلة بذراعها لتقول فى عصبية:

دا جوزك يابت ده نص مصر متجوزة عرفى فيه إيه بقى.. قومى خدى دش كدا وفوقى.. وماتنسيش تطلبى منه فلوس زى ما فهمتك.

بعد أقل من ساعتين كانت عزيزة قد ارتدت بلوزة صفراء اشترتها لها جميلة وارتدت بنطلوناً أسود ووقفت تربط حجابها الأصفر ثم نظرت فى مرآتها إنها جميلة.. إنها مثيرة.. عزيزة تعلم إن ملامحها قد تبدو عادية فهى سمراء.. عينيها بنية صغيرة لكن شفتيها عريضة كتلك التى تدفع نجمات السينما الكثير من المال لأطباء التجميل نظير



الحصول عليها.. أنفها جميل يقف فى اعتدال.. شعرها أسود مجعد يقف عند كتفيها.. قد تكون ملامحها عادية ولكن شيئاً ما بها مثير.. شيئاً ما فى وجهها يحرك القلوب.. شيئاً ما فى ابتسامتها يوقظ الأجساد.. شيء يستحق أن تقف عنده العيون.

وطأطأت عزيزة رأسها الصغير فى خجل.. إنها تشبه هند رستم.. نعم تشبه هند رستم فى صباها القديم.. هى مثيرة مثلها.. حتى جسدها الملفوف يشبه جسد هند رستم.. ربما كانت هند أكثر منها بياضاً ولكن من يقول إن هند رستم لم تكن فى سمرتها بعيداً عن أضواء الكاميرات..

عزيزة جميلة مثيرة وإلا لماذا يشترى لها الحاج محروس شقة فى مساكن زايد بمدينة السادس من أكتوبر ويجعلها توقع العقد باسمها.. وتنهدت إنه لا يشترى جمالها وأنوثتها فقط.. الحاج محروس يشترى شبابها وعذريتها.. يحطم غرورها وتمنّعها.. لكنها سقطت وانتصر هو.. مازالت لا تفهم هل هو حقاً زوجها هل تلك الورقة التى منحتها لجميلة تكفى لأن يكون ما بينهما شرعياً.. انها تسمع فى التليفزيون إن أى زواج لا يشهر هو حرام.. لكن جميلة قالت لها ان امضاء شهود على العقد هو اشهار.. اصطحاب الحاج محروس لعزيزة لإمضاء عقد الشقة اشهار واعتراف منه بزواجها.. ولكن مازال حسين لا يعلم.. مازال سكان الحارة لا يعلمون.. مازالت أم سعيد تظنها خطيبة سعيد.. مازال سعيد نفسه يظنها له..

جميلة تتحمل الذنب وحدها إن كان ما يحدث حراماً.. جميلة أمها.. ألم يقل الله إن طاعة الأم واجبة.. ثم عادت تتنهد وهى تنظر إلى وجهها المنكس فى المرآة بعد أن وضعت عليه طبقة كثيفة من البودرة..



وابتسمت فى سخرية.. ان كان ما يحدث حراماً فهى أيضاً سيعاقبها الله.. لم تقاوم كما ينبغى هى تعلم جيداً أنه كان بإمكانها أن تهرب.. أن تذهب إلى زوجة الحاج محروس وتخبرها.. أن تحتمى بأم سعيد.. أن تعمل خادمة.. لكن يجب أن تعترف أنها استسلمت للضعف والأحلام.. انها تحلم بأن يطلقها الحاج محروس ويعود سعيد لتتزوجه فى الشقة الجميلة التى اشتراها الحاج محروس..

إن الله يغفر للمضطر.. أليس الفقر اضطراراً.. أليس الفقر سيفاً مشهراً على أعناق الفقراء.. سيغفر لها الله.. هى أيضاً لن تحادث سعيد كثيراً مادامت زوجة للحاج محروس وإن حادثته ستحادثه دون كلمات حب أو شوق دون أن تغمض عينيها وترى نفسها بين يديه.. لن تخطئ مرتين.. وجاءها صوت هاتفها.. إنه الحاج محروس «زوجها» وقال لها فى صوته الأجش:

يللا يا عزيزة.. أنا حستناكى فى ميدان لبنان ولا أجيلك شبرا يابنت الناس..

وقالت فى صوت خفيض:

لا ياحاج الله يسترك.. أنا حاركب الميكروباص وآجى..

وقاطعها فى جنون:

ميكروباص إيه يابت خدى تاكسى.. قوليله ميدان لبنان عند مؤمن.

أغلقت عزيزة هاتفها وحملت حقيبتها الصغيرة التى أعدت فيها قميص نوم من الساتان الأصفر وبعض الملابس الأخرى وخرجت من غرفتها لتركض نحوها سماح وهى تقول:

أبلة عزيزة.. بكرة الجمعة ماعنديش مدرسة خدينى معاكى والنبى..

وانحنت عزيزة تضمها فى حنان لتقول:



ما ينفعش يا سماح دا شغل!

وقبل أن تغادر أسرع إليها حسين ليضع فى يدها بعض الأوراق المالية قائلاً:

خلى معاكى فلوس بزيادة يمكن أكل المستشفى ما يعجبكيش أو يمكن ما يصرفوش أكل ليكى. ربنا يفتحها عليكى يا عزيزة..

نظرت عزيزة إلى جميلة فى انكسار كأنها تود لو تفيق وتطلب منها البقاء.. لكن جميلة كانت عيونها تبرق بأحلام السذج والفقراء فقالت لها:

يللا عشان ما تتأخريش.. أوعى تنسى اللى قلتلك عليه!

قبل أن تدخل عزيزة التاكسى سألته كم سيأخذ.. لقد طلب عشرة جنيهات.. ودخلت على مضض.. لن تركب التاكسى مرة أخرى.. ستوفر كل مليم.. مهما أعطاها الحاج محروس ستوفر.. بل إنها حتى لن تمنح جميلة كل ما يعطيها إياه.. من حقها أن تدخر بعض النقود بمعرفتها الخاصة.. وأخذت تنظر من نافذة التاكسى فى هدوء.. حتى النظر إلى النيل يختلف وأنت تستقل سيارة.. ركوب الميكروباص عناء وابتسمت من يدرى ربما يصبح لديها سيارة صغيرة مثل عزة يوماً ما.. وتنهدت عزيزة وهى تهدهد نفسها.. ما الخطأ؟! فتيات كثيرات يتزوجن ثم يطلقن ليتزوجن من جديد.. الفرق الوحيد انها تتزوج وهى تعلم أنها ستطلق.. لا خطأ فى الموضوع!!

وفى طريقها إلى ميدان لبنان رأت كثيراً من المحال التى تبيع الملابس.. انها ملابس أجمل كثيراً مما تراه فى شبرا وخلوصى.. انها أزياء كتلك التى تراها على صفحات المجلات.. وعادت تغمض عينيها وهى تتخيل نفسها ترتديها ليراها سعيد أجمل من كل السيدات اللاتى



يتجولن فى شوارع المهندسين.. ليست أقل منهن أبداً.. بل ربما كانت أجمل.. بالطبع هى أجمل.. لو كان فى حقيبتها الخاوية النقود التى فى حقائبهن ستصبح أجمل.. ستصفف شعرها كما يفعلون.. ستضع الماكياج كما يضعونه.. لا فرق ابداً بين النساء.. الفارق يبقى دائماً فى الحقائب اللاتى يحملنها..

وأفاقت على صوت سائق التاكسى يقول:

مؤمن أهه.. عايزة تنزلى فين؟!

فتحت عزيزة الباب ومنحته العشرة جنيهات التى أطبقت عليها بين أصابعها طوال الطريق ثم وقفت حولها تنظر لترى الحاج محروس يتقدم بسيارته المرسيدس نحوها وانحنت تفتح الباب لتجلس بجواره وما أن دخلت حتى قال لها:

اتأخرتى يا عروسة.

التفت عزيزة تنظر إليه.. كان يرتدى قميصاً أبيض مخططاً بأقلام سوداء رفيعة.. وبنطلوناً أسود.. كان نظيفاً كأنه خرج للتو من حمام ساخن.. حتى ذقنه كانت لامعة نظيفة.. وقالت فى دهشة:

إيه دا.. ريحة إيه دى يا حاج؟!

ابتسم الحاج محروس وهو يمد كفه الكبير ليضعه على فخذيها قائلاً:

عشا العرايس.. جبتلك كباب وكفتة وحمام محشى.. الليلة دخلتك يا عروسة..

انقبض قلب عزيزة من جديد.. واستدارت تنظر من النافذة.. المحور مظلم.. لماذا اختار لها الحاج مساكن الشيخ زايد لن تستطيع أبداً أن تأتى هنا بمفردها.. لقد قالت له انها تريد مكاناً بعيداً عن



شبرا حتى لا يراهما أحد لكن لم تكن تتوقع أبداً أن تسكن هنا ولكن ربما كان هذا أفضل.. الشقة جميلة غرفتان وصالة وبلكونة تطل على حديقة كبيرة تتوسط عمارات الإسكان الشعبى هناك.. لن تمنح هذه الشقة أبداً لجميلة.. ستسكنها هى وسعيد.. وأطفالهما سيلعبان فى الحديقة.. ستطل عليهم عزيزة من حين لآخر وهى تعد العشاء لسعيد، وشعرت بيد الحاج محروس تتسلل بين فخذيها وانتفضت من أحلامها فى ذعر لتفتح عينيها قائلة:

إيه يا حاج فيه إيه؟!

وأجاب ضاحكاً:

إيه؟! بنسخن يا عروسة..

أغمضت عزيزة عينيها فى حيرة وألقت برأسها المجهد على مسند المقعد.. لا يجب أن تقاوم.. باعته الجسد ومن باع شىء يفقد سلطته عليه.. ولكن هل هى حقاً تملك جسدها لتبيعه.. لا أحد يملك جسده.. لا أحد يملك فى نفسه شيئاً.. نحن لا نملك إلا الاشياء التى لا روح لها ولا نبض فيها.. ربما نملك أحذيتنا.. حقائبنا الصغيرة والأوراق القليلة من الجنيهات التى ترقد فيها.. هذا ما نملكه لهذا نحن باستطاعتنا أن نمزق الأحذية ونلون الحقائب.. بل بإمكاننا أن نشترى بما نملكه من نقود أشياء أخرى نملكها ولكن نحن أبداً لا نملك أجسادنا.. إن كنا نملكها لمَ لا نستطيع إذن أن نلونها.. نغير من أشكالها.. نخلع يداً ونضع أخرى أصغر منها مثلاً.. نستخرج عيناً ونضع أخرى بلون آخر.. أن تملك شيئاً أى أن تفعل به ما شئت وتحوله إلى أشياء أخرى وإن كانت قطعاً صغيرة.. ولكن أجسادنا أقوى منا.. إن قليلاً من الصداع يصيب رأسك يجعلك كقطة صغيرة مذعورة تدور حول نفسها فى



جنون لا تعلم أين تذهب أو مـاذا تفـعل.. بل حـتى الشـوق الجنسى يجعلك أحياناً تتلوى فى ألم.. كانت كثيراً ما تشعر بذاك الألم الجميل الذى كانت تتذرع بعده بالأسباب لتذهب فى زيارة أم سعيد.. كانت تختار تلك الأوقات التى لا يوجد فيها سيد فى البيت على أمل أن تتركها أم سعيد بين ذراعى حبيبها لحظات ليأخذها بين ذراعيه.. ليمر بكفه الأسمر على جسدها حتى يهدأ الجسد وتستعيد هى سيطرتها عليه.. نحن لا نملك أجسادنا.. الأجساد تملكنا وتحركنا تُضحكنا وتُبكينا.. تُطربنا نشوة أو تُمطرنا شعوراً بالذل والمهانة.. لقد باعت ما لا تملك إلى رجل لا يملك سوى أوراق تشتهيها عزيزة ويشتهيها سعيد ويشتهيها كل سكان الأرض.

وجاءها صوته يسأل ضاحكاً:

نمتى يا عروسة.. داحنا وصلنا..

وفى صمت أرخت عزيزة ساقيها على أرض مدينة الشيخ زايد ووقفت تحمل معه ما أحضره وتبعته فى صمت وهما يدخلان باب العمارة المكونة من أربعة طوابق فى المجاورة السابعة.. وسمعته يقول فى صوت خفيض:

تلات شقق بس اللى ساكنين فى العمارة يا عزيزة بس احنا مش عايزين برضة اختلاط بالناس.. الدنيا صغيرة.

ولم ترد.. حتى هنا بعيدا عن شبرا.. بعيداً عن عائلتها الحاج محروس لا يريد أن يعترف بها لكن هى ايضاً لا تريد ان تعترف به.. لماذا تجرحها الكلمات إذن؟!

أخرج المفتاح فى هدوء لتتبعه بعد أن فتح الباب إلى الداخل ووضع الأكياس على مائدة غرفة الطعام التى اشتراها دون حتى أن يأخذ



رأيها.. لونها أبيض كلون قلبها الأحمق يوم ظنت أنها أبداً لن تبيع جسدها وتنهدت عزيزة وهى مازالت تحمل حقيبتها الصغيرة بين أصابعها وتتلفت حولها لا تعلم ماذا تفعل أو أين تذهب لكن الحاج محروس كان يعلم كل شىء.. التفت إليها ليقول:

إيه؟! بيتك يا عروسة.. ادخلى غيرى هدومك وأنا جى حالاً..

سارت عزيزة بجسدها الذى لا تملكه تحمل حقيبة صغيرة فيها ما تملك لتدخل ودون تفكير.. خلعت ثيابها وارتدت قميص النوم الساتان الأصفر.. هى اختارت لونه.. لا تحب اللون الأصفر أبداً كانت تتمنى أن ترتدى قميصاً أحمر فى الليلة التى تتحول فيها إلى امرأة.. اختارت اللون الذى لا تحب للرجل الذى لا تحب ويوم يعود سعيد وتتزوجه سترتدى اللون الذى تحب من أجل الرجل الذى تحب.. هذا هو أقل عدل يمكنها تحقيقه هذا هو أقل ما تستطيع أن تفعله لجسدها ولقلبها وشعرت به خلفها يضحك قائلاً:

يا عبيطة.. دا أنا جبتلك عشر قمصان حلوين..

وفتح الدولاب الذى يقف خلفها وأخرج لها قميصاً أحمر من الدانتيل ليقول:

البسى دا يا عزيزة..

لكنها نظرت إليه فى ذعر لتقول:

لأ لأ يا حاج أنا مابحبش الأحمر..

وضمها بين ذراعيه ليكمل ضاحكاً:

حتحبى كل اللى باحبه.. على العموم أنا دلوقتى مش عايزك لابسة حاجة..

وعادت عزيزة تنظر إليه فى ذهول ترقبه يخلع ملابسه لتقع حول



جسده فى جنون وجذبها من يديها إلى فراش الغرفة وسقط فوق جسدها الصغير وأخذت تنظر إلى سقف الغرفة.. كان فى صدرها خجل كبير يمزق ضلوعها.. وعلى سقف الغرفة رأت وجه حسين.. رأت فى عينيه دمعة.. عندها أدارت عينيها فى جنون ليطل وجه سعيد كأنه يصرخ فى لوعة وأغمضت عينيها ثم عادت تفتحهما وهى تشعر بألم يدق جسدها وأطلقت صرخة صغيرة رفعت بعدها عينيها إلى سقف الغرفة من جديد.. كانت تشعر بجسدها يحترق ودمع ساخن يزحف على أطراف وجهها.. لم تر وجه حسين الطيب النحيل هذه المرة ولم تر وجه سعيد الغاضب.. لكنها شعرت أنها ترى جسدها الممزق أمام عينيها.. تراه ملطخاً بدم العار والخطيئة..

أرخت عزيزة عينيها فى جنون إن كانت هى اختارت العار فالخطيئة هى التى اختارت عزيزة يوم ولدت من أم قاسية وأب فقير!!

■ ■ ■

ابتسم علاء ابتسامة صغيرة وهو ينظر إلى موظفة الاستقبال التى كانت تجلس خلف مكتبها الأنيق فى مدارس رؤى الدولية ثم قال فى هدوء:

علاء لطفى.. عندى ميعاد مع مدام نوال رسلان..

وأشارت فى هدوء إلى أحد مقاعد الريسبشن الكبير لتقول من خلف ابتسامتها العريضة:

اتفضل ياافندم حاديها خبر..

إنه لا يصدق أن نوال الرقيقة زوجة طاهر رسلان تمتلك هذا الصرح التعليمى الكبير وتديره بهذا النجاح.. لقد شارك هو أيضاً فى أعمال هذا المبنى الهندسية منذ عدة أعوام.. لقد نال اعجاب طاهر رسلان وثقته فى تلك الفترة.. حتى أنه دعاه إلى حفل افتتاح المبنى بعد انتهائه.. فى ذاك الحفل التقى نوال وتحدثت معه وحين أخبرها أنه لم يتزوج بعد أخبرته عن سميحة.. لم يصدق نفسه يومها.. كاد يطير عن الأرض.. كان يظنها ابنة رسلان لكن نوال دعته إلى فنجان قهوة فى بيتها بعد أيام لتخبره أنها ابنتها من زوجها الأول.. حكت له باختصار لكنها ألمحت له بوضوح أنها ستقف خلفه وستفتح له أبواب شركات رسلان ليحقق من خلالها مستقبلاً كبيراً.. لا ينسى كيف رفعت حاجبها فى استعلاء وهى تحذره بوضوح من أن تعلم سميحة أو أى كائن سواه على الأرض معرفة علاء برسلان ونوال.. لم يفهم ولم يحاول أن يستوضح.. فى وجه هذه المرأة الرقيق ألف حاجز وألف سد لا يجرؤ أحد على اقتحامه.. حتى عندما اعتذر دياب عن استقباله فى المرة الأولى لم تغير نوال أبداً تعاملها معه.. بقى يسأل عنها كل حين وبقيت تزكيه عند رسلان فى تلك المرات القليلة التى اجتمعوا فيها..



انه فى بعض الأحيان يشعر أن نوال هى التى أرسلت المهندس أيمن ليطلب منه تجديد طلبه بخطبة سميحة.. علاء يشعر أن نوال تدير كل شىء يحدث بأصابعها الرقيقة دون أن يراها أحد ولكن مازال لا يصدق أنها أيضاً تدير هذه المدرسة الضخمة والتى حققت شهرة كبيرة..

لقد وصل إلى مسامعه أن مصاريف الطفل الواحد فيها تتجاوز الثلاثين ألف جنيه سنوياً.. حقاً المال يبحث عن الأغنياء ليغفو تحت أقدامهم.. المال والثروة لا يثقان أبداً فى الفقراء.. إنه يعى هذا جيداً لكنه اقترب من عالم الثراء.. سميحة ابنة نوال ستأخذه إليه؟! لم يكن أيضاً يتخيل أن يجد سميحة بهذا الجمال.. إنه لا يصدق كل هذا الجمال والجاه.. الحظ يطرق الأبواب أحياناً.. طرق الحظ بابه لكنه يستحق ذلك.. انه مهندس ناجح موهوب فقط لو يستطيع أن يقترب بنوال من سميحة.. عندها تكتمل الخيوط.. عندها تتحقق الأحلام.. رحيل دياب سيسهل له القصة.. لن يهدأ حتى يتأبط ذراع سميحة ويدخل بها بيت أمها.. بيت رسلان!

وأفاقه صوت السيدة الأنيقة وهى تدعوه إلى السير معها ليذهب إلى مكتب نوال.. وسار خلفها فى هدوء.. يرقب جمال الصرح الكبير.. عندما دخل الغرفة الكبيرة حيث مكتب نوال وجدها تجلس بعيداً ومن خلفها نافذة زجاجية كبيرة تظهر من خلفها ملاعب المدرسة الخضراء، وفى أحد أركان الغرفة طاولة كبيرة للاجتماعات.. ان مكتب نوال لا يقل أبداً عن مكتب طاهر رسلان.. ولماذا يجب أن يكون أقل؟!

هذه المرأة الناعمة وحدها تدير كل شىء بأصابع خفية يراها علاء بوضوح..



وقفت نوال تبتسم ثم خرجت من خلف مكتبها لتصافحه وتصحبه للجلوس على أحد مقاعد طقم جلدى رائع فى أحد أركان الغرفة وعندما جلس إلى جوارها قالت فى ابتسامة صغيرة:

كم مرة أجلت الميعاد يا علاء؟!

وقال بسرعة:

أنا آسف يا نوال هانم.. أنا شرحتلك الظروف..

ورأى علاء شيئاً كالألم يرسم خطاً فى عينيها العسلية الجميلة لكنها نفضته بسرعة لتسأل:

هو الدكتور دياب عامل إيه دلوقتى؟

أجاب علاء.. أجاب دون ألم.. دون حزن.. أجاب فى صوت هادئ:

زى ما هو فى غيبوبة.. سميحة معاه.. تقريباً مقيمة فى المستشفى.. ماروحتش البيت غير مرة واحدة.. الحقيقة.. كل أساتذة القصر معاها ومعاه..

ثم تلعثم قليلاً ليقول فى خبث رأته نوال بوضوح:

الراجل دا له شعبية غير طبيعية..

وقاطعته نوال فى حزم قائلة:

الراجل دا عظيم.. كفاية أنه عملك عروسة زى سميحة..

ثم عادت تكمل فى هدوء:

علاء.. أنت خلاص بقيت جوز بنتى يعنى فى مكانة ماجد ابنى.. بالعكس أنا حبيتك تكبر فى عين سميحة وعشان كدا طلبت منك تقولها أنك حابب تكتب الڤيلا باسمها.

لم يستطع علاء عندها أبداً أن يمنع تلك الابتسامة الصغيرة الساخرة التى طفت على ملامحه.. لكن نوال التقطتها لتقول فى هدوء



آكبر:

علاء.. أوعى تفتكر إنى كنت خايفة منك على الڤيلا.. تبقى غلطان.. بالعكس أنا لو كتبت باسمك كومباوند كامل حاأعرف آخده.. وماعرفش آخد من سميحة أوضة إلا برغبتها واقتناعها.. أنا عملت كدا عشان تكبر فى عينيها.. عشان تحس إنك ما بخلتش عليها بكام مليون جنيه.. تقوم هى كمان ما تبخلش عليك بأى حاجة.. أنا عايزة سميحة تبقى سعيدة معاك وعايزاك تبقى سعيد معاها عشان تسعدها وتنجحوا.. برامج الإذاعة اللى بتقدمها سميحة دى مش نجاح.. سميحة ممكن.

وقاطعها علاء بسرعة كأنه يود لو محا تلك الابتسامة التى رأتها نوال على وجهه قائلاً:

أنا عارف يافندم.. بس لما الظروف تتغير.. أنا كمان نفسى نكبر سوا وننجح سوا.

وأرخت نوال جفنيها فى سكون لترتشف بعضاً من قهوتها وتشعل سيجارة جديدة وقبل أن يتحدث أحدهما.. دخل رجل فى الستين من عمره غرفة نوال بعد طرقات صغيرة رفع بعدها علاء وجهه لينظر فى وجه الرجل.. كان الرجل أنيقاً.. يرتدى بدلة كاملة.. كان من الواضح أنه امريكى وتقدم فى هدوء إلى نوال حيث وقفت تقدمه فى هدوء إلى علاء قائلة:

الدكتور مايكل وينستن.. مدير المدرسة..

والتفتت إلى علاء كأنها تبحث فى لغتها الانجليزية البسيطة ما تقدمه به للدكتور مايكل بعد لحظات:

المهندس علاء جوز بنتى..



واطلق مايكل ضحكة كبيرة صاخبة صافح بعدها علاء بحرارة ليقول ضاحكاً:

ما افدرش اتخيل الست دى أم لواحدة متجوزة..

وابتسم علاء.. هو أيضاً لا يصدق اشياء كثيرة.. اشياء ضخمة أكبر من رأسه وأشياء أخرى صغيرة لا يمكن أن تستعصى على رأس أحد.. إلا أن نوال وسميحة دوماً بحاجة إلى الكثير من الشرح والتفكير ليستطيع أى إنسان أن يفهم حقيقة ما يدور برأسهما وحياتهما.

واستأذن علاء منصرفاً ليخطو خارج رؤى الأمريكية.. لقد أصبح جزءاً من هذا العالم الجميل ولن يدع لحظة تمر دون أن يعمل ويفكر ويحاول أن يفهم ليصل إلى ما يحلم به من سعادة مع جميلة كسميحة ومع عبقرية كنوال!

■■■



إنها السادسة من مساء اليوم الخامس لغيبوبة منصور.. خمسة أيام ازداد جسده فيها نحولاً رغم المحاليل التى لا تنقطع عن وريده لحظة.. خمسة أيام وسميحة لم تفارق هذا المقعد المواجه لفراشه فى إحدى غرف قصر العينى الفرنساوى.. خمسة أيام طلبت فيها سميحة منع الزيارة عنه.. لا تريد أن يزورهما أحد.. حتى اللحظات القليلة التى يأتى فيها علاء تتعجل سميحة انقضاءها.. لا تريد أبداً سوى أن تجلس على هذا المقعد ترقبه وترقب دموعها التى تهطل فى صمت وكلما اتعبها النظر إليه رفعت عينيها إلى النافذة الكبيرة تبحث عن السماء.. النظر إلى السماء يمنحها القوة.. لكن هى أبداً لا تشعر بالضعف.. تشعر أنها قوية وستبقى حتى تأتى لحظة غير لحظات الأيام الخمس.. لحظة قد يأتى فيها ذاك الزائر الذى تعلم أنه آت.. وعادت تنفض رأسها الجميل لتنظر إلى السماء من جديد وتسأل لماذا دياب.. لماذا دياب بالذات؟!

وشعرت سميحة بيد تربت على كتفها لترفع رأسها وترى أمامها إيمان.. أصبحت الساعة السابعة إذن.. لقد حفظت اسماءهن جميعاً ومواعيد حضورهن والانصراف.. إيمان تأتى فى السابعة وابتسمت ابتسامة صغيرة ليأتيها صوت إيمان الخفيض يقول:

آنسة سميحة.. مش حتروحى النهاردة. أنا موجودة لو فى أى حاجة حاكلمك..

ونهضت سميحة عن مقعدها لتقول فى ابتسامتها الحانية:

لا يا إيمان مش حاروح.. رباب أختى فى البيت وأنا مطمنة عليها..

وبعد لحظة صمت صغيرة قالت وهى تشير إلى دياب:

الناس بتخرج من باب المستشفى للدنيا وأنا هنا دنيتى أخرج لمين؟!



عندها تنهدت إيمان فى إشفاق ومضت نحو الباب قائلة:

أنا جبت لحضرتك العشا.. أنا بكرة أجازة ممكن اقعد مع الدكتور دياب وحضرتك تروحى وحتكونى مطمنة انى هنا فى الأوضة معاه لحد ما ترجعى.

ولم ترد سميحة.. هزت رأسها فى امتنان ونظرت إلى الطعام الذى وضعته إيمان لتلتقط تفاحة قضمتها وهى تخطو إلى مقعدها وتنظر إلى وجه دنيتها الشاحب.. ومن خلف صوت تكسّر التفاحة بين شفتيها سمعت صوته يقول فى ضعف شديد:

سميحة.. حبيبتى..

وألقت سميحة بالتفاحة من بين أصابعها فى جنون وخطت نحوه.. لا تتخيل.. دياب عيناه نصف مفتوحة ويحاول أن يرفع كفه نحوها فى هدوء والتقطت كفه وقالت فى لهفة:

يا حبيب سميحة.. كنت عارفة إنك حترجع.

وابتسم فى ضعف يسألها:

إيه اللى حصل.. أنا كنت طالع أشوفك يا سميحة.

وقاطعته سميحة وصوتها يهتز من دموع صغيرة تلاحقت فى عينيها قائلة:

الغيرة يا سيدى.. الظاهر انك اتضايقت إنى خرجت مع علاء فقلت تعاقبنى..

ودون وعى فكرت أن تركض إلى الباب.. ان تستدعى كل من يمكن استدعاؤهم من أطباء وممرضات.. يجب أن يحضروا.. يجب أن يكون هناك ما يفعلونه لتستمر يقظة دياب.. ليبقى فى وعيه لكن شيئاً آخر كان يريدها أن تبقى بجواره.. ومدت أصابعها من فوق رأسه تضغط



جرس الغرفة لتستدعى أحدهم ومالت على كفه النحيل تقبله فى حنان ألف قبلة صغيرة سعيدة وقال لها فى هدوء:

سميحة.. أنا عايز رباب.. أرجوكى

ورفعت عينيها لتقول:

حاضر يا حبيبى حاضر حاكلم علاء أخليه يجيبها حالاً..

ورفع منصور حاجبه عندما سمع اسم علاء وقال فى هدوء كأنه تذكر من هو علاء:

علاء؟! أيوة أنا عايزه يا سميحة.

وأطلت إيمان فى دهشة لتقول:

إيه دا؟! حمدا لله على السلامة..

ونظر إليها دياب وكأنه بدأ يفهم أين هو بالتحديد وقال فى ابتسامة ضعيفة:

أنا جعان..

كانت سميحة فى تلك اللحظة تحادث علاء وأنهت حديثها بسرعة لتتجه نحو منصور وهى تقول:

نفسك تاكل إيه.. أى حاجة ولا أقولك.. إيمان من فضلك دكتور.. دكتور بسرعة.. نسأل الأول يا حبيبى..

وركضت إيمان إلى الخارج بينما عادت سميحة تقفز إلى جوار دياب فى هدوء وهى تقبّل كفه من جديد وقال لها فى حنان:

بقالى قد إيه هنا يا سميحة؟!

وتنهدت سميحة فى ألم قائلة:

خمسة أيام..

وأرخى دياب جفنيه فى خجل قائلاً:

أنا آسف.. خمسة أيام بتتعذبى يا سميحة.
ومالت عليه تقبله وهى تكرم دموعها التى سبقتها إلى وجهه النحيل لتسمعه يقول:
انتظار الموت صعب.. صعب قوى يا سميحة عليا وعليكى..
وقالت فى هدوء:
تفتكر يستاهل ان احنا نتكلم عنه دلوقتى؟!
وعاد دياب يقول فى إجهاد:
سميحة.. أنا الموت عيشنى وعيشك أحلى أيام.. والأيام الحلوة ليها تمن ليه نهرب من دفعه؟!
قالت من خلف دموعها:
أيامنا سوا كلها كانت حلوة من غير انتظاره..
كان صوته خافتاً لكنه قال:
مش قادر اتحرك يا سميحة.. ارجوكى هاتى إيدك عند شفايفى.
ووضعت سميحة أصابعها المرتعشة قرب فمه ليقبل أصابعها بشفتيه الضعيفتين وهو يقول:
لولا انتظار الموت لا عمرى كنت أفكر أبوس صوابعك الحلوة ولا كنتى حتخلينى أبوسها ولو عملناها.. ماكنش أبداً حيبقى بالجمال والإحساس دا.. سميحة.
وقبل أن ترد دخل الدكتور صلاح إلى الغرفة مبتسماً وهو يقول:
أيوة كدا يا بطل.. حمدا لله على السلامة.
لم يفعل صلاح شيئاً سوى أن نظر بعينيه إلى جهاز رسم القلب المتصل بجسد دياب وبعد أن أخبره بامكانية شرب بعض الماء وتناول شىء خفيف مضى إلى خارج الغرفة لتتبعه سميحة وتستوقفه فى



ردهة المستشفى وقبل أن تسأله قال فى صدق:

مافيش حاجة ممكن تتعمل.. ممكن جداً يتحسن ويخرج معاكى وممكن فى لحظة يرجع الغيبوبة.. آنسة سميحة الموضوع مش فى إيدينا.. إحنا كلنا دلوقتى زى بعض بنتساوى فى الضعف والدهشة والانتظار..

لم تقل كلمة.. ولم تنتظر كلمة أخرى.. خمسة أيام لم تكن أبداً تتصور أن يعود.. لكنه عاد.. كل لحظة ودقيقة هى بحاجة لها الآن وهو أيضاً بحاجة لكل الدقائق بين ذراعيها وأيضا فى عينيها وعينى رباب تأخرت رباب!! ودخلت إليه بسرعة لتجده مغمض العينين وصاحت فى ذعر:

بابا؟!

وفتح عينيه لترى سميحة دمعة تسقط وتسمعه يقول:

قوليها تانى يا سميحة..

وتقدمت نحوه تسبقها دموعها وهى تهمس:

بابا.. يا أغلى بابا فى الدنيا.

لم تمض لحظات كثيرة بعدها حين دخل علاء ومعه رباب ليقول:

حمدا لله على السلامة يا عمى.. أنا حقيقى مش مصدق نفسى..

رفع دياب عينيه ينظر إلى رباب فى حسرة لم يستطع اخفاءها.. فى ألم لم يعد يقوى على احتماله.. كانت تقف بعيدا وتتحرك عيناها فى ذهول بين دياب وسميحة.. ورفع دياب كفه يناديها إلا أنها لم تتقدم.. كانت تنظر فى خوف إلى الكانيولا فى كفه النحيل.. كانت تنظر فى خوف إلى الأجهزة التى تصدر أصواتاً تخافها وكأنها تشبه تلك الأصوات التى تخرج من حنجرة رباب لترى بعدها الخوف يطل من

أعين من حولها..

كانت رباب تنظر فى خوف وشىء كالدمع يرقص فى عينيها ولكن من خلف دمعها كان شىء أكبر يلوح لوجه دياب وسميحة.. شىء لا يعرف أحد سواهما أنه يسكن عروق هذه الجميلة.. شىء اسمه الشوق والحب!!

نهضت سميحة من جوار دياب لتحتضن رباب وتمضى بها إلى منصور وهى تقول:

بابا يا رباب.. بابا عايزك..

وهمهمت رباب بحروفها المتقطعة وما أن اقتربت حتى منحت كفها لكف دياب وسقطت قطرات كالدمع من عينيها الجميلة وقال دياب:

خدى بالك من سميحة يا رباب.. أنا بحبك يا رباب.. بحبك..

لكن رباب لم تقل شيئاً.. حتى تلك الهمهمة سكتت فجأة بدت رباب وكأنها تستمع إلى شىء ما يقال.. شىء ما له صوت لا أحد يسمعه سواها.. ربما ظن الجميع أنه صوت الأجهزة الطبية حول دياب.. لكن رباب لم تعد حتى تنظر إلى أى منها.. كانت عيناها مفتوحتين وتحاول أن تصغى إلى ما لا يسمعه أحد.

وابتسم علاء فى عصبية كأنه يحاول أن يبدد الخوف الذى اشاعته رباب بصمتها وتركيزها الذى لم يعتده منها أحد.. فقال فى ابتسامة راقصة:

الظاهر رباب خايفة من جو المستشفى يا عمى..

عاد دياب ينقل عينيه إلى علاء ثم قال فى هدوء:

سميحة.. سيبينا لوحدنا..

واتسعت عينا سميحة فى استنكار واضح إلا أن دياب عاد يقول:

ثوانى.. ثوانى يا سميحة أرجوكى..

وانحنت سميحة نصف انحناءة لتنهض برباب إلا أن دياب عاد يقول:

سيبيها أرجوكى..

وخطت سميحة نحو الخارج فى هدوء لتغلق خلفها الباب وعاد دياب يقول:

علاء.. رباب دى ملاك.. حاول تحبها.

وتلعثم علاء قائلاً:

ربنا يعلم يا عمى..

وقاطعه دياب فى صوت مرير ليقول:

أنا عارف إنه صعب.. لكن صدقنى دى هدية.. ما تفرقش البنات يا علاء أوعدنى وعد راجل تحافظ على الأمانة وماتفرقش البنات..

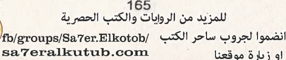
وفى هدوء نكس علاء رأسه قائلاً:

أوعدك ياعمى وعد شرف.

وأطلت سميحة دون أن تطرق الباب.. أطلت فى عصبية حاولت أن تخفيها.. انها تكره ما تشعر به يدور.. انها تعلم أن دياب يرجوه أن يحنو على رباب وتكره ذلك.. رباب مسئوليتها وحدها ولكن حتى هى نفسها أصبحت مسئولية علاء.

وابتسم دياب ابتسامته الضعيفة فى حزن.. سميحة يقتلها الكبرياء ولكن الذاهبين إلى الموت والعائدين منه لا يعنيهم أمر الكبرياء كثيراً.. دياب عاد من موت خمسة أيام وقريباً سيذهب إلى لقائه من جديد..

وعاد يتحسس أصابع رباب الراقدة فوق كفه ثم عاد ينظر إلى وجهها.. كانت مازالت تنظر نظرتها الخائفة كأنها مازالت ترى وتسمع شيئاً لا يراه أحد أو يسمعه سواها.. وقال دياب فى هدوء:



روّحها يا علاء أرجوك.. المشوار لسه طويل ولازم تبتدوه.. مش حتأكلونى يا سميحة؟!

وقادت سميحة رباب فى هدوء إلى خارج الغرفة وهى تقول لعلاء:

علاء أنا خايفة.. خد بالك من رباب عشان خاطرى..

لكن حتى علاء كان يشعر بشىء لا يفهمه.. فقال لها وهو يلتقط كف رباب:

ماتخافيش يا سميحة.. عايزانى أرجعلك؟

وقبل أن تجيب سميحة أفلتت رباب بكفها منه ودخلت إلى غرفة دياب لتتبعها سميحة فى صمت ورأتها تقف مستندة إلى حائط الغرفة لا تنظر إلى دياب لكنها تنظر حولها فى خوف.. إلا أن سميحة ربتت على كتفيها وهى تقول:

بابا كويس.. روّحى يارباب. روّحى..

لم يشرب دياب سوى قطرات من الماء وضعتها سميحة بين شفتيه.. ولم يستطع أن يأخذ أكثر من ملعقتى حساء من ذاك الحساء الذى أحضرته إيمان.

كان كلاهما يشعر أنه يرتوى ويشبع من أنفاس الآخر.. من وجوده إلى جواره وبعد ساعات من الصمت الصاخب قال دياب فى هدوء.

نامى يا سميحة وسيبينى أنام.. حتى وأنا نايم حابقى شايفك صدقينى.. الأرواح بتتلاقى..

لم تحاول سميحة أن تغفو على السرير الصغير الذى خصص لمرافق المريض.. كانت تجلس على المقعد ترقبه فى خوف..

شىء ما يدعوها للفرح والتفاؤل وشىء آخر يقطع رأس فرحتها فى قسوة.. رغم محاولاتها الطويلة سقط رأسها فى اغفاءات متعددة لم



تجد معها مفراً من الذهاب إلى فراشها وقبلته على وجنته قبلة صغيرة والقت بجسدها على السرير الضيق الذى اعتادته.. لن تنام سوى ساعة أو ساعتين فقط وستنهض من جديد..

لكنها نامت.. نامت كما لم تنم ليلة منذ حضورها إلى المستشفى.. نامت نوماً عميقاً طويلاً أفاقت منه على يد إيمان توقظها فى حنان وحين فتحت عينيها رأت قطرات من الدموع تسيل من عين إيمان فانتفضت واقفة تنظر إلى دياب.. كان كل شىء ساكناً وواضحاً.. وأدارت وجهها فى جنون تنظر إلى نافذة الغرفة.. كان الضوء واضحاً جلياً يكسو السماء.. وسمعت إيمان تقول:

أنا كل ساعة كنت بادخل عليكم.. من ساعة كان صاحى.. سألته أصحيكي قاللى سيبيها ترتاح.. عندها مشوار كبير.. أنا آسفة..

ونظرت سميحة إلى ساعتها فى جنون وهى مازالت لاتفهم أنها السابعة والنصف.. كيف نامت كل هذا الوقت.. كيف رحل بهذه السرعة وهذا الهدوء ومضت نحوه كعادتها تسبقها دموعها وتبعتها إيمان لتمسك بذراعها بإحدى كفيها وبكفها الآخر حاولت أن تغطى وجه دياب إلا أن سميحة التفتت نحوها فى هدوء لتقول:

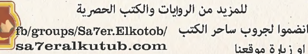
لا يا إيمان.. لأ.. ممكن أطلب منك طلب أرجوكى؟!

وأومأت إيمان بالموافقة لتكمل سميحة قائلة:

سيبينى معاه لوحدنا شوية.. ما تقوليش لحد حاجة دلوقت.. أرجوكى.. أرجوكى يا إيمان.

وبعد لحظة صمت قصيرة نظرت فيها إيمان إلى وجه سميحة غادرت الغرفة.

رغم أنها لم تر أحداً فى تعلق سميحة بأب فى عمر دياب وحالته إلا

أنها علمت أن سميحة قوية وأن من حقها لحظات أخيرة هادئة مع هذا الرجل.. وقبل أن تغلق باب الغرفة قالت بصوتها الدامع:

أنا حاقول إنكم نايمين بس أرجوكى ماتطوليش!

كانت سميحة تمسح دموعها لترى وجه دياب بوضوح أكثر.

مازال أمامها العمر لتبكى ولكن ما بقى لها مع دياب ليس كثيراً تريد أن تراه دون حجاب حتى إن كان هذا الحجاب هو دمع حبها ولوعتها.. لم تلمسه.. لكنها مضت نحو حمام الغرفة لتتوضأ وتعود إليه وهى تحمل ذاك المصحف الذى طلبت من علاء إحضاره منذ أيام ووضعته إلى جوار جسد دياب وأمسكت بكفه الهادئ بين أصابعها وشهقت شهقة صغيرة باكية.. إن كفه ليس أكثر من قطعة جليد وتمنت لو تعلم كيف تضعها على حرائق قلبها وعروقها لتشتعل حباً وحرارة من جديد.. لكنها جلست إلى جواره فى صمت تنظر إلى وجهه الجميل.. إن وجهه هادئ.. لا ألم فيه ولا حزن.. كأنه تحرر من كل آلامه ومخاوفه وابتسمت فى مرارة رغم دموعها.. ان أجمل الوجوه وجه العروس ووجوه الراحلين.. ربما لهذا يغطون وجه العروس ليكون زوجها أول من يرى هذا الجمال.. ترى هل يغطون وجه الراحل ليصبح جماله من حق الموت وحده.

اقتربت بهدوء تضع شفتيها المرتعشة على وجهه الهادئ الجميل وقبلته قبلاً كثيرة حانية ثم اعتدلت لتقول فى صوت خفيض:

أنا عارفة إنك سامعنى.. عارفة كمان انك رجعت عشان تودعنى وعارفة كمان انك رحت عشان ترحمنى من انتظار الموت.. بس انت دلوقتى أكيد عرفت.. ان لو عمرى كله راح وأنا جنبك فى المكان ده أرحم كتير من لحظة اعيشها من غيرك..

وهزمتها الدموع لتجهش لحظات فى بكاء حاد تحاول أن تكتم صوته ورفعت رأسها تستغفر الله ثم أمسكت بكتابه قائلة:

انا بحبك.. وباعاهدك وكتاب ربنا بين إيديا.. إنى أكون بخير ورباب تكون بخير وانت حتفضل الخير اللى يهدى أيام عمري ولياليه.. اطمن بنات دياب حيكونوا بخير وحتفضل انت فى عروقهم لغاية ما يقابلوك!

*

لم تر سميحة يوماً قبلها جسداً فارقته الروح.. كانت تظن أنه من الصعب أن تجلس إلى جوار أحدهم وإن كان أحب البشر إلى قلبها ولكن فى تلك الدقائق علمت أن أنقى لحظات الحب وأكثرها صدقاً هى تلك التى نقضيها إلى جوار من نحب بعد رحيلهم.. لحظات فى حضور ملك مسح بأصابعه السحرية على وجه حبيبها فأضاع ملامح الألم والخوف ليترك ملامحه ساكنة جميلة مضيئة تعلن أن دياب كان من أجمل القلوب وأكثرها طهراً وعطاء.. بقيت سميحة تقرأ ما استطاعت من آيات ربها وتنظر إلى وجهه من خلف دموعها ويده الباردة لا تفارق أصابعها حتى سمعت صوتاً خافتاً من خلف ظهرها يناديها باسمها.. وحين التفتت رأت من خلف دموعها وجه على سليمان صديق العمر وفى لحظة شعرت أنه يشبهه.. الحب والصداقة الطويلة يقربان الملامح ويوحدان الأرواح.. ورأت إيمان تقف خلفه فى سكون كأنها تعتذر.. من عساه فى هذا المكان أن يمنع على سليمان من الدخول.. واقترب على من سميحة ودموعه تسقط فى صمت ووضعت سميحة كف دياب إلى جوار جسده فى هدوء بالغ لتقف أمام على وهى تسمعه يقول بصوت متهدج:

ليه لوحدك يا سميحة.. ليه يابنتى؟!



كانت دموعه كثيفة وخلع نظارته فى هدوء ليكمل قائلا:

مش حـأقـولك أنا أبوكى ولا حـتى زيه.. دياب مـافـيش زيه لكن حـاقولك أنا اللى زيك.. سـاعدينى وسيبنى أسـاعدك على فراقـه.. سـاعدينى يابنتى..

وبلا وعى أو تفكير.. بحب الأعوام والطفولة رمت سميحة بنفسها على صدر على سليمان وأطلقت سراح بركان نحيبها ودموعها!!

■ ■ ■



رفع طاهر رسلان عينه السوداء الواسعة فى إجهاد واضح ليهز رأسه الذى يعلوه شعره الناعم الأبيض المتدرج فى جمال كبير قائلاً:

ماتحاولش يا رفعت.. أنا مش حاخد المشروع ده..

وقاطعه رفعت قائلاً:

طاهر.. المشروع ده نقلة تانية يا طاهر.. طب أنا حامسكه خليك انت اسم بس وإشراف.. أوعدك إنى حاتابعه خطوة بخطوة وانت عارفنى.. عشرة عشرين سنة..

لكن طاهر عاد يهز رأسه بالرفض قائلاً:

ماتحاولش يارفعت.. يارفعت أنا عايز أخلص مشروع شارم وأهدّى اللعب.. أنت مش غريب.. أنا خلاص زهقت.. زهقت حتى ملايين ومليارات.. أنا بقيت تلاتة وستين سنة.

وعاد رفعت يقاطعه:

انت عارف إن شكلك أصغر حتى من ولادنا.. ده انت البنات الصغيرة بتجرى ورا جمالك وشياكتك..

ابتسم طاهر ابتسامة صغيرة.. انه يعلم أن رفعت على حق.. مازال جميلاً.. مازال بكامل لياقته الذهنية والجسدية لكن ما كان يدور برأسه كان شيئاً آخر فعاد يقول:

أنا ماعنديش غير ولد واحد.. ماجد لسه قدامه سنة على ما يروح الجامعة.. أنا خلفت كبير وعايز اتفرغ لماجد شوية.. عايز أعيش معاه.. إحنا بقينا بنتقابل صدف.

كان رفعت يرى أن مشروع بناء مدينة كاملة فرصة لا يجب أبداً أن تضيع وإن كانت لا تشكل لرسلان أى إغراء مادى إلا أنها ستبقى نجاحاً معنوياً كبيراً فعاد يقول:



ماجد عنده نوال.

وهنا قاطعه رسلان مجدداً ليقول:

هى دى الحكاية.. نوال مش بتحب ماجد.. نوال مجنونة بيه وهو مجنون بيها.. لكن مش أصحاب يا رفعت.. أنا وماجد أصحاب ولما الأصحاب ما يلاقوش بعض ومايتلاقوش كتير الصداقة بتاخد شكل تانى.. الولد فى سن خطير.. ماجد ثروتى اللى من غيرها كل ثروتى مالهاش قيمة ولا معنى.. يارفعت الحب بيضعف لكن الصداقة هى اللى بتحمى.. الحب ممكن يخلى نوال تقبل حاجة غلط عشان خاطره أو هو يعمل حاجة غلط عشان هى ماتزعلش.. لكن الصداقة هى الحوار هى الحرية والقرار اللى بييجى بعد نقاش واقتناع.. هو الحماية.. ثم إن أنا كمان وحشنى حواراتنا.. وحشنى ادخل جوه عقل ماجد.. اتمشى واتفرج واسمع إيه اللى بيحصل فيه.. رفعت انت مش النائب بتاعى انت صديق وأخ.. أنا غلطت يوم ما اتجوزت نوال وهى مالهاش أخ أو أخت زيى.. بقينا عيلة صغيرة شجرة كبيرة وحلوة آه بس عجوزة.. شجرة مافيهاش غير زهرة واحدة .. عايز استمتع بالزهرة دى.. استمتع بيها وأنا واعى.. مش أطبطب عليها وأنا فى طريقى للسرير.

عندما غادر رفعت مكتب رسلان.. استدار الأخير بمقعده ليواجه نافذة مكتبه الكبيرة المطلة على حديقة حيوان الجيزة وأغمض عينيه فى ألم.. لا يريد أن يموت كما مات دياب دون أن يستمتع بحياته.. ماجد هو حياته.. ليته أنجب غيره.. ليته ضغط على نوال أكثر.. بل ليته تزوج سواها وانجب ولكن من يتزوج نوال لا يعرف كيف يتزوج امرأة أخرى.



انطلقت آهة صغيرة من صدره.. نوال.. مجموعة من النساء فى جسد صغير جميل.. عناد كعناد صخرة كبيرة وقت تريد.. نعومة كنعومة ورقة ياسمين متى تريد.. وأنوثة لا تعترف بالعمر والأعوام أبت أم أرادت.. نوال مجموعة من النساء فى جسد رائع ووجه أكثر روعة.. ولكن ليعترف أنه لايفهمها كثيراً.. لما هو إذن حزين وغاضب؟! لأنه لا يفهم رفضها للذهاب إلى عزاء بناتها؟ ربما ولكن شيئاً ما فى ضميره يدعوه للمحاولة من جديد.. اليوم هو ثالث أيام العزاء وآخرهم.. يجب أن يحاول.. وعاد يفكر.. لم يحاول؟! بل لمَ يشعر بالذنب؟! لأنه تزوج نوال؟! لقد تزوجها بعد طلاقها من دياب بأعوام.. لم الشعور بالذنب إذن؟! لأنه أحبها قبل أن تنجب سميحة أم لأنه أشعرها بذاك الحب أم لأنه أخبرها دون حديث بعد صدمتها فى رباب انه يفهمها ويعذرها.. رحمك الله يا دياب.. كان صديقه.. لهذا ربما يشعر بالذنب؟!

هو أبداً لم يخن دياب.. بل حادثه قبل أن يتزوج نوال وأخبره.. آه يا دياب.. لا رجل فى نقائه.. بكى يومها على الهاتف ثم قال له إنه الوحيد الذى يعلم كم يحبها وأكمل أنه يعلم إن طاهر أيضاً سيبقى الوحيد الذى يعلم دياب أنه سيسعدها ويحافظ عليها.

لِمَ يشعر بالذنب إذن؟! لم يمنع نوال يوماً عن بناتها.. هى التى أصدرت قراراً بمقاطعتهم حتى بعد أن أخبرها طاهر أن منصور لن يمانع إن طلبت نوال وطاهر زيارتهم.. وحدها أصرت على القطيعة.. ووحدها عادت تنسج خيوطاً لا يفهمها حول سميحة.. ورغم هذا ساعدها.. إنه يخلق معها من علاء لطفى اسماً آخر سيلمع قريباً فى سماء رجال الأعمال والمقاولات الهندسية.. لماذا يشعر بالذنب إذن؟!

ربما كان ما يشعر به ليس ذنباً.. ربما كان حزناً على رحيل دياب..

حزناً لأنه لم يفكر يوماً بمحادثته أو زيارته.. إنه يعلم أن دياب ما كان ليرفض أبداً ولكن رغم شوقه كان يشعر بالخجل من أن ينظر إلى عينيه.. بداخل طاهر رسلان شعور دفين بالخجل والذنب كأنه وحده المسئول عن حرمان سميحة ورباب من نوال.. وحرمانه هو نفسه من صديق كدياب.. صديق لم يعرف رسلان يوماً أحداً فى وفائه ونقائه.

وبلا وعى امسك بهاتفه الصغير ليطلب رقم نوال قائلاً:

نوال.. أنا رايح العزا النهاردة.. حاروح الساعة سبعة لو عايزة تيجى كلمينى أعدّى عليكي.. لكن أنا رايح رايح.. لو انتى مش عايزة تروحى تعزى فى أبو بناتك.. أنا رايح عزا صاحب عمرى القديم..

وأغلق الهاتف دون أن ينتظر منها رداً وأجهش فى البكاء!

■ ■ ■



كل شيء ساكن.. كل شيء هادئ تلونه سحابة حزن فى بيت دياب.. حتى الحوائط والجدران تشعر بها سميحة تبكى.. انها الخامسة عصراً.. يجب ان تستعد لانهاء اليوم الثالث والاخير من العزاء.. علاء مازال مندهشا لا يفهم لم رفضت سميحة اقامة العزاء فى إحدى دور المناسبات.. لقد أخبرها ان كثيراً من الشخصيات العامة ستحضر.. وهم يفضلون دور المناسبات.. الا انها أصرت ان يكتب فى النعى «العزاء ثلاثة ايام فى منزل الفقيد» .

علاء لم يفهم ان سميحة ترفض ان تكتفى بتلقى عزاء النساء وحدها.. علاء ليس ابن دياب فكيف يتلقى العزاء من أصدقائه.. سميحة فى البيت تتلقى العزاء من كل من حضروا.. ومسحت دمعة صغيرة سقطت من عينيها..

كثيرون يحضرون كل يوم.. على سليمان رغم مسئولياته الكبيرة يتلقى معها العزاء.. وجوه كثيرة تأتى.. وجوه لم تكن تعلم سميحة ان دياب يعرفهم او يربطهم به حب او صداقة.. اعلاميون وصحفيون وطلبة كثيرون يأتون كل يوم.. لم تكن تحبه وحدها ولكن هى اكثر من يقتلها الحزن عليه.. لو عرفوه كما عرفته.. لو اقتربوا منه كما اقتربت لأصبحوا مثلها..

ووقفت سميحة بملابسها السوداء تخطوا فى المنزل.. أم سعيد فى المطبخ تبكى فى صمت.. رباب فى غرفتها لا تغادرها.. رباب تعلم ان منصور لن يعود فهى لا تدخل غرفته ولا تبحث عنه بعينيها حتى ان جلست الى طاولة الطعام لتأكل مع أم سعيد.. كل شيء فى ملامحها الساكنة يقول انها تشعر وتعلم رغم أنه لا أحد يظن انها تدرك.. الا أن سميحة وحدها تثق ان موت دياب اكبر من ألا يشعر به أحد مادام بين

أضلعه قلب ينبض..

ودخلت الى غرفة دياب وسقطت دموعها من جديد.. شيء، ما فى الغرفة حزين.. شيء ما قاتم.. شيء ما لم تشعر به سميحة أو تراه من قبل.. ونظرت فى لهفة الى اصيص الزرع الذى كان دياب يهتم به وشهقت فى ذعر.. ان الاوراق تموت وأسرعت الى حمام الغرفة تملأ كوبا وجدته بالماء لتسقى أصيص دياب.. سترعى كل ما كان يحبه.. وعادت بالكوب الفارغ لتضعه على حوض حمامه وقبل ان تخرج ارتطمت عيناها بفرشاة اسنانه والتقطتها بين أصابعها فى حنان وبكت وهى تضمها الى صدرها.. هذا هو ما بقى من دياب.. اشياء صغيرة لكنها تحمل قصصاً كبيرة .

وسمعت صوت أم سعيد يناديها فأستدارت لتجدها تقول:

ست سميحة.. علاء بيه وصل برا .

وخطت سميحة فى هدوء لتجده فى الردهة وكأنه قرر الدخول اليها وضمها الى صدره فى حنان قائلا:

اتغديتى يا حبيبتى؟

وجاء صوت أم سعيد يقول:

ولا فطرت.. انا حاحضّر لقمة تاكلوها سوا..

بعد الطعام وبعد أن أطفأت سميحة سيجارتها فى هدوء سمعت علاء يقول:

ادخلى يا حبيبتى.. خدى حمام لو عايزة.. الناس حتبتدى تيجى دلوقتى.. يالا عشان خاطرى..

وغابت سميحة عن عينيه والقى علاء برأسه على المقعد فى صالون البيت.. انه متعب.. منذ رحيل دياب وهو يركض بين العمل واجراءات



الوفاة والعزاء.. كم كان يتمنى لو كان العزاء يوما واحداً.. وكم يتمنى لو كان بإمكانه ان يأخذ سميحة الى بيتها.. كل شيء هناك اكتمل ولكن هو يعلم انه ليس من المناسب ابداً ان يفاتحها في شيء كهذا وربما لن يأتي الوقت المناسب قبل شهور.. سميحة رغم رقتها عنيدة صلبة.. لا تنصاع الى شيء لا تقبله حتى وهي غارقة في ضعف احزانها وآلامها..

يجب ان يكون اكثر صبراً وتفهماً.. مرت سميحة بقصة كبيرة ومن حقها بعض الوقت لتسترد نفسها ومن حقها أيضاً أن تجد علاء حولها في كل لحظة. ورآها تقبل من جديد وهي ترتدي قميصاً من القطن الأسود وجوب سوداء تقف أسفل ركبتيها.. كان شعرها البندقي الغزير مسدلاً على كتفيها ويمتد ليربت على ظهرها في حنان..

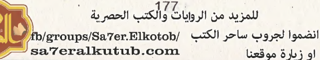
انها جميلة. بل ربما جعلها الحزن أكثر جمالاً وتألقاً.. وربت علاء بكفه على المقعد الخالي بجواره على الكنبة التي يجلس عليها وجلست سميحة إلى جواره ليمد ذراعه خلف كتفيها والقت سميحة برأسها على كتفه.. تشعر بالراحة إن ضمّها أحد.. تشعر برعشة دفء كلما ضمها أحد تسرى إلى عروقها الباردة المشتعلة بجليد الحزن والألم.. وسمعها تقول في هدوء:

أنا آسفة جداً يا علاء.. الوضع كان لازم يكون مختلف جداً.. لكن حقيقي كل اللى انت بتعمله ده له معنى كبير وعامل فرق كبير في حياتي..

انحنى علاء ليقبّل جبهتها قبلة صغيرة ثم قال:

سميحة أنا عمري ما اتمنيت نكون في بيت واحد زي دلوقتي.بخاف اسيبك تنامي لوحدك.. باتمنى تنامي في حضني.. لكن..

واعتدلت سميحة لتشعل سيجارة وقالت وهي تنفث دخانها في



صوت خفيض:

أنا مش حادخل بيتك يا علاء عشان تداوينى.. انا عايزة ادخل بيتك وانا قادرة اسعدك وأديك كل اللى تستاهله.

وقبل أن يرد علاء بكلمة أطفأت سيمحة سيجارتها بعد سماعها لجرس الباب ووقفت تخطو فى هدوء لتجد امامها الدكتور على يخطو نحوها كعادته فى الأيام الماضية.. أول من يحضر ليقف إلى جوارها فى تلقى العزاء. وكيف لا يكون ودياب كان صديق صباه وسميحة كأبنائه.. رآها تكبر وتخطو مع دياب وفى قلب دياب وقلبه هو الآخر بنفس القدر وجلس إلى جوارها بعد أن طلبت له سميحة القهوة التى يشربها من أم سعيد وأيضاً طلبت منها أن تترك باب البيت مفتوحا ككل يوم.

كان صوت القرآن الكريم هادئا.. وكل من حضروا كانت اصواتهم ايضاً هادئة.. الجميع كان يحترم دياب وبيت دياب وحزن سميحة.. الكل جاء يقدم عزاء صادقاً من القلب.. لا أحاديث.. لا ثرثرة كثير ممن حضروا ذهبوا بعد قضاء وقت قليل ليتركوا لسواهم المكان.. والقليل بقى يرقب سميحة فى حب ويتمنى لو كان بيده شىء يفعله لها.

رباب جاءت مرة أو مرتين لتنظر بعيون زائغة فى وجوه المتشحين بالسواد وخط لعابها يسيل فى صمت.. وفى كل مرة كانت سميحة تنهض عن مقعدها لتعود بها فى حنان إلى غرفتها.

ورغم أن سميحة كانت تأخذ رباب بحب كبير وكبرياء أكبر إلا أن الألم كان يدق صدرها كلما ظهرت رباب وكلما رأت دهشة الكثيرين ممن لا يعرفونها..



رغم حزن سميحة الكبير إلا أن خنجراً حاداً كان يدق صدرها كلما سمعت إحداهن تسأل من تكون رباب؟!

وفى السابعة وفى وجود الكثيرين ممن جاءوا.. اقبل طاهر رسلان يرتدى بذلة سوداء من «جاى لاروش».. أقبل بجسده الرشيق الطويل.. وشعره الأبيض المتدرج فى جمال كبير.. تقدم نحو سميحة ينظر إليها.. انها قطعة من نوال .. ولم تعرفه سميحة فى البداية.. إلا أن على نظر إليها نظرة سريعة ومد يده إلى رسلان يتلقى العزاء قائلاً:

اتفضل يا طاهر..

واتسعت عينا سميحة لحظة فى جنون إلا ان شيئا ما فى عينى طاهر دعاها الى شىء من الهدوء.. كان فى عينيه شىء كالخوف.. شىء يرجوها ألا تصده وقال وهو يمد يده إليها مصافحاً كأنه يساعدها أن تتذكره:

طاهر رسلان.. البقية فى حياتك..

ورغم شىء كالدوار فى رأسها.. رغم شىء كالطعنة فى حنجرتها.. إلا أنها مدت يدها فى هدوء لتقول:

حياتك الباقية.. اتفضل.

وقبل أن تجلس تسلل إلى أنفها ذاك العطر الذى لا تنساه وأدارت رأسها فى ذعر لتجد على سليمان يصافح نوال وهو يقول:

اتفضلى يا نوال.

كانت نوال بكامل زينتها.. بماكياج خفيف يظهر جمالها كان شعرها القصير رائعاً.. وعنقها الأبيض الطويل ينتصب فى كبرياء.. كانت ترتدى تايير أسود بالغ الأناقة.. ووقفت وجهاً لوجه أمام سميحة..

دارت الأرض بسميحة ودارت ايضاً بها السماء.. لكنها تذكرت كل

من يجلسون حولها يرقبون.. تذكرت علاء الذى يقف إلى جوارها ولكنها ايضاً ما هدأت أبداً واخفضت عينيها تنظر إلى كف نوال الصغير الذى رفعته لتمده إلى سميحة.

وفى تلك اللحظة تذكرت دياب وحبه الكبير لها.. تذكرت كم تمنى لو يراها وسقطت دموعها ومدت كفها إلى كف نوال قائلة:

أهلاً وسهلا.. اتفضلى..

لم تستطع أبداً أن تسمع منها كلمة عزاء.. لم تستطع أبداً أن تشكرها على عزاء.

نوال استقبلتها يوماً فى بيتها ونوال جاءت اليوم ترد تلك الزيارة وسميحة ايضاً ستستقبلها.. لا أكثر ولا أقل..

وجلس طاهر وبجواره نوال أمام سميحة.. ولم تحاول سميحة لحظة ان تنظر اليهما.. لم تحاول لحظة ان تولد فرصة لحوار أو حتى كلمة.

وأقبلت أم سعيد تحمل صينية القهوة فى يدها وانتفض جسدها النحيل عندما قالت لها نوال:

ازيك يا أم سعيد وإزى ولادك..

ورفعت أم سعيد عينيها فى دهشة بعيدة واستدارت تنظر إلى سميحة لتجدها تعبث بأصابعها الملقاة على فخذيها ولا ترفع عينيها أبداً فقالت فى هدوء لا حب فيه:

تسلمى ياست نوال.

طاهر ونوال اثارا ضجيجاً صاخباً لا صوت له.. اثارا ألماً لا حدود له فى قلب سميحة وفى قلب على سليمان.. لقد كان صديقا لطاهر ودياب.. لم يكن أحدهم يفترق عن الآخر.. كانوا أصدقاء حتى انسحب رسلان فى هدوء من بينهم فى أكثر الاوقات التى كان دياب بحاجة لهم



فيها.. انسحب رسلان بعد رحيل نوال من بيت دياب واحتار فى امره الاثنان حتى تزوج نوال ليضع لحيرتهما تلك النهاية السوداء.. حاول على كثيراً أن يثنيه عن الزواج من نوال عندما أخبر دياب قبلها ولكن عندما فشل اقترب على من دياب ليصبح طاهر وحده بعيداً عنهم.

تألم على كثيراً وهو يراه هنا بعد كل هذه الأعوام..

ومد على يده دون وعى إلى كف سميحة يربت عليها فى حنان ثم ضغط عليها قائلاً:

الأحزان بتوحد يا سميحة..

ونظر طاهر حوله.. كل شىء فى البيت كما كان.. هنا كانوا يجتمعون.. هنا كانت تركض سميحة وخلفها تركض رباب لتسقط كثيراً.. على ذاك المقعد كان يرقب نوال وهى تقاوم دموعها بعد مولد رباب.. وأدار عينيه إلى غرفة الطعام.. كانت فى بداية زواجها هى ودياب تعد لهما العشاء دوماً.. كان اكثر حضوراً لتناول الطعام معهما من سليمان الذى كان له زوجة وصغار فى ذاك الوقت.

وفى اللحظة التى استطاعت فيها سميحة أن ترفع رأسها لتنظر إلى طاهر.. «انكل طاهر» كما كانت تدعوه رأت دمعاً يسقط من عينيه وعندما حاولت الهرب منه ارتطمت عيناها بنوال التى اشعلت سيجارة وضعتها بين شفتيها فى عصبية واضحة.. لم تلتقط معها عينا سميحة اللتين ارختهما بسرعة وهى تسأل لماذا جاءت.. لماذا حضرت.. ليس أبداً توقيتاً مناسباً لرد الزيارة.. ولكن يبدو أن قدر سميحة كان يدخر لها فى هذا اليوم زيارات أخرى لا تريدها ولا يقوى عليها رأسها المتعب ولا فؤادها الجريح.. ففى تلك اللحظة سمعت صوتاً يعيدها من أفكارها.. صوتاً تحبه كثيراً.. صوتاً اعتاد أن يدغدغ مشاعرها



وأحلامها.. صوتاً هربت منه كهروبها من نوال يوم رأت فى بيتها بالجيزة أطياف حب ودمع ترقص فى عينيها.. سمعت صوته يقول فى هدوء:

البقية فى حياتك يا سميحة...

وانتفض جسد سميحة لتقف عن مقعدها وهى تشعر أنها تكاد تقع ومدت يدها تصافحه لتلتقى عيناهما فى حديث طويل رغم أنه لم يدم إلا لحظة صغيرة.. والتقطت نوال عيني سميحة وهى تنظر إلى الواقف أمامها وبحس الأنثى علمت أن عيني سميحة قالت ما تقوله امراة رأت رجلاً تحمل له فى قلبها أشياء لا تدركها إلا النساء..

ووقف علاء إلى جوار سميحة يمد يده إلى الزائر لتسمعه نوال يقول:

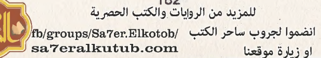
أحمد زهدى .. البقية فى حياتك.

وقال علاء فى هدوء:

حياتك الباقية .. اتفضل..

ونظر أحمد حوله يبحث عن مقعد يجلس عليه وأشار اليه طاهر بيده ليجلس إلى جواره وكأن الثلاثة اتفقوا على الحضور فى ذات الوقت ليجلسوا جنباً إلى جنب أمام سميحة لترى كل من لم تكن تتمنى أن تراه..

كانت قوى سميحة تخور.. لكن رغم الحزن والوجيعة لم تستطع أن تقاوم قلبها فرفعت عينيها تنظر إلى أحمد وسقطت دموعها.. اشتاقت إليه.. ومد علاء كفه إلى كفها يضغط عليه لترخى سميحة عينيها من جديد.. رآه أحمد يمسك بكفها إذن.. رآه أحمد يحتضن ذاك الكف الذى طالما تمنى تقبيله ولكن ليته يعلم أنها هى أيضاً تاقت كثيراً إليه..



ودون وعى نظرت سميحة إلى كف أحمد زهدى لتجد فى أحد أصابع يده اليمنى «دبلة» وعادت ترفع عينيها إلى وجهه فى دهشة.. خطب أحمد زهدى إذن؟ ولكن لم الدهشة ان كانت «دبلة» أحمد فى يده اليمنى.. فدبلة سميحة فى يدها اليسرى الرابضة تحت كف علاء لطفى زوجها الجالس إلى جوارها؟.

وكأن ألم وجود طاهر ونوال وأحمد زهدى امام سميحة أيقظ ألمها الكبير وجرحها الغائر لتقف سميحة دون وعى وتمضى إلى داخل ردهة البيت.. لا تريد أبداً أن تظهر رباب.. لا تريد أن تراها نوال ولا تريد أبداً أن يراها أحمد زهدى وبعد أن طلبت من أم سعيد ملازمتها حتى إشعار آخر.. عادت سميحة بخطى ثقيلة إلى حيث كانت.. عادت لتجد علاء يجلس إلى جوار رسلان يتبادلان حديثاً هامساً توقف بدخولها الغرفة من جديد..

وقبل أن تعود سميحة إلى مقعدها وقفت نوال فجأة كأنها قررت إنهاء الزيارة وعادا يقفان من جديد احداهما أمام الأخرى وتلاقت عيناهما.. ورأت سميحة فى عينى نوال مزيجاً من رجاء وخوف.. خليطاً من حروف وكلمات لم تستطع ترجمتها.. رأت سميحة أطياف ألم عميق.. رأت فيهما أشياء صغيرة تحاول أن تعلن عن نفسها ورأت أشياء كبيرة تحاول أن تخبئ وجهها.. لكن أمام كل الاشياء الصغيرة والكبيرة كان هناك حاجز كبير اسمه الموت والهجر.. الغضب والذكريات..

ومرت نوال فى هدوء ليقف طاهر أمام سميحة قائلاً:

مش عارف ممكن ولا مش ممكن لكن لازم أقول انك زى بنتى.. ابنى يبقى أخوكى.. احنا ممكن نحاول يا سميحة.. ممكن؟

كانت دموع سميحة أقوى من كبريائها.. هزمتها لتهطل فى جنون وقالت وهى تنظر إليه فى حيرة كبيرة:

مين عارف؟.

وعندما مد على يده لمصافحة طاهر.. ضمّه طاهر فى حب قائلاً:

أرجوك يا على خلينا نتقابل..

ومضى علاء راكضاً خلف رسلان وهو يقول:

سلملى على ماجد أرجوك؟

ورغم الدموع.. رغم نزف الألم وشلال الذكريات التى أطلقها حضور نوال وطاهر وأحمد زهدى فى عروق سميحة.. إلا أنها رفعت رأسها فى دهشة كبيرة تسأل نفسها.. كيف يعرف علاء «ماجد طاهر رسلان»؟.

■ ■ ■



عادت عزيزة بأكواب الشاى لتضعها أمام الحاج محروس فى هدوء وجذبها من كفها لتجلس إلى جواره.. لكنها نهضت لتغيب دقائق عادت بعدها وهى تحمل علبة قطيفة حمراء كبيرة وضعتها أمامه وجلست ترتشف بعضا من قطرات الشاى.. لم يسألها الحاج محروس عن سر إحضار العلبة ولم تقل هى شيئاً وعندما طال الصمت وبعد أن أنهى كوب الشاى قال لها:

وحدّووه.. فيه إيه تانى؟.

ورفعت عزيزة عينيها لتقول فى صوت متقطع:

دى علبة الغوايش اللى انت اشترتها.. رجعّها.. أنا مش عايزاها.

ورفع الحاج محروس حاجبه فى دهشة وقبل أن يسألها قالت:

أنا لو بعتها ممكن يتضحك عليا.. أنا عايزة فلوس يا حاج بعها وهاتلى تمنها..

ومال عليها محروس بجسده ليضع ذراعه حول كتفيها قائلاً:

دول تمنهم أكثر من سبعة آلاف جنيه.. عايزة تعملى عملية إجهاض بسبعة آلاف جنيه.. ليه حتسقّطى جمل؟.

واغمضت عزيزة عينيها وقالت فى ملل:

الدكتور طالب ألفين جنيه.. وصاحبتى عايزة فلوس عشان تروح معايا وأمى عايزة تروح اسكندرية اللى أنا قولتلها انى حاروحها يومين على ما أعمل العملية.. أنا اتخنقت بقى حرام عليكم.. وبعدين مش انت جبت الغوايش دول بسماحة قلب.. بعهم وادينى فلوسهم.. يبقى كأنك مادفعتش حاجة.

واجهشت فى بكاء حاد.. لقد تعبت.. تعبت حقاً.. قصص وأسباب تأخذ بها منه نقوداً.. وفى كل مرة تشعر بأنها تكرهه أكثر وتكره جميلة



وتكره نفسها وكل ما حولها..

ثلاثة شهور منذ زواجها به.. ثلاث شهور منحت جميلة فيهم اكثر من أربعة آلاف جنيه ووضعت فى حسابها بدفتر البريد ألفى جنيه.. إلا أنها تشعر أن كل مليم تأخذه منه هو قطعة من نار يكتوى بها ضميرها وقلبها.. كلما منحها جن جنونه أكثر وأصبح أكثر تفنناً فى سحق كبريائها وجسدها.. لم تعد تستطع أن تحتمل ولم تعد أيضاً تستطيع التراجع.. اليوم ستأخذ منه خمسة آلاف ثمناً لقصة الاجهاض.. ستأخذها لها وحدها.. ستأخذ كل ما تستطيع لتجو منه فى زمن أقل لن تستطيع الصمود عاماً آخر أبداً ولكن هى تشعر أن نقوده ملعونة مسمومة كجسدها الذى سمّمه.. جسدها الذى أصبحت لا تطيق أن تمر عليه بأصابعها..

كان بكاؤها حاداً صادقاً وكان الحاج محروس يرقبها فى صمت ثم قال فى هدوء:

صلى على النبى يا بنت الناس.. الدهب دا بتاعك وأنا حاروح دلوقتى وأرجعلك بالليل ومعايا الفلوس.. حاضر يا عزيزة.. حاضر..

ورفعت عينيها تنظر إليه.. هل تكرهه.. من أولى بالكراهية.. محروس أم جميلة أم عزيزة نفسها.. لا تعلم الثلاثة يتربعون على عرش الوضاعة.. إن كانت جميلة أكثرهم وضاعة لأنها أم باعت جسد ابنتها بحفنة أوراق.. فمحروس لا يقل عنها وضاعة لأنه سعى إلى الصفقة.. بل ان عزيزة تشعر أحياناً أنه يصر على التهام جسدها حتى لو لم يكن له رغبة كبيرة فيها كأنه يرفض أن يمر يوم دون أن يلتهم جزءاً من بضاعة دفع ثمنها.. كأنه يرفض أن يترك منها شيئاً كأنه حقاً يتمنى لو يتركها أشلاء وبقايا لا تصلح لشىء ما على الأرض انه حقير

وضيع ولكن ماذا تكون هى إذن؟ أما زالت تختلق له القصص لتسحب منه ثمن كل لحظة تقضيها بين ذراعيه.. أما أصبحت تتلوى بين ذراعيه لتشعره أنها حقاً تشعر به وتستمتع بجسده.. أما أصبحت تغمض عينيها كلما أخذها واهمةً نفسها انها بين ذراعى سعيد لتطبق بذراعيها عليه وترجوه ألا يتركها.. انها تترك له جسدها لتصبح بين ذراعى جسد رجل آخر.. كم مرة أدركت نفسها قبل أن تنطق اسم سعيد.. كم مرة فتحت عينيها لترى محروس فصرخت فى ذعر بعد أن كانت تشعر أنها حقاً بين ذراعى سعيد..

محروس حقير وجميلة وضيعة.. لكن تبقى هى أكثر مخلوقات الله ضاعة وحقارة.. والآن وبعد أن يذهب الحاج محروس إلى شبرا ليحضر لها النقود ستحادث هى سعيد وتبكى على سماعة الهاتف فى شوق وحب وكأنها أطهر عذراوات الأرض..

وأطلقت آهة فى حرقة كبيرة التاع لها قلب الحاج محروس فى صدق ليقول:

ارحمى نفسك يا عزيزة..

وعادت تجهش فى البكاء.. يظنها تبكى خوفاً أو خجلاً من طلب النقود وهى تبكى كرهاً وخجلاً مما وصلت اليه بسبب الملعونة التى اسموها نقود..

ووقف الحاج محروس فى تعجل.. إنه حقاً لا يطيق رؤيتها على هذه الحال ومضى نحو باب البيت لتلحقه عزيزة قائلة:

والنبى ما تتأخر.. أنا حاتجنن لوحدى.

ومد ذراعه ليربت على كتفها قائلاً:

بصى.. اعملى لقمة حلوة نتعشى بيها وأنا حاجيب معايا حاجة



تفرفشك وتنسيك الدنيا واللى فيها..

واغلقت خلفه الباب بالمفتاح تاركة المفتاح فى ثقب الباب.. يجب ان تكون متأكدة أنه لن يدخل دون أن تشعر به.. لقد اعتادت فى كل مرة تحضر فيها إلى هنا.. اعتادت فى كل مرة يسبقها الحاج محروس أو تحضر هى قبله وحدها أن تترك المفتاح فى ثقب الباب تماماً كما أعتادت ركوب الميكروباص فى الشهر الأخير.. ككل مرة تعلم عزيزة أنه فى الرابعة مساءٍ إن كانت وحدها هنا فهذا هو أنسب وقت يمكنها محادثة سعيد أنها الفترة التى تنام فيها عائلة الأستاذ عبدالعزيز ويصير سعيد وحده فى غرفته لينتظر مكالمتها..

ستحادثه.. ستخبره عن شوقها.. عن حبها.. عن وفائها.. مع سعيد.. مع صوت سعيد يتجدد أملها فى الحياة مع صوت سعيد تشعر انها تغتسل من ماء دافئ طاهر..

هل من الممكن حقا أن تعود كما كانت.. هل بإمكان هذه الحوائط التى اشترتها عزيزة بعذريتها وضعفها أن تراها يوماً كأول يوم كانت عليه.. ورمت عينيها إلى طاولة الطعام لترى نفسها يوم دخلت معه هنا أول يوم.. فى هذا المكان كانت تقف حائرة خائفة ترتعش.. إنها اليوم سيدة المكان لم تعد حائرة.. لم تعد خائفة ولا عادت ترتعش..

لو أخذت من محروس ألف ألف جنيه هل يمكن بها أن تعود كما كانت فى ذاك اليوم.. حتى لو أخذتها جميلة إلى الدكتور انطوان وعادت عذراء ثرية.. هل حقاً ستعود كما كانت؟ ربما كان باستطاعة انطوان أن يعيد إليها عذرية الجسد ولكن أضاعت جميلة ومحروس عذرية روحها وقلبها..

ودقت عزيزة فخذيها العاريتين بكفيها.. انها تختنق.. بقى على

الرابعة ساعة ونصف.. سعيد وحده هو الأمل الباقى.. سعيد وحده من بإمكانه أن يعيد إليها عذرية روحها ونقاء قلبها..

يوماً سيعود سعيد.. يوماً ستعود عزيزة ويوما ستحكى له ويغفر لها.. يوماً سيغفر الله لها ولكل الفقراء ذنوبهم!!

فى الرابعة انتهت عزيزة من إعداد الطعام الذى يحبه الحاج محروس وبعد ان أشعلت عليه ناراً صغيرة هادئة سارعت تأخذ حمامها وخرجت تركض إلى غرفتها وفتحت دولابها لتخرج قميص الدانتيل الأحمر.. لم ترتده مرة مع محروس ولن تفعل.. ووضعت جسدها الملفوف بداخله وأطلقت شعرها المجعد الجميل على كتفيها ووضعت زخات كثيرة من أحلى عطر لديها وقفزت إلى سريرها لتحتضن هاتفها الصغير وطلبت رقم سعيد الذى أجاب فى لهفة قائلاً:

اتأخرتى يا عزيزة والله كنت حاطلبك..

ومالت برأسها على الوسادة وقالت هامسة:

معلهش يا حبيبى.. كان عندى شغل..

وعاد سعيد يقول:

عزيزة.. احلفى ان المستشفى هى اللى بتحاسب على التليفون..

وعادت عزيزة تقول:

يا سعيد كم مرة قلتلك.. أنا بقيت مديرة مكتب رئيس قسم الجراحة.. والله يا سعيد هو اللى بيدفعلى فاتورة المحمول وبعدين.أنا ما بكلمش حد غيرك.. دول دقيقتين كل كام يوم يا سعيد.

وقاطعها سعيد وهو يصيح:

اسمعى الأستاذ عبد العزيز يمكن ينزل مصر فى شهر ستة.. عارفة أنا قلتله ينزل بالعربية عشان أكون معاهم بدال ما يأجروا عربية..



حاشبكك يا عزيزة ولو أبوكى وافق نكتب الكتاب.. ادعى معايا يا عزيزة انه يوافق ينزلنى الشهر ده معاه..

وسكتت عزيزة.. سعيد يتحدث عن الشهر القادم.. هل يمكنها حقا التحرر من الحاج محروس فى شهر واحد.. هل يمكن حقاً وقالت فى صوت خفيض:

بلاش مصاريف يا سعيد.. خلينا نعمل كل حاجة لما ترجع نهائى.

وصاح سعيد فى دهشة:

أنا افتكرتك حتفرحى.

وسرت رعشة باردة فى أطراف عزيزة.. هى أيضاً كانت تظن أنها ستفرح ان علمت أنه سيعود.. يعود ليضع فى يدها خاتماً يحمل اسمه.. يعود ليطلق من عنقها أغلال محروس وجميلة.. ولكن..

وعاد صوت سعيد يسأل فى جنون:

عزيزة.. مالك فيه ايه؟.

وحاولت عزيزة أن تسترد سيطرتها على أفكارها فقالت فى دلال:

فيه انى خايفة ترجع ما أقدرش اسيبك تسافر تانى.. فيه انى خايفة أمى تطلع بألف طلب وحكاية.. أنا ماصدقت يا سعيد انها سكتت ونسيت موضوع الجواز دلوقتى.. فيه انك واحشنى واحشنى قوى.. نفسى تاخدنى فى حضنك.. لو شفتك يا سعيد مش حاقدر صدقنى.

وتنهد سعيد كأنه يحاول أن يفهم أو كأنه حقاً فهم..

منذ شهور وسعيد يشعر أن عزيزة تكتوى بشوقها وحاجتها إليه.. ربما منذ التحقت بالعمل فى المستشفى.. ربما لأنها ترى كل من هم فى سنها زوجات أو ربما مخطوبات وهى تقف وحدها بعيداً عنه تحتضن صباها وأشواقها.. ولكن أليس هذا أدعى لأن تسعد بعودته إليها ولو



أيام.. ولكن أيضاً عزيزة وحدها أدرى بما يحدث حولها.. قد لا يفهم وقد لا يعلم ولكنه يثق فى حب عزيزة ووفائها له وعاد يقول بصوت هادئ:

باحلم يا عزيزة باحلم بس هانت.. الأيام بتجرى.. وحاخدك فى حضنى انتى وأمى.. والله لما تخلص المدة لو عرض عليا المرة دى مليون جنيه مش حاقبل.. خلاص يا عزيزة.. كفاية غربة وشقا..

وأغمضت عزيزة عينيها وبعثت له بقبلة صغيرة وقبل أن تغلق الخط قال لها كأنه يطمئنها:

أنا برضه حاحاول.. آجى معاه شهر الأجازة.. اشوفك يا عزيزة.. ولو أنتى شايفة بلاش خطوبة بلاش بس اشوفك.. أخدك فى حضنى.. ندور على شقة.. نعمل أى حاجة انتى تقولى عليها..

وأرسلت قبلات صغيرة حانية أغلقت بعدها الخط لتحدق فى سقف الغرفة وهى تسأل ماذا لو حضر؟. هل تترك محروس وإن تركته.. ماذا تفعل بعد أن يعود سعيد مع الاستاذ عبدالعزيز فى نهاية الشهر.. هل تبحث عن عمل جديد.. هل تبقى فى البيت مع جميلة تحتضن «الدبلة» التى سيضعها سعيد فى أصابعها؟ وهل تتركها جميلة وهل يتركها الحاج محروس بعد ثلاثة شهور فقط وبعد أن اشترى لها شقة وأيضاً بعد كل هذه المبالغ التى يعطيها إياها.. وهزت رأسها فى عنف.. أبداً لن يفعل وأبداً لن تحاول هى.. ليست مجنونة.. ليس الآن أبداً.. ان حضر سعيد فليحضر.. ستلقاه فى بيت أم سعيد.. ولكن ألن يكون هذا حراماً أكبر.. ألا تقنع نفسها أنها زوجة للحاج محروس.. كيف تلقى سعيد إذن.. وهل بإمكانها أن تلقى سعيد ولا ترتمى بين ذراعيه.. انها تنتظر تلك اللحظة التى يأخذها فيها بين يديه كما كان يفعل.. بل هى



الآن تريده أن يكون لها كما لم يكن من قبل.. تريده.. تريد أن يأخذها كما يأخذها الحاج محروس.. تريد ان يرى قميص الدانتيل الأحمر.. تريد ان تخترق جسده رائحة عطرها لن تقوى على مقاومته.. بل لن تقوى على مقاومة جسدها.. جسدها ما عاد ذاك الجسد الذى يكتفى بقبلة وكف تمر سريعا..

ودفنت عزيزة وجهها فى وسادتها.. لماذا يا سعيد.. لماذا الآن؟.

وعادت تطمئن نفسها.. ان حضر لن يكون وحده الأستاذ عبدالعزيز لن يتركه كثيراً.. وفى الأوقات القليلة التى سيلتقيان فيها ستعرف كيف تقاوم.. ستعرف من أجل سعيد ومن أجل نفسها ستعرف كيف يأتى ويعود دون خسائر.. جميلة ستساعدها.. خوفها من ارتكاب الخطأ سيساعدها.. خوفها ان يعرف تحولها إلى امرأة سيساعدها.. لا يجب ان تخاف.. كل شىء سينتهى كما تريد.. الله نفسه سيساعدها لأنه يعلم أنها ما أرادت شيئاً سوى ان تكون لسعيد وستكون.. فى الوقت المناسب ستكون!!

لم تنس عزيزة أن تغلق هاتفها قبل السابعة.. لم تنس أيضا أن تحادث جميلة قبلها لتخبرها ان زوجها فى الطريق.. لم تنس ابداً أن ترتدى قميصا آخر من الدانتيل الوردى.. لم يعد يرضيها قمصان الستان الرخيصة التى اشترتها.. الحاج محروس يحضر لها قمصان البيبى دول الدانتيل والحرير.. وخلعت المفتاح من ثقب الباب وأعدت المائدة لتجلس بعدها تشاهد التليفزيون فى انتظار الحاج محروس ليعود بالآلاف التى طلبتها.. ستضعها فى حسابها هذه المرة لن تأخذ جميلة شيئاً.. بل إن عزيزة أخبرتها أن الحاج محروس أصدر إليها إنذارا واضحاً بأنه لن يقبل ابداً ان تقول له عزيزة فى يوم أنها حامل

ولو عن طريق الخطأ.. قالت لها عزيزة انه أخبرها بأنه لن يدفع لها مليماً واحداً لأنه لا يريد ان يدفع مالاً نظير قتل جنين.. لقد أغلقت عزيزة فى وجه جميلة باب هذه القصة لتصبح من حقها وحدها.. عزيزة وحدها فقط من تعلم أن الحاج محروس يدفع آلاف الجنيهات نظير القتل.. انه رجل يعشق سفك الدماء.. لقد دفع لها آلافاً ليقتل ويسفك دمها وها هو الآن فى طريقه إليها ببضعة آلاف أخرى يقدمها.. لقتل الجنين الذى يظنه فى احشائها..

تنهدت عزيزة.. المسكين لا يعلم انها هى من كانت ستقتل نفسها لو حمل جسدها بين كيانه طفلا منه.. لو علم.. ولكن لا أحد يعلم.. جميلة، محروس وعزيزة وحتى سعيد.. كل منهم يكتفى بما يعلمه.. كل منهما يظن انه يعلم اكثر من الآخر.. والحقيقة تبقى أن كلاً منهم يجهل أكثر من الآخر..

قامت عزيزة فى تثاقل الى المطبخ لتغلق موقد البوتجاز.. لماذا تأخر.. لا تريد أبداً أن تعيد تسخين الطعام.. تريد أن يأتى وتأخذ منه النقود وتدفع له الثمن اليومى وتنام.. ولكن لماذا تشعر أنها لن تستطيع النوم هذه الليلة.. مازالت كلمات سعيد تطاردها.. مازالت تخاف أن يحضر لا يجب أبداً أن يعود سعيد فى الشهر القادم.. وشعرت به من خلفها يضع كفيه حول صدرها وانتفضت عائدة من افكارها لتقول فيما استطاعته من دلال:

يا خبر.. رجعت امتى يا حجوجتى؟

وجذبها من ذراعها العارى قائلا:

تعالى.. تعالى يا عزيزة.. احنا حنعمل حفلة الليلادى.. هاتى كبايتين وصينية وتعالى على أوضة النوم..

لن يأكل الآن إذن.. قرر أن يأكلها هى أولا ونكست عزيزة رأسها وحملت الصينية الى غرفة النوم لتجده يخرج قوارير كثيرة من البيرة وقالت فى ملل:

انا مابشربش يا حاج..

ودون اكتراث وكأنه لم يسمع صب لها كأساً كبيرة من البيرة قائلاً:

وأنا كمان ما بشربش لوحدى..

وعلمت عزيزة أنه لا فائدة.. ومدت يدها تشرب البيرة وأشعل لها سيجارة قائلاً:

خدى دى كمان وانتى مزاجك يتعدل..

كانت تعلم أنه يمنحها حشيشاً لتدخنه ولم تعترض طويلاً.. عزيزة تعلم أن من يقبل الاشتراك فى لعبة جديدة يجب أن يرضخ لقوانينها.. وهى قبلت اللعبة فعلام تعترض الآن.. ربما كانت كؤوس البيرة وسجائر الحشيش أو البانجو هى أجمل وأنقى ما فيها.. ومالت رأسها وترنح جسدها ورغم شعورها بثقلها إلا أنها كانت تشعر بأنها تخطو على سحابة وضحكت وهى تنظر إلى قدميها.. إنها ترى الأرض ولكن تشعر أنها على سحابة.. انها تشعر أن رأسها ثقيل ولكنها رغم هذا تضحك لهذا إذن يدخن سيد لهذا يدخن الفقراء الحشيش والبانجو ويشربون كؤوس البيرة.. لأن الفقراء هم أكثر الناس حاجة إلى الضحك وان كانت ضحكات زائفة بلهاء.. خلق الله الفقر ليعذب الفقراء وخلقت الخمر والحشيش لتعين الفقراء على الصبر عليه.. وعادت تنظر إلى وجه الحاج محروس.. وعادت تضحك بصوت أعلى.. حتى الحاج محروس تنظر إليه ولا تراه وأطلقت ضحكات عالية سعيدة أجمل ما فى القصة أنها تعلم أنه امامها ولكن لا تراه ومدت يدها



لتصيح:
ادينى تانى..
وصفق الحاج محروس بكفيه الغليظتين مهللاً وقال:
ارقصى يا عزيزة..
ووقفت عزيزة ترقص.. انها سعيدة وشعرت به يقترب منها وفى هدوء جذب تلك الحمالات الرفيعة التى تقف على كتفيها ليسقط قميصها تحت قدميها وخلع عنها تلك القطعة الصغيرة الباقية على جسدها وعاد يقول:
ارقصى يا عزيزة..
ووضعت عزيزة السيجارة بين شفتيها ووقفت ترقص عارية وكلما نظرت إليه تشعر أنها تراه ولا تراه.. ترى هاتفه الصغير فى كفه وتضحك اكثر.. المجنون.. يخلع عنها ملابسها ويتركها ترقص عارية ليعبث هو بهاتفه.. ورقصت أكثر وتمايلت أكثر كأنها دخلت فى تحد أحمق مع هاتفه..
من ينتصر جسدها أم الهاتف.. وطال رقصها.. وكلماته المحمومة تستنفرها للرقص..
وتعبت هزمها رأسها الثقيل.. هزمها هاتفه الصغير سقطت عزيزة على فراشها ليلقى الحاج محروس بهاتفه ويذهب ليسقط فوق جسدها وسمعت صوته من بعيد يقول:
خلاص يا عزيزة.. من الليلة دى بقيتى ملكى بجد!!

■■■

دخلت سميحة فى هدوئها وثقتها المعتادة تخطو إلى أحد استديوهات قناة «دريم».. اليوم هو الحدث الأكبر فى حياتها.. وابتسمت ابتسامة صغيرة ككل ابتساماتها منذ اعوام.. إن حياتها هادئة ولكن دوماً يتخللها أحداث كبيرة تزلزل أيامها وتخلق من ابتساماتها ابتسامات أخرى جديدة.. ابتسامات أصغر من سابقاتها.. زيارة عمرو جابر حدث كان كبيراً.. رحيل دياب حدث كان أكبر.. رباب حدث كبير.. حبها الصامت لأحمد زهدى حدث آخر كبير.. علاء لطفى ليس حدثاً كبيراً.. علاء لطفى رجل يتزوج امرأة.. حدث يحدث كل يوم ألف مرة.. الأحداث الكبيرة هى تلك الأحداث التى لا تحدث إلا مع اشخاص قلائل وعلى فترات متباعدة لتبقى قلوب أبطالها تكتوى وتتلون بحيثياتها ما طال العمر أو قصر.. اليوم حدث كبير.. اليوم تدخل إلى قناة دريم لتصور أول حلقة من برنامجها الذى أسمته «حوارات ممنوعة».. انها سعيدة به.. سعيدة لأن على سليمان أقنعها بالعمل فى قناة دريم.. سعيدة لأن على سليمان بعلاقاته الكبيرة حقق لها حدث العمر.. سميحة دياب فى قناة دريم التى يشاهدها الملايين فى برنامج «حوارات ممنوعة»، وفى حلقتها الأولى تستضيف وزير الداخلية.. تعلم أن اقناعه لم يكن سهلاً، ولكن على سليمان وحده حقق لها طلبها.. انه حدث كبير.. كان لابد من حدث كبير ليخرجها من حدث رحيل دياب.. هى تعلم أنه لا حدث على وجه الدنيا بامكانه أن ينسيها قسوة فراق دياب بعد أربعة قرون لا شهران كالتى مضت.. لا حدث فى الأرض بإمكانه أن يخفف من شوقها إليه ولوعة قلبها كلما دخلت غرفته أو غرفة رباب أو حتى كلما وضعت رأسها على كتف علاء أو بين ذراعى وسادتها.. لا حدث ولكن هذا حدث جاء يشغلها.. منذ

شهرين وهى تلهث فى جمع الصور والملفات وإعداد الأسئلة والقضايا التى تخرج بها إلى الناس فى حوار مع وزير الداخلية المصرى الذى قلما يظهر فى برنامج.. ولكن هل هذا هو الحدث الوحيد.. ابداً.. أحمد زهدى معها.. طلبت أن يعمل معها.. لم يعترض أحد.. ومن يعترض وهى جاءت دريم مع أحمد بهجت نفسه.. الوحيد الذى كانت تخشى رفضه هو أحمد زهدى.. لكنها قالت له جملة واحدة لم تقل سواها.. قالت يومها:

أحمد.. أنا باموت بعد بابا.. الحاجة الوحيدة اللى ممكن تخلينى أعيش انى اشتغل وأنا ما أعرفش اشتغل من غيرك.. ممكن تساعدنى أعيش؟!

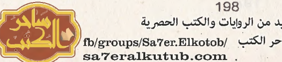
لا تنسى ولن تنسى يوماً كيف ترقرقت عيناه بدمع ابتلعه فى كبرياء ثم قال بعد صمت:

حتى لو شغلى معاكى حيقتلنى.. مادام حياتك فى موتى صدقينى أموت.

سميحة وحدها تعلم أن عملهما معاً هو العكاز الوحيد لهما معاً فى الحياة.. ربما عذابها هى أكبر لأنها تعلم أنها تحبه وهو لا يعلم ولكن أحمد زهدى يستحق عذابها وهى أيضاً بحبها الكبير الصامت تستحق عذاب زهدى..

العذاب هو الطريق إلى النجاح.. العذاب دوماً يسبق النجاح.. هى اليوم هنا لتنجح ولينجح معها أحمد زهدى.. من أجل دياب من أجل رباب ومن أجل زهدى سينجحان معاً.

ورأته يركض نحوها من بعيد ووقفت أمامه تبتسم ابتسامة صغيرة وقال فى حنان:



يللا يا سميحة.. سيادة الوزير زمانه على وصول.. ووقفت سميحة تنظر حولها فى ثقة رغم اضطراب قلبها.. رغم خوفها الذى تشعر به فى عروقها.. إلا أنها يجب أن تبقى سميحة التى تشع حباً ورقة وطمأنينة.. أكثر من شهر وهى تحضر هنا كل يوم.. انها تعلم متى وأين تنظر ومن أين ستأتيها الكاميرا.. لم الخوف.. لقد عرفت كل شىء حتى حوارها الممنوع مع سيادة الوزير هى جاهزة له تماماً وصاح كريم عبدالصبور مخرج البرنامج.. ووقفت سميحة لتخطو فى استقبال سيادة الوزير..

ووقف يصافحها فى هدوء.. انها جميلة.. لقد اطلقت سراح شعرها البندقى الغزير كأنه يربت على ظهرها.. ماكياچها رائع.. عيناها العسلية المتسعة تشع حناناً وثقة.. حتى تاييرها الأسود الأنيق يبدو كأنه ألوان جميلة تداعب جسدها الجميل فى رقة.. ساقها البيضاء الملفوفة فى جورب شفاف تعلن أن كل عين تراها يجب أن تهواها من رأسها إلى قدميها.. وابتسم الوزير فى هدوء ليتجاذبا أطراف حديث صغير ومرت الدقائق لتدور الكاميرات وبدأت سميحة حوارها فى هدوء حتى لانت قسماتهم جميعاً ومضت تتجول فى أعماق الوزير تسأله عن الموسيقى التى يحب.. وعن المسئولية التى يحمل.. عن سكان الوطن المعذبين.. عن رجال الشرطة ولماذا يشعر بعضهم أنه أرقى من البشر.. سألته فى صوتها الهادئ الجميل.. لماذا تشعر هى نفسها أن لكل رجال الشرطة نظرة واحدة يشتركون فيها.. لماذا يرتفع حاجبهم ان حادثوك..

سألته سيمحة من أين يأتيهم هذا الشعور.. وكيف يتكون هذا الإحساس؟



وأجابها الوزير بابتسامة اكثر اتساعاً و ذكاء كبير قائلاً فى دهشة حقيقية:

أنا رجل شرطة قبل ما أكون وزير.. هل أنا فعلاً فى عينى النظرة اللى بتوصفيها.. هل أنا رافع حاجبى فى استعلاء دلوقتى؟

وابتسمت سميحة ابتسامة من ابتساماتها القديمة الأكبر مساحة ليضيئ وجهها ويزداد جمالاً ثم قالت فى هدوء:

كمواطنين بنفسر الثقة الكبيرة اللى بنشوفها على ملامح رجال الشرطة انها استعلاء.. يمكن لأننا فقدنا جزء كبير من ثقتنا فى أهميتنا وفى مشاعرهم ناحيتنا.

عاد الوزير يقول مقاطعاً فى ذات الهدوء:

انتِ ليه مصرة تفصلى بين المواطن العادى وبين رجل الشرطة.. رجل الشرطة من العسكرى الصغير لغاية عندى احنا كلنا مواطنين عاديين زيك بنأدى عملنا وبنحاول أنه يكون على أكمل صورة.

وابتسمت سميحة لتقود الحديث إلى جزيرة بعيدة قائلة:

يا ترى هل المواطن من حقه أن يهتك عرض مواطن زيه عشان يخرج منه باعتراف أو حقيقة ما أياً كانت أهميتها؟!

رفع وزير الداخلية حاجبه فى دهشة ليستمع إلى سميحة وهى تستعرض عذاب وتعذيب المواطنين فى أقسام الشرطة والجهات الأمنية.. ودار الحوار ساخناً متزناً.. نفى سيادة الوزير كل ما قالته سميحة وقدمت سميحة عرضاً لتصوير تعذيب بعض المواطنين، وقال الوزير أنها أحداث ملفقة وأن لكل عمل تجاوزاته ولكن تبقى التجاوزات لها عقاب وردع.

كان كلاً منهما مؤمناً بما يقول.. كلاً منهما يؤلمه ما يسمع ويحاول أن



يمحو الغمامة التى اجتاحت القلوب والعقول حول هذه القضية.. لم يكن هدف سميحة أبداً التشهير وما كان هدف الوزير التزوير.. كان هدفهما معاً الحقيقة كما يراها ويعرفها كل من مكانه وإمكانياته..

وعندما بدأ الهدوء يطل برأسه من جديد سألته سميحة عن امكانية استقبال مكالمة اعدت لها.. وبابتسامته الهادئة أعلن موافقته.

وجاء الصوت الزائر ليملأ أرجاء الاستديو بقصته.. حكى كيف عذبه نقيب شرطة شاب.. حكى كيف احضر زوجته «وكاد يهتك عرضها» أمامه.. حكى وبكى وهو يقول:

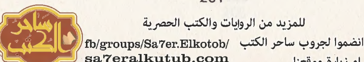
سيادتك.. أنا ماسكتش.. أنا رحت جرايد المعارضة طلبوا منى أعمل كشف طبى على مراتى.. طلبوا منى يصوروها.. ازاى كان ممكن آخد حقى بفضيحة تانية.. طب اللى حصل ده كان بينى وبينها.. لكن عشان آخد حقى ألاقى صورها فى الجرايد.. فضيحة ليا ولعيالى.. والله العظيم أنا من يومها مش قادر أبص فى وشها ولا قادر اطلّقها وكل ده ليه.. ده أنا وطيت أبوس جزمته.

وهنا رفع الوزير كفه قائلاً فى حسم:

كفاية.. مافيش جريمة على الأرض يتحل غموضها بجريمة أكبر.. ومافيش جريمة أكبر من استغلال ضعف إنسان.. فى مكتبى وفى سرية أوعدك بيها حنحقق فى الموضوع ولو ثبت اللى حضرتك تفضلت بيه حينال الضابط عقابه كأى مواطن ويمكن أكثر من أى مواطن.

واستدار الوزير ينظر إلى سميحة ليقول فى ألم واضح:

انتى ممكن زميل أو زميلة ليكى تجيب أفاق فى برنامج زى بتاعك ده يا سميحة وبصورة أو أخرى يحاولوا يظهروه برىء وتحصل قلقلة للحقائق لأن زميلك دا استغل مكانه ودى حالة فردية مش بالضرورة




أبداً تكون سياسة الإعلام بأكمله.. صح ولا لأ؟!

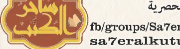
هزت سميحة رأسها بالموافقة وهى تحاول أن تلتقط برأسها ما يجب أن تقوله إلا أنه عاد يقول:

ده وارد فى كل قطاع.. سوء اختيار لناس فى إيدهم التأثير على فكر أو حياة شرايح كبيرة من البشر.. قد يجوز ويكون عندنا فى الداخلية ضباط مرضى بيستغلوا سلطتهم.. لكن يفضل واجبنا دايماً إننا نحاربهم.. وواجبنا الأكبر هو حسن الاختيار.. ودى مهمة الوزارة الحالية.. التدقيق فى اختيار طالب الشرطة.. الطالب اللى يقبل فى كلية الشرطة يجب أن يكون خالى من الأمراض.. من الأمراض الجسدية والنفسية قبل الجسدية.. اعترف إنه فى وقت معين كانت الشرطة تقبل فئات من الطلبة يتفشى فيها الأمراض النفسية اللى ممكن تحيله إلى وحش مش إنسان.. احنا بنقضى على هذه الفئة المريضة واليوم لا يقبل طالب إلا بعد أن نتأكد من انه انسان سوى يعلم حجم المسئولية والأمانة اللى حيحملها من منصبه أيا كان.. انسان من أسرة معتدلة فى كل شيء.. اعتدال مادى وثقافى وأيديولوچى عشان يصبح لدينا شخص لا تضطرب فى ذهنه الصور عندما يجد نفسه محاط بهالة من الضوء والسلطة.. ضابط الشرطة يجب أن يزداد وعياً وتواضعاً كلما ازداد تفوقاً وتقدماً.. ولهذا ايضاً أنا استبعد تماماً أن تكون القصة التى استمعنا إليها بهذه البشاعة..

والتقطت سميحة أطراف الحديث لتسأله فى هدوء:

هل دا يفسر ما يحدث فى الوقت الحالى من صعوبة ويمكن استحالة التحاق طالب من أسرة فقيرة أو متوسطة بالشرطة.. غلاء مصاريفها هل هو خطوة من خطوات تنقيحها؟





وقاطعها الوزير قائلاً:

لا.. خطأ.. عظماء مصر ما كانوش من أسر غنية.. العقاد ونجيب محفوظ وطه حسين وزويل من أسر عادية.. الشرطة تبحث عن الأسوياء وليس الأثرياء.. الفقر ممكن يحطم النفوس اللى بتسكن منازل مافيهاش دراية كاملة بالدين الصحيح.. الأسر اللى ماعندهاش مبادئ ولا قيم.. لكن الفقر يفشل فى أنه يعبث بقلب أو رأس فقير مادام بداخل هذا الرأس مبادئ وقيم.. الآن نحن نبحث عن جيل يعلم معنى كلمة أمانة ومسئولية.. الشعور بالأمانة والمسئولية.. التفكير من خلال قيم ومبادئ سليمة يجعل الضابط لا يضعف أمام السلطة أو ينهزم أمام أهوائه الشخصية.. الحمد لله بيوتنا المصرية مازالت بخير.. بدليل خروج العظماء والنابغين منها كل يوم.. بدليل ثقتى أن المكالمة اللى سمعناها لابد وأن يكون فيها شىء من المبالغة أو الخطأ.. لكن تأكيداً لمبدأ العدل أنا أعد بتحقيق دقيق ليس فقط فى هذه القصة وإنما فى أى شكوى يتقدم بها أى مواطن.. وأتعهد بكشف الحقيقة ولو كان لهذا المواطن حق سيأخذه.. ولو ثبت على الضابط خطأ سينال أكبر عقوبة وسيعلن عنها للرأى العام..

وعادت سميحة تمنحه إحدى ابتساماتها الهادئة لتقول بعدها فى صوت خفيض:

سيادة الوزير.. أنا أثق فى كل كلمة سيادتك ذكرتها.. لكن اسمح لى أن أتخيل ثبوت تجاوز الضابط.. اسمح لى أيضاً أن أتخيل العقوبة التى ستوقع عليه.. سيطرد من جهاز الشرطة ليلتحق بالمحاماة أو العمل فى إحدى شركات الأمن الكبيرة التى تستقطب الآن كل المبعدين من الشرطة.. اسمح لى أن أراه يعمل من جديد ويحيا حياة طبيعية..

اسمح لى أن أراه حتى وهو يقضى عقوبته فى السجن بين زملائه.. يعنى فى بيته.. حتى فى السجن سيكون الضابط أحسن حالاً من كل المسجونين حيكون زعيم يعنى «مسجون خمس نجوم».. اسمح لى اسأل عن حجم الخسارة اللى حيخسرها أمام خسارة رجل امتهنت آدميته وتستحيل حياته داخل بيته.. كيف حتى بعد العقاب ستحيا الضحية برجولة مدبوحة وكرامة مهدرة؟! ضابط يقضى عقوبة بين زملائه ويعود لممارسة مهنة جديدة فى حياة جديدة آمنة.. وضحية تحيا لتموت مع كل شمس تشرق على الأرض.. أين العدل؟! أين الشعور بالأمان والآدمية.. ليه الإنسان البسيط فى بلدنا أصبح أشبه بمجرم كبير تتحد عليه كل الوزارات والجهات ليزيدوا من حجم معاناته وألمه وكأن بساطة حاله وفقره مش كفاية أبداً لنرحمه ونأخذ بيده؟! ليه أصبح الأمن والأمان فى بلدنا زى عربياتنا يسيروا دوماً فى الاتجاه المعاكس؟!

ليه الشعور بالأمن والأمان أصبح رفاهية تتمتع بها طبقات معينة ويحرم منها السواد الأعظم من المواطنين.. ليه مفهوم وطن نفسه اختلف بهذه القسوة.. ليه؟!!

■ ■ ■



أغلقت أم سعيد حقيبتها الصغيرة التى منحتها إياها سميحة لتجمع فيها ملابسها بهدوء ثم رفعت عينيها تنظر إلى وجه سيد الغاضب لتتنهد قائلة:

خد بالك من البيت يا سيد وحاول يابنى تشوفلك شغلانة احنا بقينا فى الصيف أهو..

لكنه قاطعها فى صوته الصاخب قائلاً:

بلاش تخريف.. صيف إيه وشتا إيه؟ هما فى الصيف يعنى بيوزعوا وظايف على الناس.. أنا مش فاهم تروحى تعيشى معاها فى أكتوبر ليه بس؟!

وقالت أم سعيد فى تأفف:

يعنى عايزنى أعمل إيه؟! أقول لها لأ وآجى أقعد جنبك فى شبرا.. مين حيصرف علينا.. دا حتى سعيد اللى قال حينزل شهر ستة مانزلش.. مين يصرف علينا.. ومين يصرف على الهباب اللى أنت بتشربه.. أنا كدا حاروح مع الست سميحة ومش حيبقالى شغلة غير رباب بس.. وحاوفر أكلى وشربى ومواصلاتى.. يعنى ماهيتى كلها حتبقى بخيرها..

وقاطعها سيد قائلاً فى مجون:

طب هاتى ورينا..

لكنها صاحت:

يا شيخ حرام عليك.. حرام عليك.. ارحمنى وارحم نفسك يا سيد كل أول شهر تعال خد قبضيتى كلها لكن وبعدين.. لو أنا وقعت ولا حتى مت حتعمل إيه.. يابنى بص حواليك.. دى اللى اسمها بنت مقطعة نفسها شغل فى المستشفيات والنوبتشيات عشان تعمل قرشين



تساعد بيهم أخوك لما يرجع وأنت يا راجل آخرتها إيه معاك..

ولم يرد سيد بكلمة.. نظر بعينيه إلى وجه أمه وهو لا يعلم لماذا يكره كل ما تقول رغم أنه يعلم أنها على حق.. ربما كان رحيلها أفضل.. سميحة تتزوج الليلة وتأخذ أمه معها إلى فيلا أكتوبر.. وسعيد سيعود ليتزوج عزيزة ويذهب بها إلى منزل جديد.. هو سيبقى وحده هنا.. وعاد ينظر حوله وابتسم ساخراً.. سيتركوه وحده فى «الحفرة» كما يسميها سعيد..

وسمعها تخرج لتغلق خلفها الباب فى غضب.. حتى لم تقل له كلمة وداع.. لم تمنحه دعوة من دعواتها.. لم تفكر حتى فى توصيته على نفسه.. أوصته بالبيت.. الحمقاء.. مازالت تدعوه بيتاً.

لماذا لا تحبه كما تحب سعيد.. بل لماذا لم يكن هو سعيد.. بل لماذا لم يكن هو علاء الذى سيتزوج سميحة اليوم..

سميحة!! الكل أصبح يتحدث عنها.. حتى أصدقاء الحشيش يتحدثون عنها وعن برنامجها.. أمه هى التى أنشأتها واهتمت بها وحملت عنها رعاية اختها المجنونة.. سميحة دياب التى أصبحت أشهر من عبدالحليم حافظ.. لابد أنها تتقاضى الآلاف عن هذا البرنامج الذى تظهر به على شاشة التليفزيون كل أسبوع منذ شهرين.. آلاف ومازالت تلقى لأم سعيد بست ورقات من فئة المائة جنيه.

إن له أماً حمقاء.. لو كانت فقط أكثر ذكاء لاستمعت لنصائحه.. لو طلبت أمه من سميحة ألفى جنيه فى الشهر ستمنحها ولكن ها هى تتبعها ككلب ضال إلى أطراف القاهرة وتتركه هنا وحده.

ورفع رأسه ليهز كتفيه ويشعل سيجارة بانجو مبتسماً فى سخرية.. كلهم أغبياء.. كلهم حمقى..

•



سعيد وعزيزة وأمه.. كلهم حمقى.. جميعهم خلقوا ليتبعوا أسيادهم فرحين بما يلقى لهم من فضلات ورقية.

سيد ليس أحمق.. سيد ليس غبياً.. سيد سيعلم كيف يحصل على حقه من سميحة.. نعم إن له حقاً فى نجاح سميحة.. فى تعليمها.. فى شهرتها.. سيد سيأخذ حقه فى عمر أمه وصحتها.. العمر والصحة اللذان بنت سميحة على انقاضهما نجاحها وتألقها..

سميحة دياب هى قضيته منذ اليوم.. هى غريمته.. هى مشروعه الكبير الذى يجب أن يعد له ويبنيه.. مشروع لن يسمح أبداً للحمقى أن يمنعوه عنه.. سيد هو الذكى الوحيد فى حارة القهوجى.

ومن خلف دخان لفائف الحشيش والبانجو ابتسم سيد ابتسامة كبيرة فى زهو كبير..

■ ■ ■

نظرت سميحة إلى كل شىء وابتسمت فى هدوء..

كل شىء فى مكانه.. كل شىء تم ترتيبه كما يجب أن يكون.. أم سعيد أنهت ترتيب أشياء رباب جميعها فى جناحها الصغير على رووف الفيلا.. كانت سميحة تتمنى لو تأخذ رباب الغرفة المجاورة لها ولكن علاء على حق.. أم سعيد يجب أن تكون إلى جوارها دوماً.. جناح الرووف رائع.. غرفة ومطبخ صغير وحمام خاص بهما معاً.. وأمام الغرفة تكعيبة من الخشب «البغدادلى» تحتها بساط كبير من «الترتان» الأخضر بالإضافة إلى الكثير من أوانى زرع خضراء متناثرة فى جنبات السطوح.. متى شاءت سميحة صعدت إليهم ومتى شاؤوا هم هبطوا إليها ليلتقيا اليوم بأكمله فى ريسبشن الفيلا أو حديقتها.. طنط صفية أرسلت لهم منى من كفر الشيخ لتصبح خادمة البيت المقيمة.. أم سعيد فقط لرباب.. أم سعيد ستأخذ مرتبها بأكمله من سميحة.. لقد أوضحت هذا لعلاء بل لقد أخبرته فى وضوح وبساطة أن سميحة ستدفع ألفى جنيه شهرياً فى مصروف البيت.. علاء لن يدفع مصروفات رباب ولا حتى ثمن طعامها وشرابها هى وأم سعيد..

علاء لم يعترض ورغم دهشة سميحة إلا أنها أبداً لم تغضب.. لقد قال لها إنه سيمنحها هو الآخر ألفى جنيه لتتولى الإنفاق على شئون البيت ومشترواته.. هو سيدفع أجرة منى أيضاً كما تدفع هى أجرة أم سعيد.. كل شىء واضح.. كل شىء أصبح له نظام.. دقائق وتحمل حقيبتها الصغيرة وتذهب معه إلى فندق «سيدى عبدالرحمن» ليقضيا ثلاث ليالى هناك يعودا بعدها إلى الفيلا زوجين ككل الأزواج.. شىء واحد تعلم سميحة أنه يغضب علاء ولكنها لا تملك أن تساعده فيه..

علاء كان يريد أن يقيم حفل زفاف يدعو إليه الأهل والأصدقاء قبل

ذهابهما إلى سيدى عبدالرحمن.. لكن سميحة لا تستطيع أبداً أن تفعل هذا.. بل أنها مازالت لا تصدق أنها ستخلع ثوبها الأسود لترتدى الألوان من جديد.. أربعة شهور على رحيل دياب.. اربعة شهور لم ترتد فيها لوناً غير الأسود.. حتى فى حلقات «حوارات ممنوعة» التى قدمتها حتى الآن.. كانت ترتدى فيها اللون الأسود.. من يصدق شهران منذ الحلقة الأولى لبرنامجها.. شهران فقط حققت فيهما سميحة نجاحاً قد يأخذ العمر بأكمله من غيرها.. لم يعد هناك أحد يراها ولا يعرفها.. لم يعد هناك صحيفة لم تكتب عنها.. بل لم يعد هناك مسئول يرفض أن يكون ضيفها.. ربما كان هذا النجاح والشهرة أحد أسباب رفضها لإقامة حفل زفاف لأنها إن فعلت فهى يجب أن تدعو العشرات ممن أصبحوا فى دائرة معارفها وهى مازالت تصر على وجود دائرة كبيرة حولها.. دائرة لا يتجاوزها إلا القلائل.. القلائل جداً.. ليس هذا فقط ولكن من سيقف إلى جوارها فى الزفاف الذى أراده علاء.. ليس لها أهل سوى دياب ولقد رحل.. ليس لها أهل سوى رباب ووجودها فى حفل زفاف سميحة دياب الشهيرة الآن سيؤلمها أكثر مما يسعدها.. لا أحد بقى لها سوى على سليمان وأحمد زهدى.. وكلاهما لا يعنيه أبداً أن تقيم حفل زفاف أو أن تحمل حقيبة صغيرة كالتى أغلقتها الآن وتمضى فى سكون إلى سيدى عبدالرحمن.. لا يعنيهما شيئاً أبداً سوى أن تعود وأن تكون سعيدة.. هى تعلم أنها ستعود من أجلهما ومن أجل رباب وأيضاً ستحاول أن تكون سعيدة لأن علاء يستحق أن تسعده كما يحاول أن يسعدها..

أفاقت سميحة من أفكارها لتخرج بنتكور من الجينز الأزرق الفاتح وارتدته وفوقه قميص من القطن الأبيض القصير وسقطت من عينها

دمعة وهى تنظر فى مرآتها.

خلعت اللون الأسود عن جسدها ولكن سواد حزنها على فراق دياب لن تخلعه الأعوام أبداً عن قلبها وروحها.

ثم عادت تطلق شعرها على ظهرها وبعد قطرات من العطر خرجت تودع رباب وأم سعيد ومنى لتهبط إلى علاء الذى كان ينتظرها فى سيارته.. ليبتسم حين رآها بثيابها الملونة وما أن دخلت إلى جواره حتى قال لها فى هدوء:

اتأخرنا ياعروسة..

وابتسمت سميحة لتصيح قائلة:

إيه دا.. استنى.. منى حتنزّل الشنطة.

جاءت منى بالحقيبة الصغيرة التى وضعت فيها سميحة ملابسها إلى جوار ملابس علاء ليقضيا بها لياليهما الثلاث فى فندق سيدى عبدالرحمن.

وانطلق علاء سعيداً.. أخيراً ستصبح سميحة زوجته.. أخيراً سيعود بها إلى جواره.. لقد زاد شوقه إليها بعد شهرتها الكبيرة.. زادت لهفته على أن يأخذها ويصبح هو رجل هذه المرأة الجميلة التى كلما سار إلى جوارها طاردتهما الأعين.. لا يصدق أنها بهذه السرعة أصبحت بكل هذه الشهرة والشعبية.. هو أيضاً يخطو خطوات واسعة فى عمله.. كل شىء أجمل مما حلم به.. شيئان فقط يؤرقانه.. متى تدخل نوال رسلان بيتهما؟ وهل تسبب لهما رباب مشاكل فى حياتها معهما؟! مازال لا يحبها.. مازال يشعر أنها تطارده بعينيها كلما رأته.. ولكن رباب هى الضريبة التى قبل أن يدفعها لدخول عالم سميحة ونوال السحرى.

وانطلق علاء يتحدث مع سميحة عن أيامهما القادمة.. عن برنامجها.. عن شخصيات يقترحها عليها.. عن سعادته بهذا اليوم.. وهي تبادله الحديث فى هدوء وحنان حتى وصلا إلى فندق سيدى عبدالرحمن وخرج مدير الفندق فى استقبالهما وابتسم ابتسامة كبيرة فى وجه سميحة قائلاً:

فى الفندق دا فى فيلا كان بينزل فيها الريس جمال عبدالناصر وواحدة تانية كان بينزل فيها عبد الحكيم عامر.. فندق سيدى عبدالرحمن النهاردة له الشرف أن سميحة دياب بتقضى فيه «الهنى موون».. احنا كلنا سعداء بلقاء سيادتك..

ابتسمت سميحة إحدى ابتساماتها الهادئة الحانية وفى صوتها الشجى قالت:

الشرف لينا.. إن أول أيام جوازنا تبقى فى مكان زى دا..

ورمقت بطرف عينيها علاء.. هل هو غاضب.. لكنها وجدته مزهواً سعيداً بها وبوجوده إلى جوارها.. ووضعت كفها بين أصابع كفه الكبير وصعدت معه إلى غرفتهما بالدور الثالث ليجدا فيها باقة زهر كبيرة مهداة باسم سميحة من إدارة الفندق.

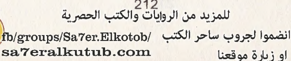
وضمّها علاء إلى صدره فى فرحة كبيرة.. كأنه لا يصدق أن هذه المرأة الشابة من نصيبه وحده وأغمضت سميحة عينيها وتحسست ذراعيه القويتين.. إنّ جسد علاء يعجبها كثيراً وهمست قائلة:

أنا جعانة قوى..

وضحك علاء ليقول:

يللا ننزل نتغدا ولو أنه حيبقى عشا.. دى الساعة داخلة على سبعة..

وقبل أن ترد سميحة نظر إليها علاء ثم عاد يقول:



سميحة.. سميحة خلى العشا بعدين.. انتى وحشانى شهور يا سميحة عايزك ومش قادر أقرب منك.. شوية حزينة وشوية مشغولة وشوية بتجرى وشوية بتصورى ودلوقتى كمان جاية تقولى جعانة.. سميحة .

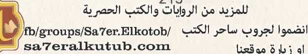
ووضعت سميحة أصابعها الرقيقة على شفتيه وقالت فى همس كأنها قررت أن ترضيه:

مين قالك إنى جعانة أكل.. أنا جعانة حب..

حملها علاء بين ذراعيه ليلقى بجسدها الصغير الرائع على فراش الغرفة. وأخذ يقبّلها قبلات صغيرة يخلع من بينها ملابسه وملابسها.. كانت سميحة تنظر إليه فى هدوء وأيضاً فى لهفة.. هى حقاً تشعر بظمأ كبير.. سميحة تتوق إلى من يضمها ويضم جسدها المثقل بجراحه واشواقه وصرخاته وبكائه.. جراحها من عمرو جابر.. جراحها من رحيل دياب ونوال.. جراحها من رباب وجرحها الغائر المشتعل من حب أحمد زهدى.. سميحة تريد من يضمد جراح هذا الجسد وتحتاج من يطفئ أشواقه التى اشعلها عمرو جابر يوماً وتركها أعواماً تتألم وحدها.

وحين أغمضت سميحة عينيها بعد أن ضمت جسد علاء العارى إلى جسدها العارى فتح علاء عينيه لينظر إليها فى دهشة تاهت ملامحها بين لهفته إلى جسدها.. كأنه يشعر أنه بين ذراعى امرأة كاملة تعرف ماذا تأخذ وماذا تمنح.. وعلا دبيب قلبه حتى أخذها ليهدأ بعدها على صدرها العارى وهو يقبلها قبلات صغيرة يهمس من خلالها بحبه وبأنه لم ير يوماً امرأة فى مذاقها أو ملمسها.

وابتسم علاء فى خجل وهو يلملم شعرها الذى تبعثر حولها وقبلها



قبلات صغيرة كأنه يعتذر.. لقد ظن لدقائق أنه ليس رجل سميحة الأول لكنه مازال رغم تأكده من أنه الأول.. مازال يشعر أن سميحة غفت كثيراً على ذراعى جسد رجل آخر.





كم عاماً مضت على سميحة دون أن تلقى بجسدها إلى ماء البحر الأبيض المتوسط.. أعواماً طويلة.. أعواماً طويلة من الشوق جعلت لقاءهما لقاء فريداً.. كأن كل قطرة ماء كانت تقبل جسدها.. كانت تشعر أن جسدها يغتسل فى مياه سيدى عبدالرحمن والمياه نفسها تغتسل بين ذراعيها وتزداد بملامستها جمالاً وتألقاً وحين عادت إلى الشاطئ رأت أعين كل من كانوا عليه يختلسون النظر إليها فى انبهار شديد بجسدها الوردى الرائع، والقت بجسدها على الرمال إلى جوار علاء وقالت فى دلال:

ياه يا علاء قد إيه المية كانت وحشانى.. ليه مانزلتش معايا؟!

وقبل أن يرد علاء سمعت صوت هاتفها الصغير يطلق موسيقى سيمفونية بيتهوفن السابعة من حقيبتها وانتفض قلبها رغماً عنها.. ثم مدت يدها بسرعة لتخرج هاتفها.. إنه أحمد زهدى.. زهدى يحادثها فى صباح زفافها!

وقالت فى صوت حاولت أن يكون هادئاً:

هاى أحمد أزيك؟

وقال فى رعشة لم يستطع اخفاءها:

صباحية مباركة يا عروسة.

وارتعشت قسمات وجهها لكنها استعادت سيطرتها عليها لتقول:

عقبالك يا أحمد.

وصاح قائلاً كأنه يريد أن ينسى زواجها:

سميحة.. تفتكرى إيه.. خبطة بمليون جنيه.. كل الفاكهة والخضار اللى بناكلها مسرطنة يا سميحة.. مبيدات مسرطنة وعارفة مين ورا القصة وزير الزراعة نفسه.. يوسف والى يا سميحة.. الوزير اللى

المفروض يحافظ على أرواح الناس بيقتلهم يا سميحة.. بيقتلنا كلنا.. حتى الجرجير والفجل أكل الغلابة مسموم.. بيسممونا يا سميحة. احنا حنكشف القضية فى البرنامج يا سميحة.. تخيلى بقى؟

كانت سميحة تستمع وهى تحاول أن تلتقط كل الأحرف لكن قلبها كان مازال تحت وطأة سماع صوت أحمد يوم «صباحيتها».. كان قلبها يرقب وجه علاء فى خجل وهى ترى في عينيه شيء كاللوم.. شيء كالغضب فقالت فى ذهول:

أحمد.. أنت عارف إن احنا أعلنا أن فاتن حمامة هى ضيفة الحلقة الجاية.. انت عارف قد إيه اقناعها كان صعب وبعدين احنا عايزين نخرج من اطار الحكومة والسياسة والقضايا.

لكن أحمد عاد يصيح فى جنون:

إيه اللى بتقوليه ده.. فاتن حمامة لو عرفت إن أرواح بشر بتضيع.. إن الناس بتشترى السم فى اللقمة أكيد حتقبل التأجيل.. سميحة؟!

وبدأت عينا سميحة تشتعل بالحماس لتقول:

أحمد.. وزير الزراعة يا أحمد.. لازم نفكر..

وعاد أحمد يقاطعها قائلاً:

ما نفكرش غير فى حياتى وحياتك.. حياة أهلنا وولادنا اللى ممكن يموتوا.. ياريت يموتوا.. ده سرطان يا سميحة.. سرطان.

سميحة مش بيقولوا ديمقراطية؟! مش بيقولوا بلد حر؟! خلى الوزرا يستقيلوا بقى ولو مرة واحدة من الكسوف..

وابتسمت سميحة قائلة:

خايفة يا زهدى نطلع من دريم على كابوس كبير..

إلا أن أحمد تنهد ليقول مبتسماً:

قلتيها يا سميحة.. نطلع.. مادام سوا مافيش حاجة تخوف..

بعد لحظات صمت قصيرة قالت:

خلاص.. لو عندك ورق جاهز ابعت كل حاجة على الفاكس بتاع الفندق وأنا حاكلم الدكتور محمد عبدالوهاب جوز مدام فاتن.. الأمر لله.

عندما أغلقت سميحة الخط لم تشرح لعلاء شيئاً كأنها نسيت وجوده إلى جوارها.. مبيدات زراعية مسرطنة تقتل البشر ويعلم وزير الزراعة.. انها لا تنجح فقط لكنها أيضاً تنقذ بشراً.. انها توقف سفك دماء الأبرياء.. ورفعت عينيها إلى سماء سيدى عبدالرحمن الصافية ورأت وجه دياب.. رأته مرسوماً على سحابة ما وسقطت دمعة على زاوية عينيها الجميلة وهمست:

يا حبيبى.

رآها علاء.. رآها وسمع همستها ونظر إلى البحر فى دهشة.. سميحة تسقط منها دمعة وتنسى وجوده بعد مكالمة أحمد زهدى لها فى صباح زفافها!

■ ■ ■



نظر طاهر إلى ساعة غرفة المعيشة فى هدوء ثم التقط أحد أجهزة الريموت كنترول ليقول وهو ينظر إلى وجه نوال:

هو مين النهاردة فى حوارات ممنوعة يا نوال؟!

وتنهدت نوال.. طاهر يعلم كما تعلم هى من هو ضيف البرنامج..

طاهر يسألها كل أسبوع وهى أيضاً كل أسبوع لا تجيب.. كلاهما يحرص على متابعة سميحة.. بل كلاهما يحرص على وجوده إلى جوار الآخر أمامها كل أسبوع.. وأشعلت سيجارة لتأخذ منها نفساً طويلاً.. عشرة أشهر منذ حلقة سميحة الأولى مع وزير الداخلية.. ثمانية أشهر منذ زواجها بعلاء لطفى.. عام على رحيل دياب وأعوام طويلة على أمومتها الضائعة.. فى كل أسبوع تقسم لنفسها أنها لن تشاهد سميحة وفى كل أسبوع تقسم لنفسها أنها ستتحدث عنها بصوت مرتفع.. ستقول أنها سعيدة بها.. أنها سعيدة بنجاحها.. فى كل أسبوع وقبل أن تنتهى الحلقة تنظر إلى عينى طاهر وتتمنى أن ترتمى على ذراعيه وتطلب منه أن يأخذها إلى سميحة.. ثمانية أشهر بعد كل حلقة تمسك بهاتفها الصغير فى غرفتها لتحادث علاء وتخبره أنها تتمنى لو يحضر سميحة لزيارتها ولكنها أبداً لا تفعل.. هى تعلم أنها أبداً لن تفعل.. وحده طاهر يشعر بها ولكن هو أيضاً لن يفعل شيئاً.. سيبقى إلى جوارها فى التاسعة من مساء كل جمعة يشاهد معها سميحة كما يشاهدها الملايين دون أن يفعل أحدهما شيئاً سوى الصمت والانتظار.

وظهرت سميحة دياب بوجهها الأبيض المشرق.. بثيابها الأنيقة.. بابتسامتها الهادئة.. ظهرت لتخرج من جعبتها ألف سؤال وألف قضية وألف حقيقة تفجرها فى هدوء.. كان حوارها مع مديرة مدرسة خاصة تسألها عن حقيقة قصة لا أحد يعلمها بعد.. فتاة فى السادسة

عشرة.. فتاة أصبحت حاملا من زميل لها فى ذات المدرسة.. سميحة كانت تسأل مديرة المدرسة عن الحقيقة؟! وهل حقاً كانت تلك الزهرة الصغيرة تمارس الجنس مع زميلها فى المدرسة كما تقول أمها نى البلاغ الذى قدمته إلى النيابة.. وساقت سميحة حوارها إلى دهاليز كثيرة مظلمة عن المدارس.. عن المخدرات.. عن موقف الدين من الاختلاط.. عن القيم عن دور التربية.. عن معنى التربية.. لم تكن الفتاة موجودة ولا ذكرت سميحة اسمها لكنها قالت إن هذه الفتاة قد تكون ابنة أى مواطن.. قد تكون أخت أى مشاهد، وقالت إن أصبح من الصعب أن نأمن على بناتنا فى المدارس فأين إذن نذهب بهن؟!

كان الحوار ساخناً وأطرافه كثيرة متعددة.. وكانت نوال تسمع وطاهر يصغى.. كان كلاهما سعيداً بها كأنها حقاً جزء منهم وفجأة سمع طاهر صوت ماجد يصيح :

والله أوبرا وينفرى بتاعتكم دى جميلة.. دى بتلم الناس كلها حواليها..

وأفسح طاهر مكاناً لماجد إلى جواره ووضع ذراعه حول كتفه ليقول:

انت بتقول فيها؟! سميحة بقت أجدع من أوبرا.

لكن ماجد عاد يقول:

هى مالها تخنت ونفّخت كدا ليه؟!

وربت طاهر على فخذ ماجد كأنه يرجوه الصمت قائلاً:

دى قربت تولد يا ماجد.. هى سميحة فى السابع ولا التامن يا نوال..

واشعلت نوال سيجارة جديدة ولم ترد وفى أول فاصل إعلانى نظر ماجد إلى نوال قائلاً:

انتى اللى شغلتيها فى دريم يامامى؟!
وانتفض جسد نوال لتنظر إليه فى دهشة ليبتسم ماجد قائلاً:
أنا مش ناسيها.. مش دى اللى جتلك من حوالى سنة وكان معاها كيس بلاستيك فيه فلوس.
ثم التفت ينظر إلى طاهر ليقول ضاحكاً:
دى خدت نمرة تليفونى بس ماكلمتنيش ماتدينى نمرتها.. أكيد دلوقتى لما تعرف إنى بقيت فى الجامعة يمكن..
وقاطعته نوال فى حدة قائلة:
مش سامع باباك بيقولك على وش ولادة.. يعنى متجوزة وحتبقى أم.
لكن ماجد انطلق يصيح فى مرح:
هاتى النمرة انتى بس وأنا استناها لما تولد..
ومد طاهر كفه ليجذب ماجد إلى صدره وبيده الأخرى أمسك بالريموت ليخفض صوت سميحة الذى عاد بعد الفاصل الإعلانى ومر بأصابعه على شعر ماجد فى حنان وبعد لحظات من الصمت قال فى حزن واضح:
عارف يا ماجد.. عارف سميحة دى تبقى مين؟!
سميحة دياب تبقى مرات علاء لطفى.. وعارف إيه كمان.. سميحة دياب تبقى أختك..
لم تنتظر نوال لحظة أخرى بعد أن سمعت طاهر يقولها..
لم تستطع حتى أن تنظر فى وجهه أو فى وجه ماجد الذى أكلته الدهشة لكنها ألقت بسيجارتها فى قلب المنفضة الملقاة إلى جوارها دون حتى أن تطفئها وخطت فى هدوء بعيداً عنهم.. كانت تحاول ألا تترنح.. كانت تحاول ولكن ما أن دخلت غرفة نومها حتى انفجرت فى



بكاء حاد عنيف.. شعرت أن زلزالاً قوياً يضرب كل قطعة فى جسدها دون رحمة.. انها حتى لا تعلم لماذا تبكى.. هل هى غاضبة.. هل هى حزينة.. هل هى خائفة.. انها حقاً لا تعلم لماذا تنتفض وتبكى.. ربما كانت تشعر بالخجل والعار لأن لها ابناً فى الثامنة عشرة من عمره ولا يعلم أن له أختاً.. بل له أختان لا يعلم عنهما شيئاً ولكن ماذا تعلم هى نفسها عنهما..

ألقت نوال بجسدها على فراشها ثم اعتدلت لتضم ركبتيها إلى صدرها وتلقى برأسها على ركبتيها وتبكى من جديد.. لم تشعر ابداً بطاهر حين دخل الغرفة.. لم تشعر به عندما وقف دقائق يرقبها ويرقب جسدها وهو ينتفض بين ذراعيها لكنها شعرت به عندما جلس إلى جوارها ووضع كفه على شعرها الأحمر القصير ليقول فى حزن صادق:

أنا غلطت يا نوال؟! يمكن أكون غلطت.. لكن الغلط ما يجبش إلا غلط والغلطة الكبيرة بقالها سنين.. نوال..

حاول أن يرفع رأسها لينظر إلى وجهها لكن نوال كانت تقاومه فى عنف.. لا تريد أبداً أن تنظر فى وجه أحد وعاد طاهر يقول:

لو أعرف أنك نسيتيها حقيقى ما كنتش اتكلمت.. نوال.. زمان لما انتى رفضت تزورى البنات قلت خلاص هى أدرى باللى يريحها.. لكن لما علاء لطفى ظهر.. لما رشحتيله سميحة ابتدى احساسى بالذنب يكبر.. ولما دياب مات صممت آخدك ونروح عشان أقولك إنى بحبها.. أيوه بحبها وبحب رباب لأنهم ولاد صاحبى اللى باحبّه. لكن انتى برضه ماحاولتيش تساعدينى ولا تساعدى نفسك..

نوال؟!



وعاد يضع كفه على شعرها محاولاً أن يرفع وجهها إليه لكنها ابداً ما استجابت.. كانت تبكى وتنتفض وقرر طاهر أن يتركها لكنه قبل أن ينهض من جوارها عاد يقول:

نوال.. أى حد يعرفنا ويعرف دياب من حقه يقول علينا أى حاجة.. يقول علينا سفلة واطيين خاينين.. حتى على سليمان نفسه من حقه يقول كدا.. لكن أنا وأنتِ بس عارفين الحقيقة.. نوال إحنا ممكن نكون خذلنا دياب لكن عمرنا ماخناه.. نهرب من إيه بقى.. دا حتى دياب نفسه مات لكن بنته عايشه.. بناته دول بناتك وإخوات ابنى.. نوال حتى لو كنا غلطنا.. الولاد ذنبهم إيه.. حرام بقى.. احنا ممكن فى لحظة نروح زى دياب ماراح.

خلى ماجد يقف جنب إخواته.. خلى قلوبنا ترتاح من الشعور بالذنب والخجل.. أرجوكى.. الحمل بقى تقيل واحنا كبرنا.. مابقيناش أبداً نقدر على الأحمال التقيلة.. ساعدينى وساعدى نفسك يا نوال..

البنات لو سامحونا حنقدر نسامح بعض ونسامح نفسنا.. حنقدر نشيل الحمل دا من على قلوبنا وضمايرنا!

■ ■ ■



دخل أحمد زهدى إلى إحدى أكثر عيادات برج الأطباء أناقة ونظر بعينيه يبحث عن آمال ممرضة العيادة لكنها لم تكن موجودة فجلس على أحد مقاعد الانتظار حتى تخرج من الداخل.. وتجول بعينيه يرقب العيادة .. منذ متى لم يحضر هنا.. منذ أعوام.. مازالت العيادة أنيقة جميلة.. فى الحقيقة هى ليست عيادة واحدة ولكنها شقتان تم ضمهما ليصبحا عيادة واحدة كبيرة.. فى الريسبشن جزءان.. جزء كله مقاعد صغيرة ملونة وفى أحد أركان هذا الجزء بارك كبير به بعض الألعاب الملونة وعلى حوائط المكان بأكمله لوحات جميلة كلها للأطفال، وفى الجزء الآخر مقاعد من الجلد الرمادى يجلس هو على أحدها.. إنه يحب ديكور العيادة ويعشق دهاناتها الوردية الهادئة.. إنه يثق أنها أكثر عيادات الأطفال أناقة ونجاحاً فى مصر..

وابتسم فى راحة.. ما بقى من الزائرين أحد.. لقد أصر على الحضور متأخراً.. يكره أن يدخل واحد آخر فى الانتظار.. يكره أن يرى نظرة لوم فى عين أم تحمل صغيرها وهو يبكى لترى أحمد يدخل إلى غرفة الدكتورة عفاف البندارى فى دورها.. لقد جاء فى الوقت المناسب.. الكشف الأخير بالداخل.. بعدها سيدخل ويبقى كيف شاء حتى تلحق به سميحة كما وعدته.. سميحة؟! مازال يحبها.. بل أصبح يحبها أكثر حتى وهى على وشك أن تصبح أماً بعد أيام.. وهز أحمد كتفيه فى بساطة.. لقد علمته سميحة الكثير.. علمته أن يحبها فى صمت قبل أن تتزوج وعلمته أن يعمل معها معظم ساعات اليوم لمناقشة كل حلقة فى حب كبير.. سميحة تصر على ذكر اسمه فى بداية كل حلقة من حواراتها الممنوعة وتصر أن تشكره فى نهاية كل حلقة.. لقد أصبح اسمه لا يقل شهرة عن اسمها.. لم يعد من الممكن أبداً أن يسمع

أحد اسم أحمد زهدى ولا يقول حوارات ممنوعة.. كيف لا يحبها أكثر.. كيف لا يحبها.. كيف حتى لا يحب جنينها وهو قطعة من أغلى امرأة عاشت وستعيش فى قلبه ما عاش هو على الأرض.

يكفيه منها كل هذا.. يكفيه ويكفى قلبه أنه رفيق نجاحها.. وأفاق أحمد على صوت آمال ترحب به وقال لها:

آمال.. لما توصل مدام سميحة دياب خليها تدخل على طول.

ثم وقف ليدخل غرفة الدكتورة عفاف، وفى الطريق رأى طفلين أحدهما على ذراع أمه يخرجان من غرفة الكشف.. لا بكاء.. كلا منهما يحمل بين أصابعه حلوى وعلى شفتيه ابتسامة.. حتى الأم خرجت وهى سعيدة تبتسم.. وابتسم هو الآخر وخطا إلى غرفة المكتب.. لا أحد يدخل أو يخرج من لقاء عفاف البندارى رئيس قسم الأطفال بأبو الريش دون أن يبتسم من القلب.. وما أن فتح الباب بعد طرقات خفيفة حتى نهضت عفاف وأسرعت إليه لتأخذه بين ذراعيها فى حنان وهى تقول ضاحكة:

والله كان نفسى أفرش الأرض رمل.. ازيك يا حبيبى.

قبّلها قبلات كثيرة على وجهها ثم وضع أصابعه الرشيقة بين طيات شعرها البنى الجميل وعاد برأسها إلى الخلف لينظر فى عينيها البنية الواسعة قائلاً:

ومافرشتيهاش ليه؟! هو كلام وخلاص..

وسارت إلى جواره وذراعه مازالت حول كتفيها ليجلسا معاً على كنبة بنية تحتل أحد حوائط مكتبها الأنيق.. المكتب بأكمله من خشب الأرو البنى.. عدا مكتبها وحده من الطراز الفرنسى المصنوع من خشب البلسندر المطعم بالنحاس.. مكتبها أنيق وهى أيضاً أنيقة جميلة ترتدى

بنطلوناً أسود وقميصاً أزرق وفى أذنيها قرطان من اللؤلؤ البحرينى.. إنها تعشق اللؤلؤ.. ومال بشفتيه يمنحها قبلة جديدة وقال:

انتى جميلة قوى يا عفاف.. جميلة قوى..

وربتت على فخذه فى حنان واعتدلت لتقول:

أمال أنت فاكر نفسك طالع حلو لمين.. لأمك طبعاً.

ألقى برأسه على كتفيها لا يستطيع أبداً أن يجلس إلى جوارها دون أن يلقى برأسه على كتف أحلى امرأة.. كتف أمه عفاف البندارى وقال وهو يشعر بها تلف ذراعها حوله فى حنان:

سميحة زمانها جاية.. انا قلتلها خليكى بعد الولادة بس هى صممت.

وربتت عفاف على شعره ثم قالت:

أنا باقول هى عايزة تتكلم فى موضوع رباب أختها.. أمهات كتير بتخاف الإعاقة تتكرر فى ولادهم.

ورفع أحمد رأسه من على كتف عفاف ليعتدل ونظر إلى عينيها فى قلق ثم قال:

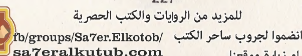
هو دا ممكن يحصل فعلاً؟!

وبعد لحظات من الصمت قالت عفاف:

انت لما حكتلى زمان على أختها ماعرفتش إيه الحكاية بالضبط.. لكن مش شرط أبداً.. واضح إنها مش حالة وراثية بدليل إن سميحة كويسة وأمها كمان عندها ولد كويس.. على العموم نسمع منها هى لما توصل..

وعادت تتحسس رأسه فى حنان ثم مدت ذراعها الأخرى وأمسكت بكفه الأيمن وتحسست الدبلة التى يرتديها وقالت:

امتى حتقلع الدبلة دى؟ خطبت لينا مفهوم.. سبت لينا مفهوم.. ما



قدرتش تحب لينا برضة مفهوم.. لكن تفضل لابس الدبلة سنة تقريباً ليه يا أحمد..

وأدار أحمد رأسه وانزلق بجسده إلى الأسفل قليلاً وضغط رأسه إلى صدر عفاف ثم قال بعد لحظات:

مش عارف يا أمى.. يمكن حاسس إن كدا أحسن.. أصل الدبلة دى عاملة زى اشارة ممنوع الدخول.. أوقات بتخلى البنات توفر بنزين ووقت بدال ما يرجعوا الشارع كله بضهرهم.

وقالت عفاف فى حزن:

لكن الشارع مش ممنوع الدخول فيه.. الشارع مشكلته إن فيه عربية نقل كبيرة دخلته وقفلته.. لا أنت عارف تطلعها ولا عارف تستوعب وجودها.

واعتدل أحمد ليقول ضاحكاً:

دكتورة والله ولواء مرور كمان.. عربية نقل؟!

وامسكت عفاف بذراع أحمد لتنظر فى عينيه وتقول:

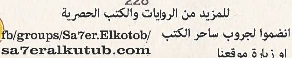
عربية نقل اسمها سميحة دياب.

ونكس أحمد رأسه لينظر إلى الأرض.. لقد أخبر عفاف عن حبه لسميحة يوماً بل أنه ابداً لا يخفى حبه عن عفاف لكن يؤلمه أن تذكرها بهذه الطريقة.. يؤلمه أن تشبهها بسيارة أغلقت مداخل ومخارج أيامه.. سميحة هى روح أيامه وعطر لياليه.

ومدت عفاف كفها لتضعه على رأس أحمد كأنها تربت على رأس أحد الأطفال الذين يدخلون إلى عيادتها كل يوم ثم قالت:

والله فاهمة وعارفة.. لكن دى خلاص أم يا أحمد.

أنا كمان نفسى أشوفك أب يا حبيبى.. أنا ماعنديش غيرك أنت



ودينا اختك.

وقبل أن يقول حرفاً دخلت سميحة بعد طرقات خفيفة ليقف أحمد وتقف عفاف التى أسرعت ترحب بها فى حنان كبير.. كانت سميحة ترتدى بنطلوناً أسود وقميصاً واسعاً من القطن الوردى وكان شعرها البندقى الجميل يتمايل خلف جسدها.. كان واضحاً أنها متعبة كانت بطنها المستديرة أصغر من حجم بطن امرأة فى أواخر شهرها التاسع.. انها اجمل امرأة حامل رأتها عين عفاف وضمتها إلى صدرها فى حنان وهى تقول:

أشكر أحمد ولا أشكر البيبى اللى جاى ولا اشكر مين.. كان نفسى اشوفك من زمان يا سميحة..

ثم ابتسمت وهى تشير إلى أحد المقاعد أمام مكتبها وقالت وهى تخطو لتجلس خلف مكتبها:

اشوفك برا التليفزيون طبعاً..

وألقت سميحة بجسدها على المقعد البنى المواجه لمكتب عفاف وجاء أحمد يجلس على المقعد المواجه لها ونظرت إليه سميحة فى حب كأنها تشكره على لقاء هذه المرأة التى اقتحمت قلبها فى لحظات ثم قالت وهى تنظر إلى عينيه:

أنا اتعودت إن أى حاجة حلوة فى حياتى يبقى أحمد زهدى أكيد وراها.. أنا كمان لازم أشكره من قلبى وأشكر حضرتك على كرمك واستقبالك.

وبعد حديث قصير قالت سميحة:

أنا خلاص حاولد خلال اليومين الجايين.. حبيت اتعرف بحضرتك وأفهم نظام التطعيمات وامتى أجيب البيبى.

وقالت عفاف فى هدوء من خلف مكتبها:

قبل ما تجيبى البيبى احنا حنيجى الأول نقولك مبروك ولو ولدت فى وقت مناسب بالنسبة لمواعيدى أنا حا آجى المستشفى بنفسى واطمنك عليه.. انتى عرفتى البيبى إيه.

وابتسمت سميحة ابتسامة صغيرة ثم قالت:

بنت.. أنا الحقيقة كان نفسى جداً يكون ولد.. أصلى كنت عايزة اسميه على اسم بابا.

واختنق صوتها.. كم من الوقت مضى عليها دون أن تقول «بابا».. لكنها اسرعت ترفع رأسها فى كبرياء لتبتلع دمعتها قبل أن تسقط خارج عينيها إلا أن أحمد شعر بها فقال ضاحكاً:

البنات دول هدية السما للأرض.. حتسميها إيه؟!

وابتسمت سميحة ثم قالت فى تردد:

زمان كان نفسى اسمى بنتى ملك.

وقاطعها أحمد فى بساطة:

لأ.. بصى أنا طول عمرى نفسى ربنا يدينى بنتين واحدة أسميها هنا وواحدة أسميها أمل..

دايماً أقول إن الأمل بيجيب الهنا والهنا لو ماجاش الأمل بيسند.

ووضعت عفاف نظارتها الصغيرة وقالت فى هدوء وبساطة:

أنا الحقيقة تخيلت إنك جاية عشان تستفسرى عن امكانية تكرار الإعاقة فى البيبى.

ورفعت سميحة عينيها بسرعة تنظر إلى وجه أحمد ثم التفتت تنظر إلى وجه عفاف الساكن فى جنون وهى لا تفهم ما تعنيه إلا أن عفاف مضت تكمل:



أنا آسفة إنى باقول اعاقة.. انا باقولها بحكم المهنة.. انا حقيقى مؤمنة أن كل حالة من دول هبة وهدية من ربنا لكن دا ما يمنعش طبعاً ان احنا نحاول.

ولم تستطع سميحة أبداً ألا تسأل.. ألا تعرف فقالت وقلبها يعلو دبيبه ووجهها تتلون بشرته:

حضرتك عرفتى منين انى عندى اخت معوقة؟

ورفع أحمد وجهه وقال بابتسامته الرائعة:

أنا حكيت لماما زمان وهى تصورت أن دا سبب زيارتك النهاردة.

لكن سميحة لم تكن تبحث عن اسباب أحمد أو تصورات عفاف.. ما تريده شيء واحد فقط فعادت تقول:

أنت عرفت منين؟ أنا مش فاكرة انى قلتلك.

لكن أحمد قال وهو يبتسم:

من خالد.. خالد رستم اللى اتجوز نهال عبدالسلام صاحبتك دا قاللى الحكاية دى زمان أيام ما كنا سوا فى الشرق الأوسط..

وقاطعته سميحة قائلة:

لكن نهال اتجوزت من شهرين بس..

وصاح أحمد ضاحكاً:

لكن بتحب خالد من سبع سنين.. مرة شافك معايا خارجين من مبنى التليفزيون وقاللى إنك صاحبة نهال الأنتيم.. هى نفسها ما كانتش تعرف إنه صاحبى إلا قريب جداً أصل أنا فى وسط أصحابى اسمى احمد بدر.. بابا اسمه بدر فى الإذاعة قررت أقول احمد زهدى فقليل قوى اللى يعرفوا الاثنين..

ودارت رأس سميحة.. كان يعرف إذن قصة رباب كان يعرف وبقى



يحبها.. كان يعرف وطلب أن يتزوجها.. كان يعرف.. والتفتت تنظر إلى وجه عفاف فى لوعة لكنها وجدتها تبتسم.. عفاف أيضاً كانت تعرف.. عفاف تقول عن رباب وعن كل من هم مثلها أنهم هبة وهدية من السماء كما كان دياب يقول.. ولم تستطع أبداً أن تقاوم الألم الذى شق صدرها وخرجت من بين شفتيها آهة قوية انتفض لها أحمد ووقف مذعوراً واقترب منها لينحنى عليها وهو يصيح فى ألم كبير:

سميحة.. مالك يا سميحة.. مالك يا حبيبتى؟!

وخانتها الدمعة هذه المرة.. خانتها لتسقط رغماً عنها على وجنتيها الجميلتين ورفعت وجهها تنظر نحوه كأنها تعتذر.. كأنها تعلن غباءها وحماقتها يوم أضاعت حباً مازال يدق صدرها ويسكن عروقها.. ووقفت تستند على مكتب عفاف التى جاءت خلفها تمسك بها وقالت سميحة:

مش عارفة حسيت.. حسيت بألم.

واحتضنتها عفاف وهى تسألها أسئلة كثيرة.. ظنتها على وشك الولادة لكن سميحة شعرت أنها يجب أن ترحل.. يجب أن تبتعد عن أحمد وأمه كما ابتعد يوماً عنها عمرو جابر هو وأمه ولكن يا للفارق.

وتحاملت سميحة على نفسها واستدارت تحتضن عفاف وقالت وهى بين ذراعيها:

أنا آسفة.. لازم امشى..

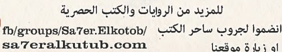
وسار أحمد زهدى إلى جوارها وهو يقول:

ماما.. أنا حاوصل سميحة.

وقالت عفاف فى حنان صادق:

آجى معاكى يا سميحة.. دكتورك مين؟







لكن سميحة نظرت إليها وقالت:
ماتخافيش حضرتك.. أنا كويسة.. أنا كويسة.
أمسك أحمد بكف سميحة بين كفه وهو يقول:
تعالى يا سميحة أنا حاوصلك وحاطمنك يا ماما.
وتركت سميحة كفها لأحمد زهدى.. كم تمنت لو تركت له نفسها وكم ستبقى العمر تلوم نفسها لأنها لم تفعل.. آه لو يعلم أنه كما يحبها أحبته وستبقى..
عندما وقف أحمد ينظر حوله فى شارع عبدالمنعم رياض بحثا عن سيارة سميحة قالت له فى صوت خفيض:
أنا أديت عربيتى لعبد المنعم اللى انت قولتللى عليه هو ركنها فى جراج البرج.
وقاطعها أحمد قائلاً:
أيوه عارف.. أنا حاخليه يقفلها وأديكى المفتاح أنا اللى حاروّحك يا سميحة..
وسحبت سميحة كفها من كفه وسحبت نفساً بعيداً من صدرها وقالت:
أنا حاروح يا أحمد لوحدى.. لوحدى..
وصاح:
سميحة!!
ونكست سميحة رأسها فى تصميم يعرفه أحمد زهدى جيداً وقالت:
لوحدى يا أحمد..
وعلم أنها لن تفعل إلا ما قالت وعندما جلست تقود سيارتها الباسات الجديدة تبعها أحمد بسيارته حتى وصلت بوابة السليمانية



بمدينة الشيخ زايد.. كانت تنظر فى مرآتها وتراه خلفها وهى تشعر بالألم يسحق عروقها.. أضاعت أحمد زهدى.. أضاعت سميحة بيدها حب العمر..

قتلها عمرو جابر مرتين.. لكن هناك رجالاً ليسوا كعمرو وهناك نساء لسن أبداً كنادية ولسن أبداً كنوال.. ومسحت سميحة دموعها وتحسست بطنها الذى يلامس عجلة القيادة.. هى أيضاً ستجعل منها امرأة جميلة حنون مثل عفاف البندارى.. وعلى بوابة السليمانية وقفت سميحة بسيارتها وهبطت منها تشكر أحمد زهدى.. لم تدعه إلى الدخول لكنها وقفت تنظر إلى عينيه ورأى آثار دموعها وقال لها فى حنان:

لسه تعبانة..

وابتسمت وهى تقاوم دمعة جديدة تستعد للسقوط وقالت فى حب لم تستطع أن تخفيه:

أحمد.. أنا حاسمّى بنتى أمل.

■ ■ ■



عندما دخلت سميحة غرفتها لم تلق بجسدها على السرير.. كل ما فعلته أنها خلعت ملابسها وغسلت وجهها وأسرعت تصعد السلالم ودخلت إلى غرفة رباب.. ونهضت أم سعيد من مقعدها تقول:

ازيك يا بنتى مش تريحى نفسك بقى.. انتى خلاص ممكن تولدى فى أى لحظة.. وبعدين ما تسوقيش لحسن يجيلك الطلق فى الطريق تعملى إيه بس..

وابتسمت سميحة وقالت فى هدوء:

علاء خلص الأوضة اللى فى الجنينة وأول ما أولد قوللى لسيد ابنك يجى ويستلم شغله.. أنا كمان تعبت من السواقة.

ونظرت إليها أم سعيد فى قلق.. إنها حقاً سعيدة لأن سيد سيعمل سائقاً لدى سميحة وأيضاً سيسكن فى الغرفة التى بناها علاء له فى حديقة الفيلا ولكنها مازالت خائفة منه.. مازالت لا تثق فيه.

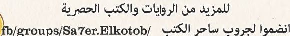
مازالت غاضبة وحانقة عليه لأنه اتصل بسميحة وطاردها كثيراً حتى قبلت أن يعمل عندها سائقاً.. هى تعلم أن سميحة فعلت هذا إكراماً لها ولكن مازالت خائفة من سيد وخائفة من حضوره ولكن ماذا عساها تقول أو تفعل.. لو كان هذا سعيد لطارت من الأرض فرحاً.. وتنهدت أم سعيد فى ألم وحسرة إلا أن سميحة قالت:

ممكن تقولى لمنى تعمّلى كباية نعناع على ما أقعد مع رباب شوية.

واختفت أم سعيد ونظرت سميحة إلى وجه رباب وهى نائمة على سريرها ثم اقتربت منها لتجلس على حافة فراشها وعادت دموعها تسقط من جديد وقالت:

أحمد زهدى طلع عارف يا رباب.. طلع عارف.. رباب أنا خلاص حاولد.. حاولد لوحدى.. من غير أحمد.. من غير بابا.. ومن غيرك..





ومن غير ماما.. لوحدى يا رباب لوحدى..

علاء مش معايا.. علاء كل همه شغله ونجاحه.. كل همه إنه يبقى المهندس الكبير علاء لطفى.. جوز سميحة دياب المشهورة.. تخيلى يا رباب تخيلى كذا مرة اسمعه بيقول لحد فى التليفون أنا جوز سميحة دياب.. تخيلى.. انتى بالنسبة لعلاء مش موجودة وأنا مجرد اسم لواحدة مشهورة بيكمل بيها نجاحه وشهرته..

الظاهر إنى دايماً حافضل لوحدى.. دايماً!!

وفتحت رباب عينيها الواسعة لتنظر إلى سميحة فى صمت ثم ألقت بعينيها على بطن سميحة البارزة أمامها وابتسمت سميحة فى انكسار وككل مرة ترى رباب تنظر إلى بطنها أمسكت بكف رباب النحيل ووضعته على بطنها وقالت:

أمل يا رباب.. أمل.. أنا جوايا أمل.. والمرة الجاية إن شاء الله حيبقى جوايا منصور.. ربنا مش حيبخل علىّ أبداً بمنصور..

وفتحت رباب شفتيها النحيلتين وقالت فى صوت خفيض:

با... با.. با

وسقطت دموع سميحة فى سخاء.. مع رباب سميحة لا تقاوم دموعها.. مع رباب سميحة لا ترفع رأسها.. مع رباب سميحة تشعر أنهما يتيمتان صغيرتان لا حول لهما ولا قوة وقالت من بين دموعها:

بابا وحشنى قوى.. قوى يا رباب..

ومالت بجسدها ببطء وهى تحاول أن تحتضن رباب إلا أنها رأتها تفتح عينيها فى ذعر وتتراجع إلى الخلف وقبل أن تدرك ما يحدث.. قبل أن تمسح دموعها سمعت صوت علاء يقول:

إيه يا سميحة اللى يطلعك هنا بالليل كدا وليه تصحيها.. أم سعيد



قالتلى انها نايمة.

ومسحت سميحة دموعها بكفيها قبل أن تلتفت إليه ثم استدارت وهى تقف أمام علاء لتقول فى صوت خفيض:

كنت بادور على حد اتكلم معاه.. انت ما بترجعش إلا بعد نص الليل كل يوم.

وقال علاء فى تأفف:

أنا باشتغل يا سميحة.. باشتغل..

وانحنت سميحة تحاول الوصول إلى رأس رباب لتقبلها لكن ما استطاعت.. لقد أصبحت بطنها حاجزاً كبيراً يمنعها عن الانحناء فقالت:

أنا كمان باشتغل لكن بارجع أدور على الناس اللى عايشين معايا.. انت بتشتغل وبترجع عشان تبعد عن الناس اللى معاك.. يللا ننزل.. تصبحى على خير يا رباب.

وتبعها علاء فى هدوء وأخذ يرقبها وهى تهبط السلالم فى بطء وصعوبة. وفى الطريق التقطت سميحة كوب النعناع من يد أم سعيد وطلبت منها أن تذهب إلى رباب ثم دخلت غرفتها لتلقى بجسدها على سريرها وهى ترقب علاء وهو يخلع ملابسه ويرتدى بيجامته ثم قالت:

أنا شكلى خلاص حاولد النهاردة يا علاء.. تعبانة جداً.. تعبانة بجد..

كانت تتمنى أن ترى فى عينيه لهفة.. أن تسمع فى صوته خوفاً.. تمنت أن يسألها بماذا تشعر.. لكنه جاء إلى جوارها وقال:

سميحة.. لازم نكلم مامتك يا حبيبتى.

وقاطعته سميحة فى حدة:

تانى.. تانى يا علاء.. انت إيه يا أخى ما بتزهقش.

وعلا صوت علاء فى حدة أكبر قائلاً:

تانى وتالت ورابع يا سميحة.. فى واحدة فى الدنيا تروح تولد من غير أمها.. فى واحدة فى الدنيا تبقى أمها نوال مرات طاهر رسلان وبنتها تروح تولد من غير ما تقولها..

وصاحت سميحة فى مرارة:

أديك قولتها.. نوال مرات طاهر رسلان.. أنا بنت منصور.. منصور دياب مش بنت رسلان.

قبل أن يفتح علاء فمه بكلمة أخرى استطردت سميحة تقول فى صوت أكثر حدة:

ولا كلمة.. ولا كلمة فى الموضوع دا.. فاهم..

ونظر علاء إليها فى ازدراء واضح.. إنها غبية.. حقاً هى غبية.. إنه لا يعلم كيف حققت كل هذا النجاح لابد أنه جمالها وربما كان الحظ.. لكن سميحة أغبى امرأة على وجه الأرض.

■■■



وقف سيد يمشط شعره بأصابعه وهو يتجول بعينيه فى حديقة فيلا سميحة وعلاء منتظراً ظهور أحدهما.. لقد حادثه علاء بالأمس وقال له أن يحضر ملابسه ليقيم معهم فى الغرفة التى انتهى من بنائها له فى حديقة الفيلا.. أخيراً سيحيا مع سميحة بل سيلازمها فى كل خطواتها.. كم شهراً وهو يحادثها ويرجوها..

غبية سميحة جداً.. عرضت عليه أن يعمل ساعياً فى مكتبها بقناة دريم.. ساعى يعد لها الشاى والقهوة وينظف لها مكتبها.. أمه تنظف بيت سميحة ومخلفات أختها البلهاء وهو ينظف مكتبها ومنفضة سجائرها.. سائقها الخاص أفضل.. سيعلم كل أسرارها وخباياها ويوماً سيضع يده على سر نجاحها.. إنه يثق أن نجاحها خلفه ألف قصة لا تريد سميحة أن يعلمها أحد.. إنه يثق أنها باعت وربما تبيع جسدها الرائع لألف رجل فى قناة دريم.. وربما ألف وزير ممن تحضرهم.. وطفت على وجهه ابتسامة ساخرة.. سيد ليس أحمق ليصدق أنهم يقبلون القبوع أمامها لتسلط عليهم كل هذه الاتهامات وتفجر فى وجوههم كل هذه الفضائح دون ثمن مسبوق من جسدها..

النساء لا تنجح إلا بأجسادها.. حتى أمه... قروشها القليلة تكسبها من بيع جسدها فى المسح والكنس.. لكل جسد طريقة ولكل طريقة ثمن.. ورفع حاجبيه ينظر إلى الباسات الفضية الجديدة التى اشترتها ابنة دياب فى أقل من عام.

حقاً.. النساء لا تكسب المال إلا بأجسادها..

وسمع صوتاً يقول له:

سيد.. علاء بيه بيقولك روح أوضتك وحط حاجتك فيها هو حينزلك كمان شوية..



وأخذ يحدق سيد فى الجسد الواقف أمامه.. سمراء نحيلة ترتدى قميصاً أصفر وبنطلوناً ضيقاً من الچينز وتبعها فى صمت ودخل خلفها غرفته ولم يستطع أن يخفى دهشته وفضوله فقال فى صوته الهادئ الذى يشبه فحيح الأفاعى:

مين حضرتك؟!

وقالت السمراء فى ابتسامة ضيقة:

أنا منى باشتغل هنا مع أمك..

وأغلقت منى خلفها الباب وتبعتها عين سيد من النافذة الزجاجية ثم صاح ضاحكاً:

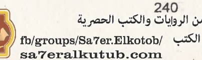
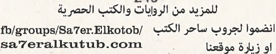
أورطة خدامين يا بنت دياب وكملتيهم بسواق كمان، والله زمن..

والتفت حوله ينظر إلى الغرفة الصغيرة.. سرير صغير من اللون الأبيض بجوار الحائط ودولاب من الكانيه الأبيض ٢ ضلفة وطاولة صغيرة حولها مقعدان وتحتها كليم جديد من اللون الأحمر، وفى الحائط الثالث للغرفة باب يفتح على حمام صغير به تواليت وحوض وشاور أرضى صغير.. وألقى بحقيبته الصغيرة على الفراش وجلس إلى جوارها يشعل سيجارة وهو يفكر.. منذ شهور وسيد لا يشغل رأسه سوى سميحة.. سيبتزها.. سيأخذ حقه وحق أمه من عينيها التى ترسم فيهما الطهر والبراءة.

اللعينة!!

وانتفض واقفاً بعد طرقات صغيرة سمعها على الباب أطل بعدها علاء بجسده الرياضى الطويل واحتار أين يلقى بالسيجارة وقبل أن يلتفت حوله قال له علاء فى صوته الآمر:

ادخل اطفيها فى الحمام واطلعلى الجنينة.

وفى لحظة كان سيد يقف أمام علاء الذى قال له:

أنت حتسوق عربية سميحة هانم الكورسا لو فيه أى طلبات حتجبها.. أى مخالفات حلاقيها على العربية حتتخصم من ماهيتك.. انت عارف أن اتخن سواق فيك يا مصر بياخد إيه ستمية سبعمية جنيه.. لكن أنت واكل شارب نايم حتاخذ ألف.. سميحة هانم بتعمل كدا عشان خاطر أم سعيد.

وقال سيد فى تملق:

ربنا يخلى سعادتك ياباشا.

وعاد علاء ينظر إليه.. إنه يفهم سيد جيداً منذ تلك المرة التى رآه فيها وهو يفهمه.. علاء سيوظف سيد لديه لينقل له أسرار وتحركات سميحة.. خصوصاً مع أحمد زهدى.. لهذا فقط وافق سميحة على طلبها فى قبول سيد لديهم كسائق.. مع الوقت سيعلم كيف يوظف سيد لتحقيق أهدافه.. والتفت إلى سيد قائلاً:

سيد.. أنت مش بس سواق الهانم والبيت لأ.. أنت حارسها الشخصى.. لو أى حد ضايقها تبلغنى.. الهانم طيبة وبتتنازل وتسامح كتير لكن أنا لازم أعرف كل حاجة.. أنت عارف أخويا سيادة المستشار ممدوح ممكن يودى أى حد ورا الشمس.. فاهم!!

ورفع سيد عينيه وقال فى انكسار:

أنا تحت أمركم يافندم.. الهانم والهانم الصغيرة فى عنيا الاتنين.

كان علاء يخطو خارج باب الفيلا وسيد يتبعه فى هدوء ثم التفت يقول:

سميحة هانم حترجع شغلها بعد عشرة أيام.. فى العشرة أيام دول حاعملك ألف اختبار.. أرجو أنك تثبت كفاءتك عشان نخليك..



وما أن ركب علاء سيارته واختفت عن انظار سيد حتى بصق على الأرض فى احتقار وعاد يشعل سيجارة أخذ ينفث دخانها فى عصبية كبيرة.. المغرور.. ولكن لماذا لا يكون مغروراً.. مهندس ثرى متزوج بواحدة من اشهر نساء مصر وأخ لوكيل نيابة أو كما يدعوه مستشار.. لم لا يكون مغروراً.. يجب أن يكون مغروراً.. لكنه ذكى.. علاء لطفى ذكى.. إنه يعلم حقيقة سميحة.. لهذا يطلب من سيد أن يراقبها.. الأحمق يظن سيد غبياً.. وعاد ينفخ دخان سيجارته وهو يبتسم وقال هامساً..

والله اللعب حيحلو يا سيد..

لكنه عاد ينتفض من جديد وهو يسمع صوتاً يقول من خلف ظهره:

مساء الخير.. مش دى فيلا المهندس علاء لطفى؟!

وألقى سيد بسيجارته تحت حذائه ووقف ينظر إلى الشاب الذى وقف أمامه.. وهز سيد رأسه ليسمعه يقول:

من فضلك أنا عايز أقابل مدام سميحة..

وتوهجت عينا سيد بالفرح.. بهذه البساطة.. أمن المعقول فى اليوم الأول وبعد ولادتها بأسبوعين وبعد خروج زوجها من البيت بلحظات يسوق له القدر أحد عشاق سميحة.. هل أصبح سيد محظوظاً إلى هذا الحد، وقال فى ابتسامة حاول أن يجعلها بريئة:

مين حضرتك؟!

وأجاب الشاب مبتسماً فى تردد واضح:

ماجد.. قولها ماجد رسلان..

ولم يعلم سيد ماذا يفعل لكنه توجه ليضرب جرس الفيلا حيث أطلت منى بعد دقائق لتقول فى تأفف:



إيه يا سيد .. لما تعوز حاجة ما تضربش الجرس تستعمل السنترال الداخلى.. حابقى أوريك.

قبل أن تكمل رأت ماجد يقف على البعد.. كان يرتدى تى شيرت أحمر وبنطلوناً من الجينز الأزرق.. كان وجهه جميلاً أجمل من كل النجوم التى تحلم بلقائهم منى يوماً ولو صدفة وابتسمت لتقول:

مين يافندم؟!

وتقدم ماجد نحوها وقال مرة أخرى:

أنا عايز أقابل سميحة.. قولليها ماجد رسلان من فضلك.

ولم ترد منى.. كان ذهولها بأناقة الشاب وجماله أكبر من أن تستجمع أفكارها.. أغلقت الباب وركضت على سلالم الفيلا حتى وصلت غرفة سميحة.. قليلون جداً هم زوار سميحة.. ولكن أن يأتيها زائر بهذا الجمال والأناقة ودون موعد.. لابد وأنه حدث كبير ورائع.. وطرقت باب غرفة سميحة فى حذر.. ان سميحة تنام نوماً متقطعاً مع الصغيرة التى تستيقظ كل ساعتين لترضع من صدر أمها وسمعت صوت سميحة يقول:

ادخل..

وأطلت منى بوجهها الأسمر لتقول:

مدام سميحة.. فيه واحد برا عايز يقابل حضرتك اسمه ماجد.. ماجد بيه رسلان.

كانت سميحة فى فراشها تحمل أمل الصغيرة بين ذراعيها لكنها انتفضت واقفة بها لتضعها فى سريرها الأبيض الصغير والتفتت تسألها:

لوحده؟!



وأومأت منى بالإيجاب إلا أن سميحة قالت لها:

قوليله مش موجودة..

ونكست منى رأسها فى صمت وخرجت من الغرفة ووقفت سميحة تظر حولها فى جنون ورأت صورته التى لاتتساها يوم زارت نوال.. رأت ابتسامته الجميلة وشعرت بشىء يعتصر قلبها وركضت خلف منى تلحق بها على سلالم البيت..

كانت سميحة ترتدى قميص نوم من الدانتيل القطنى الأبيض بأزرار كثيرة على صدره وكانت ازرار قميصها مازالت مفتوحة بعد ارضاعها لأمل.. كان شعرها ثائراً حول ظهرها بعد أن ازداد طولاً وكثافة فى فترة حملها.. كانت جميلة بل فى واحدة من أجمل صورها.. عدا نظرة الفزع التى كانت تسكن ملامحها وأمسكت بكتف منى التى كانت فتحت لتوها باب الفيلا وأوشكت أن تقول ما أمرتها به وابتعدت منى لتجد سميحة نفسها تقف أمام ماجد وسيد خلفه ورأت سميحة عيني سيد تأكلها وتحاول أن تتسلل إلى داخل صدرها وأطبقت على صدر قميصها بكفها الأبيض الجميل واختبأت خلف الباب وهى تقول:

اتفضل يا ماجد..

ودخل ماجد ليقف أمامها بعد أن أغلقت خلفه الباب فى هدوء ثم قالت فى صوت مرتعش:

منى.. أعملى كبايتين عصير برتقان.. ولا أقولك اطلعى فوق خليكى جنب أمل أحسن تصحى..

صعدت منى وهى لا تصدق أن سميحة تقف حافية ونصف عارية أمام هذا الشاب الجميل.

وأشارت سميحة بيدها إلى ماجد ليجلس على أحد مقاعد



الريسبشن واختار ماجد أن يجلس على كنبة «اسبانيولى» من اللون الوردى الغامق وعلى كل ركن فيها كان هناك قماقم من النحاس المشغول.. ان بيت سميحة أنيق رغم أنه ليس كبيراً كبيتهم، وقال فى هدوء:

أنا جى عشان أقولك حمدا لله على السلامة..

وابتسمت سميحة فى مرارة وهى تنظر إلى قدميها البيضاء الصغيرة الحافية ثم قالت:

اشمعنى؟!

ورفع ماجد عينيه الواسعتين فى حيرة كبيرة ثم قال:

موقف صعب بس ما قدرتش أقاوم رغبتى ولا كمان فرحتى.. اختى وكمان بقيت خال.

وقاطعته سميحة فى تهكم:

مانت عرفت إنى اختك من سنة.. اشمعنى ما عزيتش أختك فى أبوها وجيت تبارك.

وقاطعها ماجد فى ألم:

أبداً.. أنا ما عرفتش أنك اختى إلا من شهرين.. شهرين تقريباً ويمكن أقل.. ومن ساعتها وأنا محتار مش عارف أعمل إيه.. مامى رفضت تتكلم معايا فى أى تفاصيل بابى هو اللى قاللى إعمل اللى تحس إنك عايز تعمله..

وأنا حسيت إنى عايز آجى اشوفك واشوف البيبى..

ثم أطرق ماجد برأسه قليلاً ورفعه مجدداً ليقول:

ضايقتك؟!

ووقفت سميحة تنظر حولها ثم صاحت تنادى منى لتطلب منها



احضار شىء تضع قدميها فيه وروب تضعه على قميصها.. لم تشعر أبداً أنها تريد ستر جسدها أو قدميها ولكنها كانت تحاول الهرب من سؤال ماجد الذى لا تعرف له إجابة.. لماذا جاء ماجد رسلان.. لأنها أصبحت سميحة دياب المشهورة الجميلة التى يتحدث عنها الجميع.. لأنه لم يستطع أن يصل إليها يوماً كرفيقة فوجد إخوتهما باباً آخر.. وهزت سميحة رأسها فى عنف. ماجد ليس هكذا.. قلبها يخبرها أنه أكثر نقاء مما تحاول أن ترسمه له.

وعادت سميحة إلى مقعدها بعد أن وضعت قدميها الصغيرتين فى سابو من الساتان الأبيض وأدخلت ذراعيها فى الروب الذى منحتها إياه منى فى هدوء.. وجلست بعد أن اشعلت سيجارة وابتسمت وهى تذكر كلمات ماجد يوم قال لها: «أموت فى السجاير والستات اللى تشرب سجاير يا سميحة»، ورفعت رأسها فى ألم لتقول فى صدق:

مش عارفة.. مش عارفة يا ماجد.. ازاى ممكن الواحد يتعامل مع أخ أو أخت عواجيز زينا.. الإخوات لازم يتربوا ويكبروا سوا مش يتقابلوا وهما كبار ويقولوا احنا اخوات..

وقال ماجد كأنه يكاد يبكى:

أنا ما كنتش أعرف..

وكأن نار الحيرة وعذاب الذكريات اشتعلت فى رأس سميحة من جديد لتشعل شكوكها ورغبتها فى أن تؤلم نفسها وتؤلم زائرها فقالت:

بس أنا مش أختك الوحيدة..

وقال ماجد فى بساطة وحنان:

أيوة.. رباب.. عايز أشوفها هى فين؟!

واحتارت سميحة أكثر.. لكنها كانت تريد أن تثبت لنفسها أن ماجد



ما حضر إلا من أجل شهرتها وجمالها فوقفت تشير إليه بيدها قائلة:
اتفضل.. تعالَ معايا.

وتبعها ماجد فى هدوء وصعدت سميحة به درجات الفيلا ورأسها مازالت تتخبط فى أفكارها السوداء المشتتة ودون أن تطرق الباب فتحته كأنها أرادت أن تخيف رباب ليجن جنونها من رؤية ماجد ولترى هى على وجه ماجد الخوف من رباب فربما يهرب عندها ويخرج ناسياً إن إحداهما أختاً له..

ودخل الاثنان ليجدا رباب تجلس على سجادة الغرفة الكبيرة تلهو ببعض الأشياء التى وضعتها لها أم سعيد والتى وقفت بدورها تنظر فى حيرة كبيرة إلى سميحة وزائرها الغريب إلا أن سميحة قالت فى هدوء:

أم سعيد اللى ربتنى وربت رباب بعد أمنا ما سابتنا ومشيت.. سيبينا لوحدنا من فضلك دلوقت.

خرجت أم سعيد وابتلع ماجد كلمات سميحة ثم نظر إلى وجه رباب الجميل وابتسم قائلاً فى صفاء كبير:

دى أحلى منك يا سميحة.. أحلى منك تخيلى؟! قال أنا كنت فاكر إنك أحلى واحدة شفتها.

جلس ماجد إلى جوار رباب على الأرض فى هدوء ورفع كفه ليضعه على شعرها الأسود القصير وأخذ يربت على رأسها فى حنان واضح ورفعت رباب عينيها تنظر إليه.. لم تتراجع إلى الخلف.. لم تهمهم.. رأت رباب علاء ألف مرة وفى كل مرة تهمهم وفى أحيان كثيرة تطلق صيحات غضبها إن أطال الجلوس أمامها.. وها هى مع هذا الذى تراه لأول مرة لا تصدر صوتاً ولا تبدى خوفاً.. وقال ماجد وهو ينظر إليها:



أنا ماجد.. أنا أخوكى تصورى؟! احنا التلاتة اخوات..

كان صوته رقيقاً حانياً به ملامح دموع حنين يدق قلبه ولا يعرف له سبباً.. ملامح دموع تخرج من قلب حنان جارف يشعر به تجاه رباب.. سميحة ترسم القسوة على ملامحها، لكن رباب بدت فى عينيه كملاك صغير ومد يده يلتقط بعضاً من الألعاب الصغيرة يحاول أن يلهو بها مع رباب فى بساطة لا افتعال فيها.. فى حنان لا تنكره عين..

واستندت سميحة بظهرها على باب الغرفة ترقبهما وشعرت بقلبها يحنو عليهما معاً وتمنت لو تجلس إلى جوارهما وتلعب معهما وترتمى بين ذراعى ماجد.. ماجد طاهر رسلان!

ربما أخذ الحنان والنقاء من أبيه، نعم مازالت تذكر كيف كان أنكل طاهر يلاعبها وهى صغيرة بل كان دوماً يحمل رباب بين ذراعيه..

لم تقل يوماً إنها تذكر ولكنها لم تنس أبداً.. وبعد دقائق طويلة طرقت أم سعيد الباب لتسمعها سميحة تقول:

يا سميحة.. أمل صحيت وبتعيط..

ورفع ماجد عينيه ينظر إلى عيني سميحة التى كانت تتراقص فيها دموع وسمعها تقول:

تعالَ معايا شوف بنت أختك..

ودخلت سميحة غرفتها تلتقط أمل من يد منى فى لهفة وبعد خروجها من الغرفة أشارت بيدها إلى ماجد الذى كان مازال يقف على باب الغرفة قائلة:

أدخل يا ماجد.. أدخل واقفل الباب.. تعال جنبى هنا أنا حارضّع أمل..

ودخل ماجد فى تردد وجلس حيث أشارت له سميحة ورآها تحمل



أمل الصغيرة على ذراعيها وتمنى لو يأخذها منها لكنها كانت تفتح شفتيها الصغيرتين وتبكى فى صوتها الضعيف.. ولم تتردد سميحة لحظت فتحت قميصها وأخرجت صدرها الأبيض المستدير ومنحته لأمل دون خجل.. دون ضيق أوحرج.. منذ ولدت أمل منذ أسبوعين لم ترضعها سميحة أمام أحد أبداً، ولكن ماجد أخوها ورفعت عينيها تنظر إليه وهو يدير وجهه بعيداً حتى لا يرى صدرها العارى وسقطت دموعها.. انها تشعر أنها تحبه.. تحبه كما تحب رباب وكما تحب منصور دياب..

كانت دموعها تسقط فى سكون ولم يرفع ماجد عينيه ليرى دموعها حتى سمعها تقول:

هى مش جعانة قوى.. أنا رضّعتها قبل أنت ما تيجى خد يا ماجد حطّها فى سريرها..

ورفع ماجد عينيه ليرى سميحة تعود بصدرها إلى داخل قميصها بإحدى يديها وبذراعها الأخرى تمد أمل إليه فقال فى تردد:

إزاى.. أخاف.. ممكن يعنى؟!

وابتسمت سميحة ونهضت عن فراشها لتضع أمل بين ذراعيه ورأته يقبّلها فى فرحة صادقة وسار إلى جوار سميحة نحو سرير الصغيرة ثم استدار يقول وهو يضع يده فى جيبه قائلاً:

أنا سألت بابا أجيب إيه هدية.. قاللى أنت اللى تفكر وتقرر.. لما عرفت إنها بنت جبتلها حلق.

وفتحت سميحة العلبة الحمراء الصغيرة لتجد فيها قرطين من الماس كل قرط فيهما سولتيره لا تقل عن قيراط، وأغلقت العلبة ونظرت إليه فى حنان وبكت.. لم تقاوم دمعها أبداً بل تركته كما تتركه مع رباب،



وعادت تنظر إلى عينى ماجد ثم مدت ذراعها تشده إلى صدرها وضمته فى حب ثم قالت من بين دموعها:

ربنا يخليك يا حبيبى!!

وشعر ماجد انها حائرة تائهة تنتفض بين ذراعيه فضمّها بكل ما استطاع من قوة وقال:

سميحة.. لو ماما غلطت لو حتى بابا كمان غلط ما تدفعنيش تمن غلطتهم.. ماقدرش يبقى عندى اخوات وأبعد.. أنا ماليش ذنب..

والتصقت به سميحة أكثر وقالت بصوتها الباكى:

عندك حق.. عندك حق يا ماجد.. أبشع شىء فى الدنيا إن الناس تحاسبك على ذنب مش ذنبك.. أصعب شىء فى الدنيا إن الناس تعاقبك على غلطة مالكش فيها يد ولا حيلة..

احنا كمان محتاجينلك يا ماجد.. قوى.. صدقنى!

■ ■ ■



فتحت جميلة الباب على عزيزة لتجدها مازالت نائمة فى سريرها وتقدمت لتجلس إلى جوارها على حافة فراشها.. يجب أن توقظها وتتحدث معها قبل عودة سماح إلى المنزل.. عزيزة لم تعد تعطيها الكثير فى الفترة الأخيرة.. عزيزة لا تعطيها سوى سبعمائة جنيه فقط كل شهر وتخبرها أنها لا تملك شيئاً آخر سوى الثلاثمائة جنيه التى تستبقيها من الألف جنيه التى يعطيها إياها الحاج محروس شهرياً..

فى بداية زواجها من الحاج محروس كانت عزيزة تمنحها بضعة آلاف كل فترة ولكن منذ خمسة شهور تقريباً لا تمنحها شيئاً آخر.. جميلة لا تصدق عزيزة أبداً.. لابد أن عزيزة تدخر مبالغ كبيرة من أجل سعيد.. ولكن هى لن تسمح لها أبداً بهذا.. لن تتركها تدخر من أجل سعيد وهى وحدها صاحبة الفكرة.. هى وحدها صاحبة الفضل، أليست هى من أقنعت عزيزة بالزواج منه.. أليست هى التى تتستر عليها وتحميها أمام حسين.. أليست هى من تتحمل أعباء المنزل وحدها فى الوقت الذى تنام فيه عزيزة بين ذراعى الحاج محروس.. عزيزة لن تخدعها أبداً..

ومدت يدها تهز جسد عزيزة وصاحت:

اصحى يابت بقالك عشر ساعات نايمة.. اصحى عايزة اتكلم معاكى قبل أبوكى مايبجى.

وفتحت عزيزة عينيها ونظرت إلى جميلة وهى تقول:

فيه إيه بس حرام عليكى..

وبينما كانت عزيزة تعتدل فى فراشها كانت جميلة تقول:

عملتيلى إيه فى الخمسة آلاف جنيه اللى قولتلك عليهم ياعزيزة؟!

ولطمت عزيزة وجهها بكفيها وقالت فى صوت متحشرج:

حرام عليكى.. اجيبهم ازاى بس؟!

الراجل خلاص ابتدي يزهق منى.. انتى مش شايفة انا بقيت ببات هنا كام يوم.. خلاص مابقتش جديدة.. دا بقاله سنة بياكل فى لحمى.. قرف.. أقوله خمسة آلاف جنيه ازاى بس.. دا لولا أنو فاهم انى قايلة قبضيتى ألف جنيه من المستشفى والله ما كان يديهوملى..

وقاطعتها جميلة فى غضب وهى تشير إلى الحقائب الموضوعة فوق دولاب عزيزة:

أمال الشنط اللى أنتى عمّالة تستّفيها هدوم وقمصان حرير ودانتيلا دول منين؟!

وقالت عزيزة:

هو اللى بيشتريهم.

لكن جميلة امسكت بذراعها ثم قالت:

يابت لو هو اللى بيشتريهم كان سألك عليهم.. كان قالك ليه مش بتلبسيهم.. دا انتى مقفلة شنطتين قمصان نوم وأرواب وملايات وفوط بالستان لحبيب القلب.. ما تصيعيش علىّ يا عزيزة.. تطلعى تنزلى عايزة خمسة آلاف جنيه والا والله حاهد الدنيا على دماغك..

وصاحت عزيزة وهى تبكى:

بقولك قرف منى.. عايزانى أقولك إيه.. أقولك أنه حتى ما بقاش..

ونهضت جميلة من فراش عزيزة وهى تقاطعها قائلة:

قرف منك سيبيه وشوفى غيره.

فتحت عزيزة شفتيها فى ذهول كأن صاعقة كبرى لطمت كيانها لتقول فى صوت خفيض:

أشوف غيره؟! هو أنا خلاص بقيت..

وصاحت جميلة:

أيوه خلاص.. بقالك سنة معاه.. قرف شوفى غيره.. كفاية خدتى من دا الشقة سيبيه وشوفى واحد تانى السنة اللى فاضلة على ما يرجعلك حبيب القلب اللى انتى حتتوكسى معاه.

وبنفس الصوت الخفيض والعين الزائغة قالت عزيزة بصوتها المذبوح:

هو أنا خلاص بقيت من راجل لراجل وبعدين فكرك الحاج محروس حيسبلى شقة تمنها النهاردة يجى نص مليون جنيه كدا ببساطة.

ومن على باب غرفة عزيزة ضحكت جميلة لتقول:

آه يسيبها يابت.. انتى ناسية الورقة اللى كتبها لك.. والله لو بس قلتيله إنك حتوريها للحاجة نعيمة مراته ليكون مديكى ربع مليون تانى.. دى تجيبه من قفاه.. انتى ناسية نعيمة دى أصلها إيه.. أنتِ لاقى واحد تانى بس وسيبيلى الحاج محروس.. أنا أتفاهم معاه ساعتها.. بس الأول خمسة آلاف جنيه.

ولم تهتم جميلة بقطرات الدموع التى سقطت على وجنة عزيزة لم تسمع حتى صوتها المذبوح ولم تر وجهها الذى هربت منه الدماء.. إن جميلة تفهم الحياة كما لا تفهمها هذه الغبية الصغيرة.. إن كان القدر كتب عليها أن تحيا مع الأسطى حسين الذى تفوح منه رائحة البويا والتنر الكريهة فعلى الأقل يجب على عزيزة أن تدفع لها ثمن أعوام عمرها التى أضاعتها مع أبيها الأحمق وفرشاته الغبية..

وخرجت جميلة لتصفق خلفها الباب فى عنف انتفضت له كل قطعة فى جسد عزيزة.. انتفضت لتعود من ذهولها وتنظر إلى أعلى دولاب ملابسها حيث الحقيبتين.. فتحتهما جميلة إذن.. إنها تعرف كل ما

بداخلهما.. ظنت عزيزة أن جميلة لن تستطيع فتح هذه الأقفال الصغيرة ولكن جميلة لا يقف فى طريقها شىء.

وهزت كتفيها.. هى أيضاً لن يقف فى طريقها شىء.. بقى عام وربما أقل على انتهاء عقد سعيد.. عام واحد وتنسى الحاج محروس وتنسى جميلة إلى الأبد.. فى هذا العام سينتهى الحاج محروس من تسديد أقساط السيارة التى اشتراها لها منذ شهور.. فى هذا العام ستجيد هى تعلم قيادة السيارات وستبقى سيارتها الهيونداى الجديدة تحت غطائها بمدينة الشيخ زايد.. لن تحضرها إلى شبرا أبداً.. ستحتفظ بها حتى عودة سعيد.. لقد حسبت عزيزة كل شىء جيداً.. قبل عودة سعيد بشهرين سيكون الحاج محروس قد انتهى من تسديد القسط الأخير.. وقبل أن يعود سعيد بشهر واحد ستطلب منه الطلاق ستهدده بالورقة التى بين يديها.. لن يصمد.. تعلم أنه لن يصمد، إنه يرتعد من زوجته الحاجة نعيمة.. إن أخوة نعيمة لهم شأن كبير.. أحدهم تاجر مخدرات والآخر من أكبر الجزارين.. هم سبب ثرائه.. محروس كان عاملاً لدى شقيق نعيمة الأكبر والذى يمتلك أحد أكبر مصانع الدرفلة فى قليوب.. هى تعلم أنه يفضل أن يبيع ملابسه ولا أن تعلم نعيمة أو أحد إخوتها بأنه أنفق كل هذه المبالغ على عزيزة العاملة الصغيرة فى مكتبته بخلوصى..

كل شىء محسوب.. كل شىء يسير وفق ما رتبت له عزيزة.. قبل عودة سعيد بشهر واحد ستترك الحاج محروس وتتطهر ويتطهر جسدها من آثار أصابعه السوداء القذرة.. ستعود عذراء وتتزوج سعيد وتنسى هذه الأعوام السوداء.. كأنها كانت تقضى عقوبة فى سجن له سجان يغتصبها كل يوم.. سيأتى اليوم الذى تتحرر فيه من الرقص



عارية على فراش الحاج محروس.. سيأتى يوم تتحرر فيه من سجائر الحشيش والبانجو التى يضعها بين أصابعها والتى تلتهم هى دخانها لتستطيع أن تحتمل جسده وهو ينهش لحمها البض الجميل.

يارب فليمض هذا العام كما مضى ذاك العام.. يارب أنت تغفر وستغفر لها..عندما ترى طهارتها ونقائها مع سعيد ستغفر لها.. جميلة لم تستطع أن تغفر لابنتها ضعفها وفقرها وحبها لسعيد.. ولكن أنت.. أنت تغفر الذنوب جميعاً..

وحدك ستغفر وتبارك حبها هى وسعيد!!

■ ■ ■

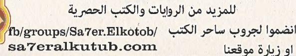


ابتسم سيد ابتسامته الصفراء التى لا تحبها سميحة ولكن تبتلعها إكراماً لأمه.. إن ابتسامته الكريهة تقطر رائحة أكبر فى يوم الأحد من كل أسبوع.. إنه اليوم الذى تلتقى فيه بأحمد زهدى وماجد فى مكتبها بقناة دريم.. هى وأحمد يشاهدان تسجيل حلقة الجمعة ويناقشان كل ما كتب حولها ويدونان ملاحظاتهما حولها وما يجب أن يتلافياه فى الحلقات القادمة..

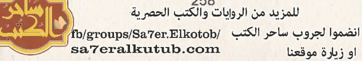
فى يوم الأحد من كل أسبوع وبعد ولادة أمل منذ سبعة شهور وماجد رسلان ينضم إليهما فى التاسعة مساء ويبقى الثلاثة معاً يتحادثون فى كل شىء وأى شىء.. عشق ماجد زهدى وأحمد عشقه أيضاً، وحده سيد يقطر كراهية كلما رأى ماجد يودع سميحة كل أحد ويقبّلها على باب سيارتها لينطلق بعدها مرتاداً سيارته البورش كيان الحمراء بعد عناق طويل مع زهدى هو الآخر.. لقد سألها سيد مرة فى تخابث عن ماجد وسألها إن كان هو من جاء إلى الفيلا فى أول يوم حضر فيه سيد إلى الإقامة معهم.

سميحة قالت له فى اقتضاب وحدّة كبيرة.. إنه ليس من شأنه أبداً أن يسأل عن هوية زوارها وأيضاً حذرته فى وضوح من إخبار علاء بزائرها أو عن لقائها الأسبوعى به.. بل هو أيضاً يلقى ماجد دوماً عند ذهاب سميحة إلى طبيبة الأطفال بابنتها الصغيرة وأيضاً يرى أحمد زهدى هناك.. يأكله الغيظ عندما يرى ماجد أو أحمد زهدى يحملانها بين ذراعيهما كل مرة وسميحة ينير وجهها بابتسامات كبيرة كلما أوصلاها إلى سيارتها لتأخذها من على ذراعى أحدهما.. لتقبل ماجد وتلوح لزهدى وتمضى إلى البيت فى سكون.

فقط لو يعلم سيد كيف يلتقط لسميحة صوراً وهى بين ذراعى هذا



الشاب الأصغر منها بأعوام عديدة.. ولكن لم تقبّله سميحة ولا تقبّل أحمد زهدى.. هناك سر ما سيعلمه سيد.. يوماً سيعلمه وسيساوم سميحة عليه.. يساوم سميحة؟! هل يستطيع.. لقد أصبحت سميحة أشهر من رئيس الوزراء.. فى كل إشارة مرور يقف بها.. فى كل شارع تمشى فيه يرى الناس تبتسم لها وتداعب ابنتها الصغيرة.. سميحة ستسحقه إن ساومها ولكن سيد أذكى منها.. قد يلعب بورقة هذا الماجد الماجن مع علاء فى الوقت المناسب.. سيلعبها ويكسب.. يجب أن يكسب.. فقط لو تساعده أمه لكنها حمقاء.. لقد سألها عن ماجد حيث نهرته وانهالت على رأسه بأقذع الألفاظ.. تتستر عليها أم سعيد.. كل النساء يتسترن على بعضهن حتى إن كن فى سن أم سعيد.. بل حتى منى.. منى حاول سيد معها كثيراً بعد أن أخبرته أن ماجد دخل غرفة نوم سميحة فى ذلك اليوم وأغلق خلفهما الباب.. لقد طلب منها سيد أن تسرق له محمول سميحة وهى نائمة.. سيد يشعر أنه سيجد رسائل عشق وغرام على محمولها.. ولكن منى رفضت لأنها تخاف سميحة أو تحبها كما تزعم.. سيد لن يفقد الأمل.. سيد يريد نقوداً كثيرة.. الألف جنيه لا تكفيه.. سميحة تمنحه يومين أجازة كل أسبوع.. فى اليومين يحتاج إلى أكثر من ألف جنيه.. الحشيش أصبح أغلى.. البانجو أصبح أغلى.. أجساد الساقطات أصبحت أغلى هو لا يجرؤ على طلب زيادة.. هو يعلم أنها لاتحبه وأنها تستبقيه فقط إكراماً لأمه.. حتى علاء لطفى لا يحبه ويعامله بتعال وغرور لا حدود له.. لم يبع له سراً من أسرار سميحة بل دوماً يقسم له أن سميحة أشرف وأطهر نساء الأرض.. سر سميحة الكبير من حقه وحده.. هو مشروع عمره الذى يجب ألا يضيع..



وانتفض جسد سيد وهو يسمع سميحة ترفع صوتها قائلة:

إيه يا سيد مالك.. قلتلك اركن هنا..

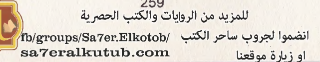
وركن سيد وهو يعتذر وهبطت سميحة فى هدوء قائلة:

روح يا سيد هات الطلبات اللى فى الورقة من فضلك.. انت عارف أنا النهاردة حاخلص على اتناشر زى كل يوم حد..

ودخلت سميحة إلى استديوهات دريم وأخذ سيد يرقبها فى غيظ كبير.. سبعة شهور تقريباً وهو يحاول أن يعلم كيف ينفذ خططه.. سبعة شهور وهو يحاول أن يعلم كيف يحكم حصاره على سميحة ولكنه مازال لا يعلم وأيضاً لن يفقد الأمل أبداً.. وأخرج من جيبه سيجارة يدخنها وهو يتوجه إلى حيث أمرته سميحة بالذهاب لشراء مستلزمات البيت ومستلزمات أمل..

وابتسم سيد فى غيظ.. يوماً سيتوقف عن شراء «البامبرز» لأمل.. يوماً سيتوقف عن الركض خلفها بحقيبة أوراقها.. يوماً سيراها كسيرة تنتفض أمامه ذلاً وخوفاً.. بل إنه يحلم أن يراها عارية كما رأى صدرها العارى يوم فتحت بابها لماجد.. يوماً سيفعل بسميحة كل ما يريد.. غداً سيذهب هو وأمه إلى شبرا فى اجازة منحتها لهما سميحة لإصلاح «ماسورة المجارى» التى أغرقت حفرتهم.. فى هذين اليومين سينتزع من أمه الاعترافات التى يريدها.. لن يعود إلى بيت سميحة إلا وهو يعلم كل ما يريد معرفته.. لقد سأم العمل معها.. سأم هذا الوضع.. إنه يريد وضعاً آخر جديد.. وضع يتبادل فيه الأدوار مع سميحة هذه المغرورة الساقطة التى ترسم الطهارة على وجهها الجميل!!

■■■



صاح أحمد زهدى وهو ينظر إلى ساعة يده قائلاً:

إيه اللى أخرك يا ماجد الساعة بقت عشرة، وتقدم ماجد نحو سميحة وهى تجلس خلف مكتبها لينحنى ويقبلها على رأسها فى حنان ثم عاد إلى أحمد يحتضنه قائلاً:

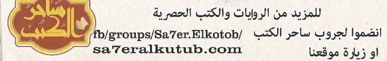
كل مرة آجى من تمانية وأقعد اسمع واتفرج على البرنامج معاكم.. زهقت.. قلت آجى فى النص الحلو.. النص الأخير.. اخبارك إيه يا سميحة..

وابتسمت سميحة قائلة:

الحمد لله يا حبيبى.. أخبار الجامعة إيه؟!

وأخذهم الحديث الأسبوعى.. الثلاثة يتحادثون فى كل شىء وعن كل شىء.. إلا أن ماجد وسميحة لا يتحادثان أبداً عن نوال.. ونوال لم تحاول يوماً أن تفتح معه قصة سميحة بعد ذاك اليوم الذى أخبره فيه طاهر عن حقيقة صلته بها.. بل أن حتى نوال لم تعد تشاهد برنامج سميحة مع طاهر.. ولكن هو يعلم أنها تشاهده كل أسبوع فى غرفتها وحدها بعد أن تغلق خلفها الباب.. طاهر أخبره أنه هو الآخر لن يتحدث معها فى هذا الموضوع مرة أخرى.. طاهر أرسل باقة زهر كبيرة إلى سميحة بعد ولادتها وهى حادثته لتشكره فى صدق ودفء ولكن أيضاً فى تحفظ كبير.. ما يؤرق ماجد شىء واحد فقط.. سميحة لم تكن تعلم بعلاقة العمل التى تربط طاهر رسلان بعلاء لطفى.. لقد أخبرها بها وكان يظن أنها تعلم.. لكن سميحة أخبرته أن عمل علاء ومقاولاته الهندسية أمر يخصه وحده.. مادام لم يخبرها فهى أيضاً لن تسأله أبداً.

كانت سميحة مازالت مشغولة بالحديث مع زهدى عن ضيف



حلقتهما القادمة وكان ماجد ينظر إليها فى حيرة كبرى.. بقدر ما يحبها بقدر ما يشعر أحياناً أنه لا يفهمها.. عيناها تقول إنها تحب أحمد زهدى وعين أحمد تصرخ بحبها بوضوح كبير.. لمَ لم تتزوجه؟! إن ماجد يحب أحمد أكثر مما يحب علاء بآلاف المرات.. لقد سألها مرة ولم تنكر وقالت له وظلال دمعة تلوح فى عينيها إنها قصة كبيرة قد تخبره بها يوماً.. ماجد يريد أن يعرف قصص سميحة جميعها الكبيرة والصغيرة ولكن رغم حب سميحة له والذى يثق فيه ماجد إلا أنها حتى معه تضع خيوطاً وحواجز حول مناطق معينة فى صدرها وقلبها.. لكن هو يعطيها العذر.. عانت سميحة أعواماً طويلة.. طفولة سميحة كانت بائسة.. يكفى أنها كانت بلا أم ويكفى أنها كانت وحدها مع رباب فى نفس الوقت الذى كان هو يتدفأ بصدر نوال وحبها.. سبعة شهور ليست كافية لتنسى سميحة أن ماجد بشكل أو بآخر كان سبباً فى حرمانها من نوال..

لكن سميحة أخبرته أنها تدرك أنه لا ذنب له فى أخطاء نوال أو دياب.. سميحة تحبه وهو يحبها.. هذا الحب سيجعله يدخل مناطق سميحة البعيدة كلها ذات يوم..

وأفاق ماجد على صوت سميحة وهى تقول فى لهفة:

إيه يا حبيبى مالك؟! انت مش معانا خالص..

ابتسم ماجد وهو ينظر فى لهفة إلى وجهها الجميل ليقول:

مولى وحشتنى قوى.. عايز أشوفها..

وصاح زهدى:

والله وأنا كمان..

وعادت سميحة بظهرها على مقعدها لتقول:

إحنا عندنا ميعاد مع الدكتورة عفاف يوم الأربع.. تعالوا وشوفوها..
لكن ماجد قام عن مقعده واتجه إلى سميحة قائلاً:
طب ورباب يا سميحة.. بقالى كتير عايز أشوفها هاتيها وهاتى مولى ونروح النادى كلنا يوم الجمعة..
وبعد لحظات صمت قالت سميحة:
النادى صعب.. الناس حتتلم حوالينا يا ماجد.. بص علاء مسافر الأسبوع الجاى رايح شارم ابقى تعالى البيت..
وقال ماجد فى مرارة:
أقابل اخواتى لما جوزك يسافر..
ونهضت سميحة عن مكتبها لتخطو نحو ماجد والتقطها أحمد بعينيه تستند على حافة مكتبها كأنها كادت تقع فنهض عن مقعده وهو يسأل:
مالك مالك يا سميحة؟!
وأسرع ماجد إليها ليحتضنها فى لهفة ويجلسها على الكنبة الموجودة فى مكتبها ويجلس إلى جوارها وهو يربت على شعرها فى حنان وبعد لحظات ابتسمت سميحة وهى تقول:
إيه؟ ما تخافوش.. دوخة بسيطة.. أنا أصلى حامل..



صاحت أم سعيد فى غيظ مكتوم:

يللا يا سيد حنتأخر.. أنا عايزة أرجع آخر النهار..

وأطفأ سيد سيجارته لينظر إليها قائلاً فى سخرية كبيرة:

هى مش الهانم قالتلك يومين.

وانحنت أم سعيد لتلتقط ملابسه من أرض غرفته بحديقة الفيلا ثم قالت:

هى تقول.. لكن دى بكرة عندها شغل.. منى مع أمل ومين يبقى مع رباب.. احنا حنشوف إيه اللى حصل فى الشقة وانت ممكن تكمل الشغل بكرة وترجع بالليل ولا حتى بعد بكرة الصبح.. هى ممكن تسوق لنفسها لكن مش ممكن تقطع نفسها بين بنتها واختها وشغلها.

وخطت أم سعيد إلى خارج الغرفة يتبعها سيد ليجدا رباب وسميحة ومنى تحمل أمل بين ذراعيها فى حديقة الڤيلا بجوار حمام السباحة ونهضت سميحة لتقبل أم سعيد وتقول لها:

عايزة فلوس.. خد يا سيد العربية الكورسا..

لكن أم سعيد صاحت فى فزع:

لأ.. العربية لأ.. أنا راجعة آخر النهار حاخد تاكسى من عند الهايير ياست سميحة.. سيد حيرجع بكرة.

وطأطأت سميحة رأسها.. هى تعلم أن أم سعيد لا تثق فى سيد.. هى أيضاً لا تثق به ولكن هناك أشخاصاً يجب أن نحيا معهم وإن كنا لا نثق فيهم..

وما أن خرج الاثنان واطمأنت سميحة إلى ابتعادهم حتى خلعت ثوبها القطنى الخفيف وقفزت فى هدوء إلى حمام السباحة الصغير وهى تقول:



لبسى مولى الكتافات والعوامة وهاتيها يا منى.. أنا عايزاها تتعود على المية والسباحة من دلوقتى.. وانطلقت سميحة تعوم فى هدوء. تعشق الماء وتتمنى أن تعشقه مولى الصغيرة.. تلوم نفسها كثيراً لأنها تتوق إلى السباحة ولا تمارسها ولكن هى اعتادت الشوق إلى اشياء كثيرة ورغم هذا تبقى عنها بعيدة وإن كانت بين يديها.. هى أيضا تكره أن تنزل إلى البيسين وسيد فى البيت.. إنها لا تحبه ولا تحب نظراته ولكن من أجل أم سعيد تحتمل.. والتقطت سميحة مولى الصغيرة وأخذت تسبح بها ورباب تجلس على حافة حمام السباحة فى هدوء.. رباب تعشق مولى ومولى أيضا اعتادتها واعتادت الجلوس معها.. وبعد ما يقارب النصف ساعة خرج علاء من داخل الڤيلا لتصيح سميحة قائلة:

تعال يا علاء انزل معانا..

كان علاء قد رآها من نافذة الغرفة وارتدى المايوه فهبط اليهما يحمل عنها أمل ويداعبها ثم قال لسميحة:

ما بلاش سباحة فى أول الحمل يا سميحة..

إلا أنها قالت:

ما يجراش حاجة يا علاء ما تخافش..

وارتبكت رباب حين رأت علاء يحمل أمل بين يديه.. يثيرها أن يحمل أمل.. يثيرها أن يداعب سميحة.. وبدأت تهمهم ونظر إليها علاء فى غيظ وشعرت سميحة بما يدور فخرجت من حمام السباحة لتأخذ من يد منى البرنس الذى حملته إليها وقالت:

يللا يارباب. يللا يا حبيبتى عشان اغديكى..

وصاحت أمل كأنها تنادى سميحة إلا أنها التفتت تقول وهى تحتضن



رباب فى طريقها إلى الداخل:

بابى معاكى يا مولى..خليكوا يا علاء لغاية ما اخلص..

وصعدت سميحة غرفتها وجلست رباب على فراش سميحة ووقفت سميحة تخلع البرنس والمايوه أمام رباب ثم قالت:

حآ آخد دش وأغديكى..

وقبل أن تدخل إلى حمام غرفتها عادت سميحة بجسدها العارى لتجلس على ركبتيها تحت قدمى رباب ورفعت عينيها لتنظر فى عينى رباب كأنها تتمنى لو تعلم لماذا تكره علاء إلى هذا الحد وقبل أن تسألها قررت ألا تفعل وابتسمت فى حزن ثم مدت كفها لتأخذ كف رباب وتضعه على بطنها العارية ثم قالت:

عارفة؟! هنا فى بيبى.. المرة دى إن شاء الله حيبقى منصور.. منصور يارباب.. منصور.

وانتفضت رباب لتنظر حولها ثم همهمت بحروفها المتقطعة:

با.. با.. با... با.

وضمتها سميحة وهى تنهض عن الأرض:

أيوة.. نفسى نقول منصور تانى.. قولى معايا يارب..



جلست أم سعيد إلى جوار نافذة الميكروباص المتجه إلى مدينة الشيخ زايد فى رحلة عودتها إلى سميحة.. لقد أوسعها سيد لوماً طوال النهار.. لماذا رفضت أن يحضرها بسيارة سميحة الصغيرة.. لماذا رفضت أن تأخذ منها نقوداً إضافية لإصلاح المجارى التى أغلقت حفرتهم وأغرقتها..

سيد.. لا فائدة.. لقد أخبرها أن إصلاح ماسورة المجارى سيتكلف ستمائة جنيه.. لقد مرت على الأسطى محمد السباك فى طريق عودتها وأخبرها أنه طلب من سيد مائتى وخمسين جنيهاً فقط.. سيد يريد أن يسرقها.. كان من المفترض أن يدفع هو ثمن الاصلاحات وحده.. أين يذهب بالألف جنيه التى يأخذها كل شهر.. جيوبه دائماً خاوية.. لا شىء فيها سوى بقايا الحشيش والبانجو.. حتى فى غرفته بڤيلا سميحة يدخن الحشيش.. لهذا منعت منى من تنظيف غرفته.. وحدها تهبط إليها كل مساء لتخفى آثار سجائره المسمومة.

عندما يعود سعيد يجب أن يجد لها معه حلاً.. وإن لم يفعل سترحل وتتركه.. بل ستأخذه للعمل عند سميحة إن لم يبق معه نقود لمشروع بعد شرائه لشقة وزواجه من عزيزة.. عزيزة أصبح دخلها كبيراً.. ستتعاون معه وستحتمله.. وأغمضت عينيها وهى تتهد داعية الله أن تمر الشهور وتنقضى ويحضر سعيد.. متى تكتحل عيناها برؤيته.. وفتحت أم سعيد عينيها لتنظر أمامها.. إن المحور يسير بسرعة بطيئة جداً.. بل أنه لا يسير.. كل السيارات فى مكانها لا تتحرك وسمعت صوت فتاة من خلفها تقول لصديقتها:

بصى.. الراجل اللى على يمينك بيعمل إيه للى معاه..

ودون تفكير التفتت أم سّعيد إلى يمينها تنظر من نافذة الميكروباص

العالية لتجد يد رجل تمتد إلى فخذى المرأة التى تجلس إلى جواره.. كان يضع كفه بين فخذيها وهى تدفع كفه مرات عديدة ورفعت عينيها تنظر إلى وجه الرجل الغبى لكنها رأت وجه الفتاة وهى تلتفت إليه كأنها تصيح بكلمات لا تسمعها ثم رأته يصفعها على وجهها فى قسوة وصاحت الفتاة التى تجلس خلفها من جديد قائلة:

دا بيضربها.

وصرخت أم سعيد صرخة مكتومة وعادت تحدق فى الزجاج من جديد..

نكست الفتاة رأسها وعاد العجوز يضع كفه حيث كان يضعها دون أن يبالى بشىء.. وعادت أم سعيد تصدر صرخة أكثر لوعة وألماً.. لم يؤلمها ما فعله الرجل.. لم يؤلمها حتى الصفعة التى هوى بها على وجه الفتاة..

ما ذبح أم سعيد ومزق عروقها أن الفتاة كانت عزيزة.. عزيزة حبيبة وخطيبة سعيد..

واستندت أم سعيد بكفها على المقعد المقابل لها.. كانت تهم بالوقوف.. ستخرج من الميكروباص.. ستذهب إلى السيارة التى بها عزيزة.. ستنقذها من هذا الكلب الذى يريد نهش لحمها والذى صفعها حين رفضت عزيزة الاستسلام له.. وما أن همت بالقيام حتى جلست مرة أخرى واستدارت تنظر إلى وجه الذئب من جديد.. إنها تعرفه.. نعم تعرفه.. إنه.. إنه الحاج محروس صاحب المكتبة التى كانت تعمل بها عزيزة..

وغرقت أم سعيد فى حيرتها.. إلى أين تذهب معه عزيزة فى هذا الوقت، أليس هذا هو موعد ذهابها إلى المستشفى.. ألا تقول أن



المستشفى فى مصر الجديدة.. إلى أين تذهب عزيزة معه فى التاسعة مساء.. إن المحور لا يقود إلا إلى مدينة أكتوبر.. أين تذهب معه؟! وكيف تتركه يفعل بها هذا؟!

لأى سبب كان .. كانت ترفض.. ولهذا صفعها.. لماذا لم تفتح باب السيارة وتخرج إذن؟! إن السيارات كلها واقفة لا تتحرك.. لماذا لم تبصق عزيزة فى وجهه وتخرج.. بل لماذا تركته يعبث بكفه بين ساقيها..

وألقت أم سعيد برأسها بين كفيها وبكت.. بكت فى عنف وحزن على سعيد.. ضاعت منه عزيزة.. هل تحادثها.. هل تخبر سعيد.. أبداً يكفيه الغربة.. ولكن سعيد مازال يحبها ومازال يحكى لها عن عزيزة كلما حادثها.. مازالت عزيزة تحادثه وتزورها وتخبرها عن أشواقها ورحلة انتظارها.

انها لا تفهم.. لا تفهم.. تكاد تجن.. ولكن أبداً لن تهبط إلى عزيزة.. أبداً لن تخبر سعيد. عندما يعود ستواجه عزيزة أمامه بما رأت.. عندما يعود ستحكى القصة أمام حسين وجميلة.. وفى حضور سعيد وعزيزة.. لن تحطم قلبه وهو وحده فى غربته.. لن تدعه يبكى وحده.. عندما يعود ستكون معه.. ستأخذه على صدرها وتجد له ألف فتاة أخرى.. ستجد له فتاة أطهر من عزيزة.. عزيزة خديعة عمرها وخديعة سعيد الغائب.



فتحت سميحة عينيها على مداعبة مولّى لها وهى مازالت فى سريرها.. وضمّتها إلى صدرها وهمست فى اذنيها:

كل سنة وانتى طيبة يا قمر.. إيه اللى صحاكى بدرى بس.

وأخذت مولى تقول:

بصى.. بيبى.. حلوة.

وضحكت سميحة رغم إرهاقها الشديد وتحسست أساور أمل الذهبية التى وضعتها هى فى يدها بالأمس فى حفل عيد مولدها الأول، لقد أهداها إياها أحمد زهدى.. عندما جاء حفل عيد ميلادها بالأمس ورقص بها طويلاً.. والتفتت سميحة تنظر إلى علاء النائم إلى جوارها.. لم يكن هناك أحد فى عيد ميلاد أمل سوى ممدوح أخوه وأصرت هى على دعوة زهدى هى تعلم كم يحب أمل وكم تحبه أمل وكم تحب سميحة حبه لها.. لقد أصبحت فى نهاية شهرها الخامس لكنها مرهقة هذه المرة.. دوماً تصاب بهذا الدوار العنيف.. لقد أخبرها طبيبها أن نسبة الهيموجلوبين فى دمها منخفضة ورغم أقراص الحديد التى تتناولها إلا أن الدوار يطاردها.. وصاحت سميحة فى ألم مكتوم:

مولى.. حاسبى يا حبيبتى بطنى.. فيه بيبى.. بيبى هنا جوا..

وصاحت أمل فى صوتها الرقيق:

بيبى.. بيبى.

ولم تحتمل سميحة فنهضت من سريرها تصحب أمل إلى خارج الغرفة وقالت لمنى الواقفة على باب الغرفة:

خدى أمل وانزلى الجنينة يا منى خليها تلعب تحت.. هى أم سعيد فين.



وأجابت منى وهى تحمل أمل على ذراعيها قائلة:

تحت فى الجنينة مع الست رباب.. يللا يا مولى ننزل عند رباب..

ومن خلف كتف منى لوحت مولى لسميحة قائلة:

باى.. باى.. باى..

وهبطت منى بأمل إلى حديقة البيت لتجد رباب تجلس على حافة حمام السباحة وأم سعيد ترقبها من بعيد وإلى جوارها سيد.. كان من الواضح أن مشادة تدور بينهما إلا أن أم سعيد صاحت حين رأت منى تقترب وقالت:

خدى بالك من رباب والنبى يا منى.. حاعمل كباية شاى.

دخلت أم سعيد وحدها لتعد كوب الشاى ثم استندت على نافذة غرفة سيد وبكت.. سيد يريد نقوداً ويهددها بأنه إن لم تعطه نقوداً سيتصل بسعيد أو يطلب من سميحة.. وهى تعلم أن سميحة أصبحت عصبية من ارهاقها ودوارها المتكرر.. حتى رباب لا تعلم ماذا أصابها، أصبحت هى الأخرى عصبية وعادت تحطم ما تقع عليه يداها وأم سعيد لا تجرؤ على اخبار سميحة بذلك.. يكفيها ارهاقها وعناء عملها وحملها.

وتنهدت أم سعيد.. أحمالها أصبحت ثقيلة وسيد وحده سيد أحمالها وهمومها واستدارت تنظر من نافذة الغرفة تنظر إلى رباب وهى تمسح دموعها ورأت سيد من خلف الزجاج يحمل أمل على ذراعيه ويهمس فى أذن منى ببضع كلمات توجهت بعدها إلى داخل الفيلا وأصابتها الدهشة وقبل أن تتخذ قرارها بالخروج إليه لتأخذ منه أمل رأته ينظر حوله واستندت أم سعيد بظهرها على حائط الغرفة حتى لا يراها سيد.. كانت تريد أن تعلم ماذا يريد أن يفعل واستدار سيد واستدارت



أم سعيد ترقبه فوجدته يضع أمل على أرض الحديقة وينحنى عليها.. لم تكن تفهم شيئاً.. وفى اللحظة التى فتحت فيها باب غرفة سيد سمعت أمل تصيح:

تاعتى.. تاعتى..

ورأت رباب تنهض فى جنون وهى تحمل فى يدها إحدى الصخور الصغيرة المتناثرة حول حمام السباحة وهى تركض فى خطواتها المتعثرة نحو أمل وسيد..

كانت أم سعيد أيضاً تركض نحوهم وهى لا تفهم شيئاً وكانت تصيح: رباب.. رباب فيه إيه يارباب..

ورأتها ترفع يدها بالحجر الذى بين اصابعها فى ذات اللحظة التى ابتعد فيها سيد عن أمل وسقطت رباب بالحجر الملون على رأس أمل لتنفجر منه دماء كثيرة جعلت كلاً من أم سعيد ورباب يفقدان صوابهما.. وركضت رباب نحو سيد تهممهم فى جنون وأم سعيد تصرخ بلا وعى وهى ترى أمل غارقة فى دمها.. وفى اللحظة التى رأت أم سعيد سيد يخفى شيئاً ما فى جيب بنطلونه ظهرت منى وخلفها سميحة ليريان أمل وهى تصيح ووجهها تغطيه دماء كثيفة.. وركضت سميحة نحو أمل تحملها بين ذراعيها وتتحسس رأسها بحثاً عن مصدر الدماء وسمعت سيد يصيح:

المجنونة.. المجنونة.. ضربت أمل بالحجر على رأسها.

وصاحت سميحة فى جنون وهى لا تعلم ماذا تفعل:

أنت بتقول إيه؟ بتقول إيه..

وركضت سميحة إلى داخل المنزل بخطواتها الثقيلة.. كانت أمل تصرخ على ذراعيها وهى تحاول تهدئتها.. كانت تحاول أن تستجمع



شتات رأسها فقالت وهى تركض على السلالم بعد أن وضعت أمل فى يد منى كأنها تخشى أن تسقط منها:

أنا حاصحى علاء.. قوللى للكلب اللى برا يحضر العربية بسرعة.

وركضت سميحة فيما استطاعت من قوة ودخلت غرفتها ونظرت إلى علاء الذى كان مازال نائماً وهى لا تعلم ماذا تفعل.. وفتحت دولابها وهى تصيح:

اصحى يا علاء.. أصحى.. أمل اتعورت ولازم نوديها المستشفى..

وفتح علاء عينيه فى ذهول ليجدها تخلع قميصها وتضع جسدها العارى فى فستان أبيض وكلاهما فى ذهول كبير..

قفز بعدها علاء من سريره ليهبط درجات السلم ويرى أمل بين ذراعى منى التى تحاول تهدئة صراخها وسيد يقف على باب البيت وما أن رأى علاء حتى صاح مشيراً إلى رباب فى ذعر كبير:

هى.. المجنونة دى.. ضربت أمل بالحجر على دماغها.. من غير سبب.. مجنونة.

وركض علاء إلى رباب ورفع كفه الغليظ ليهوى بها على وجه رباب فى جنون وصاح:

عايزة تقتليها.. عايزة تقتليها يا مجنونة يا بنت الكلب.

كانت سميحة فى تلك اللحظة على رأس سلالم البيت ورأت علاء وهو يهوى بكفه على وجه رباب ورأت رباب وهى تسقط عند قدميه وتسمرت قدما سميحة على أول درجات السلم.. لم تعد تستطيع أن تخطو خطوة واحدة.. لم تعد ترى أمل ولا تسمع صياحها.. لم تعد تسمع صرخات أم سعيد ولم ترها أبداً وهى تهوى بجسدها على رباب وتحاول النهوض بها.. لم تسمعها سميحة أبداً وهى تصيح قائلة:



حرام عليك يا علاء بيه.. رباب مالهاش ذنب.. مالهاش ذنب..

لم تسمعها سميحة.. لم تسمع شيئاً ابداً.. شيء واحد كان يدوى فى اذنيها.. كلمة واحدة كانت تغتال روحها.. «بنت الكلب».. ورفعت رأسها تحاول أن تمنع دموعها الكثيفة التى سقطت من عينيها.. رفعت رأسها تحاول أن ترى وجه الكلب الحقيقى لكنها لم تر وجه علاء.. كانت عروقها تصيح منصور ليس كلبا.. دياب كان أطهر رجال الأرض.. منصور ليس كلباً.. أبداً.. وحاولت أن ترفع قدميها لتخطو لتذهب إلى علاء وتلطمه ألف لطمة.. لكنها عندما رفعت قدماها شعرت أنها تهوى تهوى.. كان جسدها يرتطم بدرجات سلم الڤيلا واحدة تلو الأخرى.. لم تشعر بالألم.. كانت فقط تحاول أن ترفع ذراعيها لتلطم علاء.. وكانت ذراعها ترتطم بدرجات السلم.. كانت تتألم ولكن مازالت كلمة الكلب تؤلها أكثر.. ولم تسمع صيحات منى أو أم سعيد ولا شعرت بصرخات أمل التى رأتها وهى تهوى على سلالم البيت.. كانت سميحة مازالت فى وعيها عندما وصلت فى أقل من لحظات إلى آخر درجات سلم الفيلا الضيق.. كانت مازالت فى وعيها عندما وجدت نفسها هى الأخرى تحت أقدام علاء وحاولت أن تفتح عينيها وهو ينحنى محاولاً رفعها من على الأرض.. لكن شيئاً ما أقوى منها كان يمنعها أن ترفع يدها وتلطمه على وجهه كما فعل برباب.. شىء أقوى منها كان يمنعها أن تصرخ وتخبره أنه هو الكلب الوحيد على الأرض.. شىء أكبر وأقوى كان يمنعها من أن تنهض لتحمل أمل بين ذراعيها وتركض بها إلى المستشفى..

وسمعت صوت أم سعيد يقول من بعيد:

البنت بتنزف.. سميحة بتنزف ياعلاء بيه..



ولم تستطع سميحة المقاومة أكثر من هذا.. مازال هذا الشىء الكبير يمنعها من أن تنهض وترى دماءها هى الأخرى تسيل إلى جوار دماء ابنتها الصغيرة.. مازال هذا الشىء الكبير أقوى منها.. شىء يجعلها تغلق جفونها وتغيب.. تغيب بعيداً عن رباب وعن أمل وعن منصور الصغير النائم فى أحشائها.. عن كل من تحب.. شىء لا تستطيع الصمود أمامه.. شىء تعرفه جيداً.. شىء صاحبها وصاحبته زمناً.. شىء اسمه «الألم»!!

■■■



كانت منى تحمل أمل على ذراعيها.. عندما وضع علاء جسد سميحة على مقعد سيارته الخلفى وكان سيد يرقب ما يحدث وهو ينتفض ذعراً وانتفض جسده أكثر وهو يسمع علاء يصيح قائلاً وهو يدير محرك السيارة:

خد المجنونة اللى جوا دى ارميها فى مستشفى المجانين ورحمة أمى لو رجعت لقيتها فى البيت لاقتلها واقتلك..

وما أن انطلق علاء بسيارته وسمعت أم سعيد صرخة عجلات سيارته تبتعد حتى أطلقت رباب من بين ذراعيها حيث كانت مازالت تخبئها خوفاً من علاء.. عندما ابتعدت عنها تبعتها رباب إلى خارج الفيلا بخطوات أكثر ثقلاً وترنحاً من سابق عهدها، وما أن رأت سيد يقف وسط ذهوله على باب الفيلا الخارجى حتى علت أصوات همهماتها وصراخها.. كانت تلوح بكفيها الصغيرين كانت تتمنى الوصول إليه.. كانت تتمنى لو تستطيع أن تقتله.. كانت تصيح فى كلماتها وحروفها المتقطعة بحثاً عن أمل، ووقفت أم سعيد تنظر إليها ودموعها تهطل فى حزن شديد وسقطت رباب من جديد.. سقطت كأنها تغيب عن وعيها وكأن ما تراه أكبر بكثير من أن تحتمله أو تفهمه.. علاء حمل سميحة وأمل بعيداً عنها ليتركوها مع سيد. حتى أم سعيد تقف بعيداً تنظر إليها فى سكون كبير.. عندما رأت أم سعيد سيد يقترب لينحنى محاولاً رفع رباب صاحت:

أوعى تلمسها يا كلب.. أنا اللى حاشيلها..

لم تدعه أبداً يحملها ولم تستطع هى أيضاً حملها.. كل ما استطاعته أن تضع ذراعيها تحت ذراعى رباب وتقف بها وتخطو بها إلى داخل البيت.. رباب لم تكن فى وعيها ولكنها أيضاً لم تكن فى

اغماءة حقيقية.. رباب كانت فى صدمة كبرى اختارت بها ألا ترى ولا تسمع ولا تخطو ولا تهمهم.. وألقت بها أم سعيد على أول مقعد استطاعت الوصول إليه واعتدلت وهى تصيح من ألم ظهرها وركضت بألها إلى الخارج من جديد لتضع كفيها فى عنق سيد وتسحبه إلى داخل البيت وهى تصرخ صراخاً حاداً كاد يمزق قلب سيد رغم قسوته، وما أن أغلقت خلفه الباب حتى استدارت تصفعه فى جنون.. كانت تبكى وتصيح وتدعو وتنتحب وكان سيد مستسلماً لها فى انكسار كبير، وعندما أرهقها ذراعها توقفت عن صفعه كأنها أفاقت.. كأنها تذكرت شيئاً يجب أن تفعله ثم مدت يدها إلى جيب بنطلونه لتخرج منه وفى يدها أساور أمل الصغيرة وصاحت:

هما دول اللى خلوك تعمل كدا.. سميحة قصرت معاك فى إيه.. شغلتك وهى عارفة إنك كلب بتاع مخدرات.. ادتك ألف جنيه وأنت لو باعوك كلك على بعضك ما تجيبش ألف مليم..

وأجهش سيد فى البكاء وصاح يقاطعها:

والله.. ورحمة أبويا ما كنت حاسرقهم.. أنا خدتهم من ايدها عشان أدخل لك بيهم وأقولك شوفى أنا ممكن أسرق.. كنت عايزك أنتى تدينى فلوس كنت عايزك تعرفى أنى ممكن أكون حرامى.. والله العظيم كنت حارجعهم فى ايد البنت تانى لولا المتخلفة.

وقاطعته أم سعيد فى ألم:

أخرس.. المتخلفة دى عملت اللى كان لازم أنا أعمله.. أنا اللى كان لازم أكسر راسك من زمان.. وبعدين بتقول ممكن تكون حرامى.. هو الصايع اللى بيشرب بانجو وحشيش مش حرامى.. دا انت أوسخ حرامى.. أنت بتسرق أمك بتسرق عمرها وصحتها بتسرق عمرك



وشبابك.. انت بتسرق صحتك وربنا حيحرمك من كل دا.. بص يا سيد من النهاردة لا أنت ابنى ولا أعرفك امشى من هنا.. امشى من هنا ربنا يغضب عليك.. ربنا يضيعك زى ما ضيعت البنات دول.. ربنا يضيعك ويــــر قلبك ويحرق ى ما حرقت قلبى عليهم..

كـانت تدفـعـه بكلتى يديهـا خـارج البـيت فى جنون وأغلقت البـاب واستندت عليه بظهرها لترى رباب كما كانت عيناها مفتوحة فى ذهول وخط اللعـاب يسيل من على حـافة شفـتيهـا. عيناها زائغتان كـمـا لم ترهما يوماً أم سعيد وخطت إليها فى هدوء ووقفت تربت على رأسها وهى تتمتم:

سامحينى يابنتى سامحينى.. ماقدرتش اتكلم وانصفك سامحينى يا رباب.. الضنا غالى.. ادعى على ابنى وأكره اللى يقول آمين.. الضنا غالى.. غالى!!

■ ■ ■



رباب لم تتناول شيئاً من الطعام.. لم تشرب سوى قطرات صغيرة من الماء وضعتها أم سعيد بين شفتيها.. رباب مازالت فى حالة ذهولها وصمتها التى لم ترهما أم سعيد يوماً طوال أعوامها الطويلة معهم.

أم سعيد أيضاً لم تأكل شيئاً.. القلق يأكلها على سميحة وأمل.. لقد حاولت كثيراً الاتصال بمنى أو علاء ولكن لا أحد منهما يرد عليها.. وفى التاسعة مساء شعرت أنها تكاد تجن.. بمن تتصل.. بمن تستغيث.. انها لا تعرف أحداً لا تعرف رقم تليفون أحد سوى الدكتور على سليمان ولكن كيف تحادثه.. ماذا تقول له؟! انها حتى لا تعلم إلى أى مستشفى ذهب بهم علاء؟!

فى العاشرة تقريباً وضعت أم سعيد رباب فى فراشها وأخذت بين أصابعها كوباً من الشاى ثم هبطت به إلى ريسبشن الڤيلا لتجلس على المقعد الذى كانت تجلس عليه رباب وهى تتمتم بدعواتها وصلواتها وأخذت تسأل نفسها.. لماذا لم تصرخ فى وجه سيد أمام علاء؟! لماذا لم تقل الحقيقة؟! ما الذى خافت منه؟ ما الذى كان سيحدث؟! يطردون سيد من عمله؟! يضربه علاء؟! تبصق سميحة فى وجهه؟! ما الجديد؟! كل الناس طردت سيد من أى عمل التحق به.. سيد يستحق أن يضربه علاء وأن تبصق سميحة فى وجهه.. من ماذا خافت.. يسجنونه؟! ابداً سميحة ما كانت ستدعهم يفعلون.. حتى لو سجنوه فهو سيدفع ثمن غبائه وطمعه ولكن ما حدث لا شىء على الأرض يعادله.

ظلموا رباب.. ظلموا رباب.. آه من ظلم المسكين وقليل الحيلة.. لن يغفر لها الله أبداً سكوتها عن الحقيقة.. وانتفض جسد أم سعيد وهى تسمع باب الڤيلا يفتح لتقف فى جنون لترى علاء يقف أمامها وبكت



وهى تصيح:

طمنى يا علاء بيه.. طمّنى إيه الأخبار؟!

ونظر إليها علاء فى جنون كأنه ما مرت ساعات طويلة على غضبه.. كأنه كان هنا للتو وقال فى صوت مشتعل:

مشيتو المجنونة من هنا ولا لأ؟!

وتراجعت أم سعيد بظهرها إلى الخلف قليلاً ليرتعش جسدها وهى تسمعه يعيد على مسامعها ذات السؤال ثم قالت فى خوف:

امشيها أوديها فين بس ياسى علاء؟!

واندفع علاء فى غضب أكبر إلى سلالم البيت وهو يصيح:

أنا اللى حامشيها.. أنا حارميها برا بنفسى..

ولحقت به أم سعيد تمسكه من ظهره وهى تبكى:

الست رباب مالهاش ذنب والله العظيم ماليها ذنب.. ابنى سيد هو السبب.. كانت عايزة تضربه هو.. وقع منها الحجر على دماغ أمل والله العظيم..

ووقف علاء ليستدير إليها.. انه لا يصدق.. لماذا تحب أم سعيد فتاة بلهاء مثل رباب إلى هذا الحد وقال فى صوت حاد:

يللا ياولية.. لمى هدومك واخرجى معاها.

لكن أم سعيد لم تفهم بل مدت يدها إلى جيب جلبابها الأسود لتخرج منه أساور أمل الصغيرة ومدت كفها نحوه وهى تقول:

شوف حضرتك.. دى غوايش أمل.. سيد خدهم من ايدها ماكانش حيسرقها.. كان عايز.. كان عايز يورينى إنه ممكن يسرق.. كان حيرجعهم لأيدها تانى.. الست أمل صرخت ولما رباب شافتها بتتوجع شالت الحجر عشان تضرب بيه سيد.. وقع على دماغ أمل.. صدقنى..



رباب مظلومة أنا شفت كل حاجة بعينى.. بس ماعرفش الشيطان خلانى اخرس وبعدين كل حاجة حصلت بسرعة.. أنا..

كانت أم سعيد تحكى وتصف وتبكى ويدها مازالت ممدودة بأساور أمل الصغيرة وعلاء يحدق بعينيه فى جنون أكبر.. لا يريد أبداً أن تكون رباب مظلومة.. لا يريد أبداً أن تكون رباب بريئة.. أبعد كل ما حدث تبقى رباب.. لا يريدها أبداً هنا.. يجب أن ترحل..

لقد جثمت على صدره بما يكفى.. بما يكفى..

وأحنى علاء رأسه وعاد يجلس على المقعد القريب وبعد تفكير طويل رفع رأسه وقال:

بتعرفى تكتبى يا أم سعيد؟!

ومن خلف دموعها الكثيفة قالت فى ذهول:

باقرا وباعرف اكتب اسمى يا علاء بيه.. ليه؟!

ونهض علاء ليعود بعد لحظات وهو يحمل فى يديه بعض الأوراق ليجلس على مائدة الطعام ويكتب بعض الأوراق ثم قال فى اقتضاب:

خدى امضى على الورق دا..

وبأصابعها المرتعشة اخذت منه الأوراق لتقرأ وعينيها مفتوحة إنه إقرار تحكى فيه أم سعيد ما فعله سيد، ورفعت رأسها لتنظر إلى علاء وقالت فى خوف:

ليه؟! ليه يا علاء بيه؟!

وقال علاء فى هدوء:

مش هو دا اللى حصل؟! امضى وأنا أقولك..

وسقطت دموع أم سعيد وصاحت فى جنون:

عايز تسجن سيد.. فى عرضك يا علاء بيه.. فى عرضك،



واقترب علاء منها ليمسك ذراعها فى قسوة ثم قال:

انتى فاكرة انى محتاج الورقة دى عشان اسجن سيد.. سيد أخويا المستشار ممكن يرميه فى السجن وما يطلعش منه غير على التربة.. سيد فى قعدة مخدرات من اللى بيروحها ممكن ياخد تأبيدة.. وممكن كمان يلبس قضية أمن دولة.. امضى الورقة وأنا أفهمك.. وأوعدك بشرفى ما حدخله السجن.. امضى انتى بس.

كانت أم سعيد خائفة.. مشوشة.. لا تفهم.. كانت تظن أنها ان أرضت علاء سيرحمها ويرحم سيد.. سيبقيها ويبقى رباب.. وانحنت تكتب اسمها على الورقة بأصابعها المرتعشة وخط يدها الركيك ومن خلف دموعها وشهقات بكائها المتعددة رفعت يدها تمنحه الورقة حيث اشار لها علاء لتجلس أمامه وقال يشرح لها:

شوفى بقى يا أم سعيد.. رباب كانت تقصد سيد تقصد أمل.. مش مهم.. المهم أنها مجنونة متخلفة.. ممكن فى أى لحظة تعمل أى حاجة تضيع بيها بنتى أو مراتى.. أنا مش عايزها فى بيتى.. لو مخلوق فى الأرض عرف الحكاية اللى انتى حكيتيها انتى وابنك حتروحوا السجن.. ليه يا حلوة؟ عشان هو سرق بنتى وانتى اتسترتى عليه.. يعنى أنا وانت وسيد بس اللى نعرف.. لكن أى حد تانى يبقى رباب فتحت دماغ أمل بالصخرة اللى جنب حمام السباحة.. عملت كدا ليه؟ عشان مجنونة متخلفة.. طول مانتى بتقولى كدا سيد مش حيروح السجن.. فهمتى ولا أقول تانى؟!

ومن خلف ذعرها وخوفها قالت أم سعيد:

يعنى كل دا عشان أنت مش عايز رباب؟!

وصاح علاء كأنه ما عاد يحتمل:



أيوة.. مش عـايزها باكرهها.. باقرف منهـا ومن منظرها.. ايه مش كفاية هى السبب فى المصيبة اللى احنا فيها.. يللا يا ولية اطلعى لمى هدومك وامشى.. أنا حاكلم العباسية ييجوا ياخدوها.

وصاحت أم سعيد فى لوعة:

فى عرضك.. أنا حاخدها معايا ونمشى بكرة الصبح فى نور ربنا يا علاء بيه.

وصاح علاء:

دلوقتى..

ورفعت أم سـعيد عينيها تنظر إليه.. رباب على حق حين كرهته.. رباب على حق.. هذه النقية كانت تعلم قسوته وحقيقة روحه السوداء..

وصعدت أم سـعيد سلالم البيت وأخرجت من دولاب غرفتها هى ورباب حقيبة صغيرة وضعت فيها بعض ملابس لرباب وأخرجت من أحد الأدراج مفتاحاً مازالت تحتفظ به.. مفتاح كان دوماً معها وحين حاولت يوماً إعادته لسميحة رفضت وقالت لها إنه سيبقى دوماً معها.. وانكفأت على رباب لتوقظها لكنها فتحت عينيها فى هدوء.. كانت على حالة ذهولها واستسلامها وفى طريقهما إلى خارج البيت نظرت رباب إلى علاء الذى أدار وجهه بعيداً عنها.. لم تهمهم لم تصرخ.. لم تحاول أن تفعل شيئاً مما كانت تفعله.. كانت فقط تنظر إليه بعينيها الزائغة المفتوحة وكرهته أم سعيد.. كما لم تكره أحداً يوماً فى حياتها.. إن علاء أكثر قسوة ودناءة من سيد نفسه.. يلقى بهما فى منتصف الليل وحدهما فى مدينة السادس من أكتوبر دون رحمة.. يفعلها بأخت سميحة.. يفعلها وهو يعلم أنها بريئة.. مظلومة.. ولكن إن كان هذا ما يفعله بأخت سميحة المسكينة فما الذى يمكن أن يفعله بسيد وبها وقبل



أن تغلق خلفها الباب قالت من خلف دموعها:

سايقة عليك النبى طمنّى على سميحة وأمل..

وباستهزاء كبير قال لها:

بنتى اخدت أربع غرز وتحت الملاحظة خايفين ليكون مخها جراله حاجة.. أما سميحة مافيش أمل إنها تعيش جالها فشل كلوى من النزيف وفى العناية المركزة.. سميحة مش حتعيش.. اطمّنتى؟!

■ ■ ■



لم تكن فيلا سميحة بعيدة عن بوابة السليمانية ولكن كان الإرهاق يأكل أم سعيد حين وصلت إليها.. كان يوماً عصيباً لم تأكل هى ورباب فيه شيئاً ولم يشربا سوى جرعات مكثفة من الرعب والخوف والألم.. وما أن رآها أحد رجال الأمن تقترب من الخروج حتى قال لها:

رايحة فين..

وأجهشت أم سعيد بالبكاء وهى تقول:

دى أخت مدام سميحة.. سميحة دياب.. عايزين نركب حاجة..

وقاطعها رجل الأمن قائلاً:

حتوصلوا المحور إزاى دلوقتى..

وفى حيرة وتردد قالت أم سعيد:

شوفلنا تاكسى ييجى ياخدنا من هنا وأنا أديله.. معايا فلوس.. إن شاء الله حتى ياخد مية جنيه.. كله من خيرهم وخير أبوهم..

وبعد تفكير قصير أحضر لها رجل الأمن مقعداً رفضت أن تجلس عليه أم سعيد بل أجلست رباب لتسمعه يقول:

طيب.. أنا حاتصرف انتوا رايحين فين؟!

ورفعت أم سعيد رأسها لتقول بصوتها الباكى:

شارع المساحة فى الدقى.. بيت أبوها.. بيت سيدى الدكتور منصور دياب!!

■ ■ ■



كان علاء مازال ينظر من خلف نافذة البيت يرقبهما حتى ابتعدا عن عينيه ليلقى بعدها بجسده على المقعد من جديد.. من أين واتته كل هذه القسوة؟! إنه ليس نادماً.. بل يشعر أنه سعيد لأنه تخلص من رباب.. لم يطقها يوماً.. بل كان دوماً يشعر أنها تقف بينه وبين أحلامه.. سميحة دوماً تلومه بعينيها لأنه لا يداعبها أو يحادثها.. مجنونة سميحة هى الأخرى.. تريده أن يلاعب مجنونة.. سميحة لا تسمح لهم بإقامة الحفلات حتى لا يراها أحد.. بل هو يثق أن سميحة لا ترفض عودتها إلى نوال رسلان إلا بسبب وجود رباب.. مازال يذكر جيداً كيف خبأتها منها يوم عزاء دياب.. بل أن نوال نفسها لا تحب رباب فلم يحبها هو إذن.. حتى إن كانت رباب أرادت انقاذ أمل مما فعله سيد فهى حمقاء غبية سقطت بالحجر على رأسها.. كادت تقتل صغيرته الوحيدة.. ليت رباب تموت.. ليتها حقاً تموت..

لماذا يحيا البلهاء والمتخلفون على الأرض.. ليشقوا من حولهم.. هو لا يريد أبداً أن يشقى بجنون حمقاء غريبة عنه.. ولكن ماذا لو عادت سميحة.. سميحة لن تعود.. سميحة هى التى ستموت.. لقد استخرجوا الجنين من داخلها بجراحة قيصرية.. استخرجوه ميتاً.. سميحة فى حالة لا يظن الأطباء أبداً أنها ستنجو منها..

وهز كتفيه.. حتى لو ماتت.. ما عساه يصنع.. هى الأخرى حمقاء مغرورة.. إن ماتت سيحيا هو مع أمل وستصبح الفيلا من حقه.. حتى نوال لن تجرؤ لحظتها على المطالبة بها وستحتضنه أكثر ورسلان سيمنحه مشاريع أكبر.. بل حتى إن حدث وعادت سميحة لن يصبح بإمكانها ابداً أن تلومه على طرد رباب.. كادت تقتل ابنتها وتسببت فى مقتل حلم عمرها.. منصور.. الغبية كانت تريد إطلاق اسم منصور



على جنينها.. هاهى رباب تسببت فى مقتل منصور وكادت تقتل أمل وأمها، وأخرج هاتفه الصغير ليقول:

ممدوح.. رئيس مباحث قسم شبرا صاحبك مش كدا؟ طيب عايزك تكلمه.. عايزه يشد كلب من شبرا ويمضيه على اقرار ياريت لو ينفع يسحبه الليلة على القسم.. كلمه ورتب معاه ورد عليا دلوقتى وأنا أديك البيانات والحكاية كلها..

يا ممدوح دا كان حيقتل أمل.. كلمه بس أنت وأنا أحكيلك على كل حاجة..

وقبل أن يغلق الخط عاد يقول:

أنا عايزه يتشد شدة كويسة.. يمضى إقرار باللى عمله يا ممدوح.. هو عايش فى حارة اسمها حارة القهوجى من خلوصى شبرا، الواد اسمه سيد عبدالصمد.. ممدوح عايز البوكس ياخده من البيت.. شوف وكلّمنى..

وقبل أن يصعد إلى غرفته نظر إلى الساعة ليجدها قاربت منتصف الليل وابتسم ابتسامة صغيرة وطلب رقماً آخر ليقول بعد لحظات وهو يكاد يبكى:

نوال هانم.. نوال هانم شفتى اللى حصل..

رباب.. رباب كانت حتقتل أمل وسميحة!

وأجهش علاء فى البكاء وهو مازال على الهاتف مع نوال هانم رسلان!

■ ■ ■

كانت أم سعيد تبكى بعنف وهى تنتفض خوفاً ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجه على سليمان لترى دموعه تسيل فى صمت ثم قالت:
والله أنا خايفة يجرالها حاجة.. دى على الحال دا من يوميها خمسة أيام كل اللى كلته ما يجيش طبق رز واحد.. أعمل إيه بس.
ومسح سليمان دمعته فى هدوء ثم قال:
ربنا معاها.. الدكاترة بيقولوا صدمة عصبية شديدة.. أنا مش عارف رباب تعمل كدا ازاى.. مش قادر أفهم ولا أصدق أبداً..
وكتمت أم سعيد آهاتها الممزقة وقالت:
خدنى والنبى أشوف الست سميحة.. أبوس ايدك..
ونهض سليمان عن مقعده فى صالون شقة دياب وهو يقول:
تعالى معايا.. ولو أنى برضة خايف نسيب رباب لوحدها.
لكن أم سعيد قالت وهى مازالت تبكى:
مانت شايفها ما بتتحركش من سريرها.. أبص بصة واحدة فى وش سميحة ورجعنى.. طلعنى المحور وأنا أركب وأرجع.
وربت سليمان على كتف أم سعيد ليخطو نحو باب الشقة ويتجها معاً إلى دار الفؤاد حيث مازالت سميحة ترقد هناك فى غرفة العناية المركزة منذ خمسة أيام.. لم تتغير حالتها أبداً.. سميحة تفيق لحظات وتغيب ساعات.. وفى الطريق كان على سليمان يفكر فى حزن..
انه لا يصدق أن رباب فعلت هذا بأمل.. لا يصدق أبداً بل أنه يشعر أن أم سعيد نفسها لا تقول الحقيقة.. ولكن ما الذى يهم الآن.. ما حدث قد حدث فقط لو تشفى سميحة.. فقط لو تشفى.. كل الأمور ستتغير.. رباب نفسها قد تشفى وتعود إلى حالتها الطبيعية.. لو رأت سميحة ستصبح أفضل حالاً.. وسميحة أيضاً ستعفو عن رباب.. من



أجل دياب ستعفو عنها.. ستعود كل الأمور إلى مجراها الطبيعى.. لو عادت سميحة إلى كامل وعيها!! وسقطت دموعه من جديد.. سميحة كالجثة الهامدة.. يزورها كل يوم.. رأى نوال وطاهر وماجد عندها.. بل أنهم يقولون إن ماجد وأحمد زهدى يتناوبان على البقاء معها مع علاء.. سميحة؟! كم يحبها.. الرقيقة الطيبة.. لما تدفع دوماً ثمن أخطاء غيرها.. هل أصابها الحسد.. لم يبق جريدة أو مجلة لا تتحدث عنها.. كم مرة رأى صحفيين ومصورين يحاولون الوصول إلى غرفتها فى دار الفؤاد.. لقد أصبحت أكثر شهرة بعد ما حدث لها ولكن كل هذا لا يهم..

لو تشفى.. فقط لو تشفى..

وأفاق على على صوت سائقه يخبره بوصولهم إلى دار الفؤاد وفتحت أم سعيد الباب الأمامى لتهبط من جوار السائق وقادها على سليمان إلى غرفة سميحة.. وأمسك بيدها لأنه يعلم أنها لن تحتمل رؤية سميحة وأطلقت أم سعيد صرخة مكتومة عندما رأت علاء يقف أمامها إلا أنها لم تلق عليه حتى التحية وخطت إلى سرير سميحة.. لم تقترب من يدها أو وجهها لكنها سارت لتجلس إلى جوار قدميها على حافة السرير ونظرت إليها من خلف دموعها ثم قالت بلا وعى:

سامحينى.. سامحينى يابنتى.. أنت أم وعارفة.. بس ورحمة سيدى دياب رباب فى عينى..

ورمت أم سعيد بجسدها على ساقى سميحة لتجهش فى بكاء عنيف صاح بعده علاء قائلاً:

إيه يا أم سعيد.. انت حتندبى ولا إيه؟!

ورفعت أم سعيد وجهها لتنظر إليه فى غضب ممزوج بالخوف ثم

قالت فى انكسار:

لو كبروا فى حضنك وقدام عنيك كنت عذرتنى..

واقترب منها على سليمان ليقول فى إشفاق:

بلاش كدا.. ممكن تكون حاسة بينا..

ونظرت إليه أم سعيد فى خوف:

هى سميحة خلاص يا دكتور على.. خلاص..

وقبل أن يرد أحد.. رأت أم سعيد ماجد يدخل فى هدوء تتبعه إحدى المرضات لتقول:

دى عناية من فضلكم.. واحد أو اتنين بالكتير اللى يستنوا معاها.. أرجوكم.

ونكست أم سعيد رأسها لتقول وهى تمضى نحو الباب:

أنا ماشية.. قلتلها اللى عندى ويارب تكون سمعت..

وقبل أن تخرج من الغرفة وقفت إلى جوار ماجد لتربت على كتفه قائلة:

فيك الخير ياخويا.. انت ما تعرفش من يوم ما زرتها وهى لسة والدة أنا بادعيلك قد إيه.. انت ما بتعرفش هى بتحبك قد إيه.. فيك الخير ياسى ماجد.. خلى بالك على اختك.

ووضع على سليمان ذراعه حول أم سعيد ليخرج بها.. لن يدعها تذهب وحدها.. لن يدعها أبداً دون أن يتأكد من أن يعيدها إلى رباب بنفسه.. هذا أقل ما يجب عمله..

وعاد علاء بعد أن شكر على سليمان على الزيارة.. عاد دون أن يوجه إلى أم سعيد كلمة واحدة..

عاد إلى غرفة العناية المركزة حيث تغفو سميحة ليجد ماجد يجلس



إلى جوارها كعادته كل يوم ممسكاً بكفها بين أصابعه.. وبعد لحظات طويلة نظر إليه ماجد ليقول وهو يشعر أن علاء يتعجله لقول ما ينوى قوله فقال فى هدوء بارد:

روّح أنت يا علاء.. أنا ماعنديش حاجة..

ووقف علاء ليقول فى تملق كبير:

أنا فعلاً لازم أروح عشان أمل مع منى فى البيت لوحدهم.. هى نوال هانم جاية النهاردة؟!

وأشار إليه ماجد برأسه يخبره أنها لن تحضر..

تنهد ماجد بعد خروج علاء من الغرفة.. لماذا يشعر أن علاء لا يهتم كثيراً بأمر سميحة.. كيف يمكن أن يعاشر انسان سميحة ولا يذوب فيها عشقاً.. ربما كان مخطئاً.. بل أنه يدعو الله أن يكون مخطئاً.. حتى نوال أمه لم يعد يفهمها.. تحضر كل يوم أو يومين.. لكنها دوماً تنظر إلى سميحة فى لوم كأنها تلومها على ما حدث لها.. دوماً تنفرد مع علاء فى أحاديث تقف فجأة إن ظهر ماجد أو طاهر.. لماذا يلوم علاء إذن إن كانت نوال هى الأخرى تخرج من هنا لتعود أكثر جموداً وصلابة.. لقد كتبت الجرائد والمجلات عن نوال وطاهر رسلان وعلاقتهما بسميحة.. بل أن صحفياً أحمق اتصل بماجد يطلب إجراء حوار معه حول حادثة سميحة.. الحمقى كثيرون ولكن علاء ليس أحمق.. علاء يخفى شيئاً خلف ابتسامته.. علاء يخفى كرهاً وحقداً لا يجد لهما ماجد سبباً..

أيضاً نوال تخفى حباً أو قصة لا يعلمها خلف جمودها وصلابتها ونظرات لومها.

ماجد لا يحب التعامل مع الحقائق المختبئة.. ماجد يعشق الوضوح

والبساطة لهذا يحب أحمد زهدى.. أحمد زهدى بسيط واضح.. كل قطعة فيه تعلن عن حبه ولهفته على سميحة.. أحمد زهدى يشبه طاهر رسلان.. كلاهما بسيط طيب القلب.. كل منهما له وجه يعلن ما تخفيه العروق.. لماذا لا يصبح الجميع هكذا.. إن كان علاء يكره سميحة فلماذا يحيا معها.. لماذا لا يتركها ويذهب؟!

وإن كانت نوال تحب سميحة لم لا تعلنها؟!

وإن كانت لا تحبها فلماذا تحضر إذن؟!

وشعر ماجد بيد تربت على كتفه فى حنان ورفع رأسه ليرى أحمد زهدى يسأله بصوت خفيض:

إيه الأخبار.. مافيش جديد يا ماجد؟!

ونكس ماجد وجهه وهو ينظر إلى سميحة.. لا جديد.. خمسة أيام مازالت سميحة حالتها غير مستقرة.. مازالت تفتح عينيها ثوانى قليلة ثم تغمضها.. مازالت حالتها خطيرة ولا أحد يعلم إن كانت ستنجو أم لا؟!

ونهض ماجد عن سرير سميحة ليجلس على مقعد مواجه لأحمد والذى كان ينظر إلى وجه سميحة فى لهفة كبيرة ورفع ماجد رأسه ليقول دون وعى منه:

أنا ليه باحس أن علاء مش فارق معاه سميحة يا أحمد؟! تخيل أوقات باشوف فى عينيه أنه بيتمنى.. بيتمنى موتها.. فيه إيه يا أحمد.. أنا مش فاهم..

وأغمض أحمد زهدى عينيه ليهز رأسه فى عنف.. لا يستطيع أبداً أن يتخيل أن تموت سميحة.. لا يتخيل أبداً أن يقول أحد عنها هذه الكلمة.. لكنه حاول السيطرة على نفسه وبعد لحظات نهض من مكانه

ليضع كفه على كتف ماجد ويربت عليه قائلاً:

علاء مش مهم.. سميحة حترجع.. حترجع يا ماجد.. أنا عندى إيمان فى ربنا..

ونهض ماجد عن مقعده ليلقى برأسه على كتف زهدى ويبكى.. كان يتمنى أن يبكى على صدر نوال.. لكنه يخشى أن يؤلمها إن كانت تتألم ويخشى أن تهزأ منه إن كانت لا تتألم.. كان يتمنى أن تبكى نوال على صدره ولكن ها هو يبكى على كتف زهدى.. ولم لا يفعل، إنه يحب أحمد وسميحة أيضاً تحبه وهذا يكفى لأن يبكى على كتفه ما شاء.

كان أحمد يضم ماجد فى حنان.. إنه يحبه.. إنه سعيد به ولكنه أكثر حزناً وضعفاً منه.. ولكن من أجلها.. من أجل حبها لماجد.. من أجل عينيها الجميلة سيفعل كل ما يعجز عن فعله واحتماله..

وهدأ ماجد.. وخرج الصديقان ليجلسا فى ردهة المستشفى وبعد ساعات قليلة ودع ماجد أحمد الذى أخبره أنه سيبقى مع سميحة انتظاراً لأمه د. عفاف البندارى التى تريد زيارتها.. ووعده ماجد بلقائه فى الصباح التالى بعد أن يذهب إلى أمل ليراها كما يفعل كل يوم.

وعاد أحمد زهدى إلى غرفة العناية حيث ترقد سميحة.. رغم كل شىء يسعده كثيراً أن يبقى معها وحدهما.. بدون علاء.. بدون نوال أو سليمان أو حتى ماجد نفسه.. يريد أن يبقى معها لحظات وحدهما.. يرقب وجهها الشاحب الحزين.. يرقب جسدها الذى فقد الكثير من دمائه.. جسدها الذى أصيب بفشل كلوى مازالت سميحة تعانى منه رغم نقل الدم والعلاج المكثف الذى تتلقاه.. جلس أحمد يرقب قلبه وهو يتناثر حولها حباً وصلاة ودعاء..

عندما جلس على مقعده واقترب من سريرها.. أمسك بكفها بين أصابعه وأخذ يملأ عينيه منها.. كم يحبها.. وبعد لحظات قال فى صوت خفيض:

أوعى تروحى يا سميحة.. لو رحتى حتاخدى ناس كتير معاكى.. أنا ماليش غيرك.. طب بلاش أنا.. أمل يا حبيبتى أمل.. بلاش أمل.. رباب يا سميحة.. سميحة أنتى روح ناس كتير.. عشانهم ارجعى.. أرجوكى.. يا خبر يا سميحة كل يوم بحبك أكتر.. كل يوم عايزك اكتر..

ولم يستطع أن يقول اكثر مما يقوله لها كل يوم.. عاد ينظر إلى وجهها الشاحب.. إلى ذراعها الساكن النائم فى الجبس.. إلى شفتيها التى أصبحت بلا لون ولم يستطع.. نهض ليتجه إلى النافذة وينظر إلى حديقة دار الفؤاد ورفع عينيه إلى السماء وأجهش فى بكاء حاد ثم قال:

يارب.. انت اللى زرعت حبها فى قلبى.. لما هى رفضته أنا ماغلطتش لما خطبت لينا ولقيتنى مش قادر أحبها بعدت عشان ماظلمهاش وبرضة ماغلطتش.. عمرى ماعملت حاجة حرام.. اشتغلت مع سميحة زى أخوها.. عمرى ما سمحت لنفسى حتى أقولها كلمة تفكرها بحبى ليها.. يارب رجعّها.. لو وجودى جنبها غلط.. امشى واسيبها.. اسيب مصر كلها.. لكن رجعّها.. من غيرها الأرض تبقى سودة.. يارب أنت خلقت الشجر دا عشان يطهر الأرض.. عشان يضلل على الناس.. عشان خيره يهون على الناس مشاكلها.. قلب سميحة مضلل على ناس كتير.. وجودها..

ولم يستطع زهدى أن يكمل.. كان صدره يتهدج بالدموع.. انها المرة الأولى التى يبكى فيها ومن خلف صوت بكائه سمع صوتاً خافتاً يقول:



بابا.. بابا..

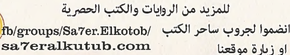
والتفت ينظر إليها في جنون ثم عاد ينظر إلى السماء كأنه يشكرها ولكنه لا يفهم.. لا يصدق.. وركض إليها وركع على الأرض بركبتيه بجوار سريرها وأمسك بكفها الصغير بين أصابعه من جديد.. كانت عيناها نصف مفتوحة ولكن شفتيها كانتا ترتعشان ببطء بالكاد يراه وهمس بصوته الباكي يقول:

سميحة.. سميحة أنا أحمد.. أحمد زهدي..

وسمعها تقول في صوت خفيض لا يكاد يسمعه أو يفهمه.. سمعها تقول:

بحبك يا أحمد.

وجن جنونه.. جن جنونه وصاح هامسا يناديها.. لكن شفتيها سكنت من جديد ككل مرة تعود وتذهب فيها.. وركض أحمد إلى خارج غرفتها بدار الفؤاد يستدعي ما استطاع من الأطباء وقبل أن يذهب أحدهم إليها كان هو إلى جوارها من جديد.. عاد كالمجنون يمسك بيدها ويجلس على حافة سريرها.. وفي لحظات كان هناك أكثر من طبيب وممرضة حولها.. لا شيء بالنسبة لهم جديد.. الجديد الوحيد هو ما كان يفعله أحمد زهدي.. الجديد الوحيد هو انهياره الكامل والكبير إلى جوارها وبعد لحظات سمع صوتاً رقيقاً من بعيد يناديه باسمه، ونهض زهدي من جوار سميحة.. نهض ليلتفت إليها وهو يراها تقف على باب غرفة سميحة خلف دموعها الكثيفة.. كانت عفاف البنداري تنظر إليه في لوعة كبيرة.. انهار أحمد ابنها.. كانت تعلم أنه يجب أن ينهار.. لقد حمل حبه أعواماً.. حمله داخل ضلوعه في صمت.. أغلق عروقه على حب وشوق ورغبة دون أن ينطق حرفاً.. كانت تعلم أنه



سينفجر يوماً.. لكنها أبداً ما أرادت أن يكون انفجاره هنا وركض إليها زهدى كطفل صغير ليرتمى بين ذراعيها وهو يصيح:

والله العظيم يا ماما اتكلمت.. والله العظيم قالت بابا وعارفة قالت إيه كمان.. قالتلى.. قالت..

ولم يكمل.. ما عساه يقول.. ما عساه يقول؟

وعاد يجهش فى بكاء حاد لم تره عفاف يوماً حتى يوم كان طفلاً صغيراً. وأخذت تهدهده فى حنان.. كان يرتجف بين ذراعيها فى جنون كيمامة صغيرة قطعوا جناحيها، ومن خلف كتفيه فتحت عفاف عينيها لتنظر إلى من حولها فى ضيق كبير.. لن يبقى أحد فى مصر بعد اليوم دون أن يعلم أن أحمد زهدى يعشق سميحة دياب..

لن يبقى أحد دون أن يعلم أن أحمد زهدى انهار وبكى لأن سميحة دياب مازالت تعجز عن قهر ضعفها وعجزها الكبير!

■■■



وضع طاهر رسلان كفه على كتف ماجد فى حنان قائلاً:

ماجد.. يللا يا حبيبى حنتأخر.. قعدتنا هنا مالهاش معنى.. قوم أنت روح اطمن على أمل وأنا أروح لرباب.. احنا بقالنا ساعتين..

ورفع ماجد عينيه لينظر إلى وجه طاهر من خلف دموعه قائلاً:

مش قادر أسيبها.. أحمد بقاله يومين ما بيجيش من ساعة اللى جراله هنا.

وقاطعه طاهر قائلاً:

أنا كمان مش حاسيبك لغاية ماتنهار يا ماجد.. الحمد لله بيقولوا فى تحسن.. قوم يا حبيبى.. سميحة محتاجة لحد برا المستشفى مش هنا.. حد يشوف بنتها وأختها ويطمن عليهم.. الحب مش ان احنا نبكى جنبها.. الحب أن احنا نسعدها لما ترجع بحبنا..

ونهض ماجد فى تثاقل.. طاهر على حق.. هو من سيذهب إلى رباب لقد علم من علاء أن أم سعيد أصرت على أخذ رباب بعيداً عن السليمانية لأنها تخشى عليها من الجنون عندما لا تجد سميحة حولها.. حتى أم سعيد نفسها عندما ذهب هو إلى شقة الدقى لزيارتها أخبرته بذلك بل وأخبرته انها تريد أن تنسى أمل الصغيرة ما فعلته رباب ولكن أم سعيد ورباب فى حالة من الذهول لا يفهمها.. ليس حزناً.. إنه خوف وذهول ولكن من يحزن على سميحة ويشتاق إليها لا يكتفى بالحزن يجب أن يسكن عروقه خوف وذهول كبيران.

وقبل أن يصل ماجد إلى باب الغرفة سمع صوت سميحة تتأوه فى ضعف.. ووقفت خطواته هو وطاهر والتفتا معاً ينظرا إليها وينظر كل منهما إلى الآخر كأنه يستشهده على ما سمع.. وانطلق ماجد إليها ليجلس إلى جوارها وهو يهمس من خلف دموعه:



سميحة.. سميحة.

وفتحت سميحة عينيها لتقول فى ضعف:

رباب.. ليه..

ولم يفهم ماجد ما تعنيه سميحة بل لم يكن يعنيه أن يفهم كان يكفيه أن عينيها نصف مفتوحة.. كان يكفيه أن يسمع صوتها الجميل.. وقبل أن يفكر فى شىء يقوله كان طاهر قد عاد بإحدى الممرضات التى وقفت تنظر إلى سميحة لتقول:

هى من امبارح حالتها بتتحسن وابتدت تستجيب للعلاج أنا حاجيب دكتور.

وبعد لحظات بدأت سميحة تستعيد كل ما حدث ثم حاولت أن ترفع ذراعها اليمنى لكنها كانت ثقيلة.. كانت ذراعها فى الجبس.. انها الذراع التى كانت تحاول أن ترفعها لترد اللطمة إلى وجه علاء لطفى.. كسرت ذراعها وكسر قلبها.. ثم عادت تتذكر بوضوح أكثر قليلاً لترفع ذراعها اليسرى فى ضعف شديد لتحركها نحو بطنها تتحسسها كأنها تبحث عن منصور الراقد هناك ونظرت إلى وجه ماجد من جديد ثم قالت:

أمل.. أمل كويسة؟! منصور يا ماجد منصور؟!

وأمسك ماجد بكفها يقبّله وهو يقول:

أمل زى الفل.. زى الفل يا حبيبتى..

وفهمت سميحة وقبل أن تبكى منصور كان الطبيب يدخل إلى غرفتها ويقترب منها ليقف ماجد بعيداً عنها إلى جوار طاهر الذى سمعته سميحة يقول لماجد:

أنا كلمت علاء وقاللى إنه جاى حالاً وطمنت نوال كمان..



لم يمض وقت طويل قبل أن يظهر علاء فى غرفة سميحة واقترب نحوها فى تردد لم يفهمه رسلان أو ابنه.. وكتمت سميحة صرخة صغيرة خرجت من بين شفتيها رغماً عنها لتشيح بوجهها بعيداً عنه.. لا تريد أبداً أن تراه.. انها تحتمل رؤية أى كائن على وجه الأرض.. تحتمل رؤية نوال وربما عمرو جابر وأمه لكن لا تريد النظر إلى وجه علاء أبداً..

وجلس علاء على حافة سريرها لينحنى واضعاً قبلة صغيرة على رأسها الذى انتفض عندما لمسته شفتاه ثم قال:

يا حبيبتى.. حمدلله على سلامتك..

شعر طاهر أن هناك شيئاً وشعر ماجد أن هناك شيئاً ولكن لم يكن هناك شىء فوق ما تشعر به سميحة.. ربما جعل ضعفها ووهنها الأمر أفضل حالاً.. كانت مازالت تترنح فى أطياف ضعفها.. لكنها مازالت ترى رباب وهى تهوى تحت قدميه.. مازالت ترى نفسها وهى تهوى على سلالم بيتها.. مازالت تشعر بذراعها لا تصل إلى وجهه لتلطمه.. ومازالت تسمع تلك الكلمة التى صرخ بها فى وجه رباب.. مازالت لا تسمع سواها..

«بنت الكلب».. وانتفض جسدها ليشعر بها كل من حولها ولتسمع هى صوت طاهر رسلان يقول:

من رأيى نسيبها تستريح.. حمدلله على سلامتها يا علاء الدكتور قال الحمد لله.. القضية دلوقتى وقت وقت مش اكتر احنا حنمشى يللا يا ماجد.

واقترب رسلان من سميحة وقال فى صوت صادق:

سميحة.. أنا لو كنت بحبك عشان انتى بنت صاحب عمرى وبنت أم



ابنى فأنا دلوقتى بحبك أكتر لأنك اخت ابنى الوحيد وحبيبته ولأنك كمان تستاهلى الحب.. أنا واقف معاكى وجنبك إلى آخر مدى تعوزيه وتتصوريه.

لا يعرف رسلان لم قال لها هذا ولا يعرف إن كانت سميحة سمعت ما قال.. لكنه شعر أنها بحاجة إلى الاطمئنان والمساندة.. شعر أنه يريد أن يوجه رسالة إلى علاء لطفى.. شعر أن شيئاً مبهماً يدور وشيئاً واضحاً يحاول الاثنان اخفاءه.. ورغم أنه لا يفهم لكن كان يكفيه تلك النظرة التى رآها فى عينى علاء لطفى الذى انتصب واقفاً يشكره ويسير معه نحو الباب فى الوقت الذى انحنى فيه ماجد على سميحة يحتضنها فى رقة وخوف كأنه يحتضن امرأة من زجاج.. إلا أن سميحة همست وعينيها مغلقة لتقول:

ميرسى جداً يا أنكل طاهر!!

■ ■ ■



شفيت سميحة دياب.. شفيت وستغادر المستشفى إلى بيتها اليوم أو غداً.. قد تعود إلى المستشفى لفك الجبس عن ذراعها وقد تحتاج إلى عملية بسيطة فى نفس الذراع إلا أنها شفيت وستعود إلى ممارسة عملها والظهور فى برنامجها مع بداية الشهر الجديد.. هذا ما تقوله الجرائد التى كان سيد يتصفحها فى ذهول كبير..

كل شىء سيعود كما كان.. سميحة يحبها الناس أكثر ومن لم يكن يعرفها أو يشاهدها سيشاهدها الآن ليرى المرأة التى عادت من الموت.

عادت من الموت إلى حياة أكبر وأحلى.. ستغفر لعلاء المسكين وترتمى بين ذراعيه وتنجب طفلاً آخر عوضاً عن الذى فقدته.. وعلاء سيصبح أكثر سعادة.. سميحة تعود إليه وأمل معهما ورباب بعيدة عنهما..

هو وأمه فقط يدفعان ثمن سعادتهما.. أمه مازالت ترفض الحديث معه.. بل رفضت أن تدخله شقة منصور دياب يوم ذهب إليها يرتجف ويبكى وهو يقص عليها ما فعلوه به فى قسم الشرطة.

كان يظن نفسه قوياً ولكنه حقاً ضعيف.. لم يحتمل أكثر من ثلاث ساعات أمام ضابط القسم.. لم يحتمل.. سقط أمام الصفعات والسباب.. سقط أمام التهديدات.. سقط حتى كاد يلعق حذاء الضابط.. كتب كل ما طلبه منه.. أقسم بالله أنهم لو طلبوا منه أن يقر بأنه هو من تسبب فى إصابة سميحة سيفعل.. نعم كان على أتم استعداد لأن يفعل كل ما طلبوه.. ولكن كل ما طلبوه هو أن يكتب اقراراً بأنه هو من سرق أمل وأنه هو المقصود بحجر رباب وأن الحجر أخطأ رأسه ليقع على رأس الصغيرة.. إنه لا يفهم.. لا يفهم .. لقد طلبوا منه أن ينسى الورقة تماماً بعد أن كتبها.. رباب كانت تقصد أمل هذا كل

ما يجب أن يذكره.. الورقة فقط ستبقى مع علاء بيه وأن تذكرها سيجد ملفاً جديداً يفتح له.. ملف إن فتح يوماً لإنسان فقد إنسانيته وآدميته..

«ملف فى أمن الدولة..»

وارتجف سيد وهو يتخيل ما يمكن أن يحدث له فى أمن الدولة.. واشعل سيجارة بانجو ونفث دخانها ثم ابتسم.. إن علاء ليس بالقسوة التى يظنها.. لقد ذهب إليه فى الصباح التالى ذهب إليه ليخبره أنه سيفعل كل ما يطلبه منه.. علاء صافحه فى ترحاب كبير.. بل لقد ربت على كتفيه واعتذر له عما حدث وأخبره أنه لا يمانع أبداً فى عودته إلى العمل عند سميحة بشرط أن توافق هى عندما تشفى..

وأطرق سيد برأسه إلى الأرض.. إنه لا يفهم.. ولكن لم يعد بوسع فهمه أن يغير من الأمر شيئاً.. لقد فقد أمه وفقد مصدر الدخل الوحيد الذى كان عنده.

سعيد إن أرسل له بعض النقود مرة أو مرتين لن يفعلها كثيراً.. وهو قد أصبح فى كعب حذاء علاء لطفى وأخوه المستشار.

نعم مستشار.. لا يمكن أن يكون وكيل نيابة.. مصيبة كبيرة أن يكون مجرد وكيل نيابة ويفعل بسيد ما فعله.. ماذا سيفعل ممدوح بحى شبرا بأكمله إن أصبح مستشاراً إذن؟!

وعاد سيد يسحب نفساً من سيجارة البانجو.. إنه يهدأ.. يهدأ.. هذه السيجارة هى حبيبة قلبه.. انها الوحيدة التى لا تخونه.. الوحيدة التى تضع على شفتيه ابتسامة.. بل أنها تساعده على التفكير.. إنها تغسل عقله وعينه وروحه.. حقاً خلق الله النقود للأغنياء والسلطة للأقوياء وخلق الحشيش والبانجو للفقراء.



وشهق سيد شهقة كبرى عندما تذكر الجريدة التى كانت فى يده.. شفيت سميحة.. يجب أن يزورها.. يجب أن يذهب إليها ويطلب منها العودة إلى العمل معها.. لم يعد له سوى العمل عندها.. لقد فهم الدرس جيداً.. بل لقد فهم السر الذى يقف فى صدر علاء.. علاء لا يريد رباب.. لا أحد يريد رباب إلا أمه.. وحدها أم سعيد تريد رباب وتلهث خلفها.. ورفع رأسه ينظر إلى دخان سيجارته ليطلق ضحكة كبيرة.. من يعلم قد تكون رباب أخته هو.. ربما كانت أم سعيد انجبتها من الدكتور منصور.. لهذا تحبها.. ولهذا لم تحبها أمها الحقيقية.. وعاد يضحك فى مجون نعم.. رباب اخته.. الأغنياء لا ينجبون الحمقى والمعتوهين.. الاغنياء ينجبون أطفالاً مثل سميحة وأمل وماجد وأحمد زهدى وعلاء لطفى وأخوه سيادة المستشار.. ونهض سيد فى هدوء ليغادر منزله بشبرا متوجهاً إلى مستشفى دار الفؤاد.

لم يشعر بطول الطريق.. بل لم يشعر حتى أنه استقل ميكروباصاً جديداً من ميدان لبنان إلى أكتوبر.. كان يفكر.. ماذا سيقول لسميحة وماذا ستقول له.. وهل ترفض عودته.. أم تراه يجب أن ينتظر ولا يخبرها برغبته فى العودة إلى العمل؟! أيا كان الأمر يجب أن يزورها.. يجب أن يراها ويقدم لها أمانيه وتعازيه وحبه.. ولكن سيبقى الأمل فى صدره.. سيبقى الأمل فى روحه.. يوماً ما قد يصبح غنياً.. عندها سيصبح قوياً شجاعاً.. عندها لن يخشى حتى تلك الأوراق التى كتبها فى قسم شبرا.

عندما اقترب سيد من باب جناح سميحة دياب الذى انتقلت إليه بعد خروجها من العناية المركزة.. عندما اقترب حبس انفاسه من الدهشة.. يكاد يقسم ويجزم أنه ما بقيت زهرة على أرض مصر..



باقات زهر فى كل مكان كلها حول جناح سميحة.. عشاقها كثيرون.. منهم مغفلون يظنونها ملاك الله على الأرض.. ومنهم شياطين يعرفون حقيقتها وينتظرون اللحظة المناسبة ليعبثوا بها ومعها كيف شاءوا..

وطرق الباب ليسمع صوتها يأذن له بالدخول.. ودخل سيد ليجدها تجلس على مقعد فى ريسبشن الجناح وهى ترتدى قميصاً أزرق وعليه روب من اللون الأبيض.. ذراعها فى الجبس وذراعها الأخرى على يد المقعد إلى جوارها فى هدوء ورفعت عينيها لتنظر إليه فى دهشة.. كلاهما يعلم أنها لا تحبه.. كلاهما يعلم أنها لن تصدق حبه ولهفته إلا أن سميحة عندما نظرت إلى وجه سيد رأت شيئاً تراه للمرة الأولى.. كان فى عينيه انكسار حقيقى.. فى عينيه خوف.. أين ذهبت وقاحة عينيه ونظراتهما العارية وسمعته يقول وهو مازال يقف خلف الباب:

حمدلله على سلامتك يا سميحة هانم.. أنا أول ما عرفت من الجرايد جيت اطّمن.

وابتسمت سميحة ابتسامة صغيرة وقالت:

كتر خيرك يا سيد.. اتفضل..

وسحب سيد أحد المقاعد بعيداً عنها وجلس إلى جوار الباب ثم رفع عينيه إليها قائلاً:

أنا آسف إنى ماجيتش قبل كدا لكن..

إلا أن سميحة قاطعته قائلاً:

سيد.. انت ليه سبت الفيلا.. وأم سعيد خدت رباب ومشيت ليه.. هو إيه اللى حصل.. أحكيلى يا سيد أرجوك..

وارتجف سيد وهو يحكى لها.. كيف هاجت رباب وصاحت ورآها تحمل إحدى الصخور الصغيرة التى حول حمام السباحة وتركض بها

إلى أمل.. لقد بكى وهو يقول لها إن أمه غضبت منه لأنه أخبر علاء بيه بالحقيقة.. ولكن هو لم يكن بإمكانه أن يفكر.. الصدمة والمشهد الذى رآه لم يترك له فرصة للتفكير.. غضبت منه أمه ولعنته.. لم يكن يعلم أبداً أنه يجب أن يكذب.. لو كان يعلم لقال أى شىء آخر.. كان على أتم الاستعداد أن يدعى أنه هو من أراد إيذاء أمل الصغيرة..

ولكن.. لكن..

ورفعت سميحة عينيها تنظر إليه.. لا هى تصدقه ولا هى أيضاً تستطيع تكذيبه.. الكل أخبرها بنفس القصة.. رباب.. رباب تفعل كل هذا دون سبب.. لو حملت رباب ذاك الحجر وأصابت به علاء لربما صدقت ولكن أن تفعلها بأمل.. أمل.. لا تصدق.. لا.. هى تصدق ولكنها لا تفهم.. لا تفهم..

ووقف سيد يقول من خلف دموعه:

- سميحة هانم.. لو حضرتك عايزانى اسيب الشغل اسيبه.. بس اللى طالبه منك انك تسامحينى.. سامحينى على انى ماكدبتش..

وقالت سميحة فى أسى:

- لا يا سيد مافيش حاجة.. ماهيتك حتفضل ماشية زى ما هى.. أنا حارجع البيت بكرة.. أول ما أرجع شغلى حاكلمك ترجع تانى..

أنا مش زعلانة منك ياسيد.. الذنب مش ذنبك..

وخرج سيد بعد أن كاد يفطر قلبها.. خرج ليتركها فى حيرة أكبر وألم يمزق عروقها.. إنها لا تلوم سيد بل إنها لا تلوم علاء نفسه عندما لطم رباب.. ولكن شيئاً واحداً لن تغفره له.. شيئاً واحداً لن تنساه ولن تستطيع حتى أن تحاول نسيانه.. علاء لطفى قال عن دياب كلب.. لا شىء سيغفر له هذه الكلمة.. أبداً..



ورغماً عنها سقطت دمعة على وجنتها.. ما عساها تفعل أو تقول.. ربما كان معذوراً.. لقد رأى ابنته غارقة فى دمها.. هى نفسها لن تنسى ذاك المشهد.. كيف تنسى صرخة سيد وهو يقول إن رباب.. آه رباب..

وقبل أن تمسح دموعها كان علاء يقف أمامها.. لم تشعر به حين دخل.. لكنه انحنى يضع على رأسها قبلة ثم قال فى لهفة:

يا حبيبتى.. مش مصدق انك حتروحى بكرة معايا..

وشعر بانتفاضة صغيرة سرت فى جسدها بعد قبلته وبحزن كبير استطاع رسمه بمهارة قال:

ياه يا سميحة.. جسمك بقى بيقشعر لما أبوس راسك.. فيه إيه يا سميحة.. فيه إيه.

ولم تجب سميحة لكنها مدت يدها اليسرى إلى جيب الروب الذى ترتديه وأخرجت علبة سجائرها.. مازالت تدخن.. منذ خرجت من العناية المركزة عادت إلى التدخين فى جناحها بالمستشفى.. لا أحد استطاع أن يمنعها عن التدخين.. واشعل لها علاء السيجارة ليسمعها تقول فى صوت هادئ مرير:

أنا عارفة إن اللى حصل صعب.. والخسارة اللى خسرناها كبيرة قوى.. لكن أنا حاسة إن فيه شىء كبير بينا انكسر.. حاجز كبير اتبنى.. مش عارفة حقيقى.

إلا أن علاء قاطعها:

سميحة.. مافيش شىء اتكسر.. سميحة أنا بحبك ويستحيل اسمح لشىء فى الدنيا ان يأثر عليّ حياتنا مع بعض.. احنا أسرة سعيدة.. أسرة عدت بعاصفة لكن.



وتمنت سميحة لو تصرخ فى وجهه.. لو تخبره ان تلك الكلمة التى قالها عن دياب لن تغيب يوماً عن وجدانها ولكن حالت كبرياؤها دون ذلك فقالت:

علاء.. أنا مش عارفة.. مش حاسة إن أحنا ممكن نبص فى عين بعض بعد المشهد الفظيع اللى حصل..

وقال علاء:

مشهد إيه؟ عشان ضربت رباب.. تفتكرى أنا كنت فى عقلى ولا فى وعيى بعد ما شفت أمل غرقانة فى دمها.. مشهد إيه يا سميحة..

سميحة أنا انسان.. إيه اللى اتكسر بينا يا سميحة.. عايزة رباب ترجع تعيش معانا.. مافتكرش أبداً انك انتى نفسك توافقى على كدا.. دى كانت حتقتل بنتنا وقتلت ابنك منصور.

وقاطعته سميحة فى مرارة:

انت اللى قتلت منصور.. لما شفتك بتعمل كدا فيها.

وصاح علاء:

كلنا اتقتلنا يا سميحة.. اكتر واحد اتقتل أنا.. أنا حتى وانتى هنا فى المستشفى ما سلمتش من التجريح.. شفتى المجلات كتبت إيه عنك وعن زهدى.. سميحة.. كلنا اتقتلنا واتجرحنا.. لازم تعترفى يا سميحة.. انسب حل هو أن رباب تبعد.

وقاطعته سميحة فى ألم:

رباب مش القضية.. القضية القسوة اللى شفتها..

وانحنى علاء يسكب ما استطاع من رقة ليضمها إليه قائلاً:

أنا بحبك.. الأيام يا سميحة حتداوى كل حاجة صدقينى.. رباب بتتعالج وحتبقى كويسة.. ومنصور حنعوضه يا سميحة.. احنا لازم



نكون مع بعض عشان الناس ما تتكلمش.. سميحة بلاش تحاسبينى على لحظة كان لازم أفقد فيها عقلى لأن قلبى كان بيتقطع على بنتى.. سميحة أرجوكى..

ورفعت سميحة وجهها لتنظر إليه ونكست رأسها بسرعة.. إنها لا تقوى على النظر إليه.. كلما نظرت إلى وجهه شعرت بذل وانكسار كبير.. هذا الرجل طعن قلبها وروحها بما فعله.. لكنها أيضاً لا تلومه.. بل إنها يجب أن تشعر نحوه بالامتنان.. لقد أخبرها أنه يزور رباب.. أخبرها أنه يتابع علاجها الذى تخضع له من صدمتها العصبية.. لا أحد يلومه أبداً إن رفض عودة رباب.. هى نفسها فى قرارة روحها تخشى على أمل.. نعم.. قد لا تعلن هذا ولكنها لن تأمن وجود رباب إلى جوار أمل أبداً.. فلماذا تغضب منه؟!

ما قاله عن دياب.. وأغمضت عينيها كأن السكين عادت تمزق عروقها.. هى تعلم أن علاء يميل إلى العنف والسباب.. لقد سمعته كثيراً يستخدم هذه الألفاظ مع سيد ومنى.. ولكن دياب.. دياب..

يجب أن تنسى.. يجب أن تنسى وتعود.. تعود إلى بيتها.. إلى ابنتها.. إلى زوجها.. بل فى هذا الوقت بالتحديد يجب أن تكون مع علاء.. بعد ما حدث من أحمد زهدى وما نقلته بعض الممرضات إلى الصحف والذى كتبوه عن انهياره التام وعشقه لها يجب أن تكون مع علاء.. من أجل سمعتها وسمعة دياب وسمعة أمل ابنتها.. بل هى يجب أن تشكر لعلاء تفهمه..

يجب أن تنسى.. هناك خناجر يجب أن تبقى مغمدة فى جراحها لأننا إن حاولنا تحريكها نموت.. طعنتها من علاء يجب أن تحيا بها سميحة لأنها إن حاولت تحريكها ستخسر.. هى ستكون أكثر من



يخسر.. يجب أن تنسى..

وأفاقت سميحة على صوت علاء وهو يقول:

سميحة.. حاجى الصبح آخدك تروحى بيتك..

ومن خلف دموعها وبذاك الخنجر المدسوس فى قلب قلبها حاولت أن تبتسم وقالت:

لأ يا علاء.. خليك فى البيت مع أمل.. أنا حاجيلكم مع ماجد.. روَّح أنت دلوقتى..

■■■



كانت الحادية عشرة صباحاً تقريباً عندما فتحت أم سعيد باب البيت لتجد أمامها سميحة وماجد إلى جوارها..

مرت ثوان قليلة استعادت فيها أم سعيد أنفاسها من المفاجأة لتحتضن سميحة بين ذراعيها وهى تبكى فى مرارة كبيرة.. ودخل ماجد وهو يحاول أن يشيع شيئاً من البهجة على المرأتين.. هو لا يعلم ماذا أصاب سميحة.. إنها منذ رآها هذا الصباح وهى لا تتحدث.. سألها طوال الطريق عن سبب احمرار عينيها وآثار بكائها إلا أنها لم تقل شيئاً.. كل ما قالته إنها تريد رؤية رباب وأم سعيد..

وعاد ماجد يقول فى صوته المرح:

بتحبك يا جميل.. سميحة بتحبك يا أم سعيد- أول كلمة قالتها أشوف أم سعيد..

ورفعت أم سعيد عينيها تنظر إلى وجه سميحة الشاحب من جديد وقالت:

بنتى وستى وبنت أسيادى.. آه يا سميحة لو تعرفى النار اللى جوايا من ساعة اللى حصل..

كان وجه أم سعيد يقطر ألماً وحزناً وضعفاً كبيراً.. ومدت سميحة كفها الأيسر لتربت على كتف أم سعيد قائلة:

اللى حصل حصل يا أم سعيد.. أنا داخلة لرباب..

ومضت سميحة تفتح باب غرفة رباب فى هدوء لتدخل وتراها فى سريرها.. نصف جالسة.. خلف ظهرها وسائد تتكئ عليها فى صمت.. وأغلقت سميحة الباب لتستند إليه بظهرها ثم رفعت عينيها تنظر إلى وجه رباب.. كانت دموعها تسقط بغزارة على وجنتيها.. رباب أيضاً رفعت عينيها تنظر إلى سميحة.. لم تحرك شفتيها.. لم ترفع



ذراعها.. لم تقل شيئاً.. كأنها لا تراها ولكن سميحة تعلم أنها تراها.. إن غابت كل الصور عن عقل رباب وعينيها سميحة تعلم أن صورتين أبداً لن تغيبا.. صورة سميحة وصورة دياب.. ومن خلف دموعها حاولت أن تنظر إلى روحها.. هل تكره رباب.. هل تلومها.. هل حقاً تشعر أنها حاولت قتل صغيرتها؟! أبداً.. رباب هى رباب.. هى ملاكها المسكين.. هى آخر قطعة بقيت من روح دياب واقتربت منها فى هدوء لتجلس إلى جوارها على حافة فراشها، ثم رفعت سميحة كفها الأيسر لترفع به وجه رباب ونظرت فى عينيها الزائغة وقالت:

مهما كان اللى حصل.. أنا عارفة مش ممكن تكونى قصدتى تأذيها لا يمكن أبداً اللى اتربى فى حضن دياب يعرف يأذى حتى لو كان..

ولم تكمل سميحة.. كانت رباب هادئة ساكنة وخط لعابها يسيل فى صمت وانكسار كبير.. واستدارت سميحة تأخذ منديلاً من علبة المناديل الموضوعة على فراش رباب وعادت تمسح لها شفتيها ثم أمسكت بيد رباب وقالت:

رباب.. أنا مش زعلانة منك.. أنا بحبك.. أمل كمان بتحبك..

وشعرت سميحة بجسد رباب ينتفض انتفاضة خفيفة وعادت تقول لها:

أيوة أمل بتحبك.. مولى بتحبك.. بتحبك يارباب،

أدركت سميحة أنه لا فائدة من كل ما تقول.. رباب أبداً لن تستجيب.. ماجد وعلى سليمان كانا على حق عندما أخبراها أن رباب تعانى من صدمة كبيرة قد تستغرق شهوراً أو أعواماً حتى تفيق منها كما أخبرهم الأطباء.. ونهضت سميحة لتغادر غرفة رباب فى صمت وقبل أن تعود إلى حيث يجلس ماجد وأم سعيد عادت تخطو إلى



الغرفة التى طال شوقها إليها وفتحت باب غرفة دياب وأغلقت خلفها الباب فى هدوء ثم وقفت تنظر إلى مكتبه وفراشه ودون وعى جلست على سرير دياب تتحسس وسادته بأصابعها ثم صاحت:

أنت فين؟ أنت فين.. أنت مش قلت حابقى حلم لياليكى.. ولا ليلة شفتك.. مش قلت حابقى معاكم.. أنت فين.. أنا باموت.. لأ أنا مت وبرضة ماشفتكش.. أنت فين.. فين؟! ليه مش قادر تحس بيا ليه؟!

كانت سميحة تبكى فى حرقة كبيرة كأنها تستجديه.. كأنها تتمنى حقاً أن يساعدها.. يهديها.. يرشدها.. هل تلاشى دياب.. هل ذابت روحه مع جسده فى التراب.. هل حقاً أصبح لا صلة له بها..

وعادت تبكى وهى لا تستطيع كتم نحيبها أكثر.. عادت تناديه بصوت أكثر نزفاً وألماً ومن خلف باب دياب كانت أم سعيد تقف مستندة إلى الحائط تسمعها وتبكى وهى تردد فى ألم كبير وصوتها يعلو رغماً عنها:

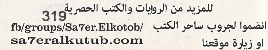
أنا السبب.. أنا السبب..

لم يستطع ماجد أبداً أن يتجاهل صوت بكاء أم سعيد الذى بدأ يطرق أذنيه فنهض مسرعاً ليجدها تفتح باب غرفة دياب ليريا معاً سميحة تقف إلى جوار مكتب دياب وهى تمسك بتلك الصورة التى أخذها لهما ريمو يوم عقد قرانها واندفعت أم سعيد نحوها وهى تصيح:

أنا السبب يا بنتى.. سامحينى..

إلا أن سميحة نظرت إليها وقالت:

أنا عايزة أعرف ربنا بينتقم منى أنا ليه؟! أنا عملت إيه غلط فى حياتى.. أختى تحاول تقتل بنتى.. وابنى اللى كنت باحلم بيه طول





عمرى يموت.. ليه؟! يارب.. أنا عايزة علامة.. إشارة.. أى حاجة قوللى أنك معايا.. تنتقم منى أنا ليه؟ ليه مش بتنتقم من عمرو.. من نوال.. ليه أنا.. ليه أنا.. طب عملت إيه.. اللى حبيته مارضيش يتجوزنى.. واللى حبنى ماقدرتش اتجوزه.. واللى باكرهه لازم أعيش معاه.. ليك حكمة؟! طب علامة.. اشارة.. عقلى عاجز يستوعب.. ارحمنى قبل ما اتجنن..

كانت سميحة تصيح فى جنون.. كأنها هى الأخرى فتحت باب بركان مشاعر ظنت أنها نسيتها.. فتحت فوهة بركان أغلقته طويلاً بكفيها وشفتيها المكممة.. كأن كفيها وشفتيها احترقا من طول الصمت فانفجرت مثلما انفجر أحمد زهدى يوماً.. وألقت بصورة دياب على المكتب فى عنف وغضب ليندفع نحوها ماجد وعينيه تدمع اشفاقاً وحباً، ثم أمسك بذراعيها ورغم الجبس الذى يكسو ذراعها اليمنى إلا أنه ضغط على ذراعيها بكل قوته وهو يقول:

سميحة.. اهدى.. علامة إيه اللى انتى عايزاها من ربنا.. أنا يمكن أصغر منك.. ويمكن زى مانتى دايماً بتقولى ما اتألمتش قدك عشان أعرف زيك.. لكن أقدر أسألك ظهورى فى حياتك مش علامة.. سميحة طول مانتى فى المستشفى أنا مافتحتش كتاب.. مارحتش الجامعة.. دا مش علامة من ربنا.. أم سعيد اللى واقفة بتترعش دى مش علامة.. أنكل دياب نفسه.. مش انتى قلتيللى انه كان ممكن يتألم ويتعذب أكتر قبل ما يموت.. دا مش علامة.. دا رجع من غيبوبته عشان يقولك أنه بيحبك.. مش أنتى قلتيللى كدا.. دا مش علامة يا سميحة.. مش إشارة مش رضا ورحمة من ربنا عليكى..

الألم اللى اتألمتيه فى حياتك وخلاكى اعقل منى يخليكى برضة



عايزة ربنا ينتقم؟! ومن مين؟ مين يا سميحة عمرو دا.. واحد حبيتيه؟! طب ما يمكن بعده عنك اكبر انتقام منه.. عايزة ربنا ينتقم من نوال؟! نوال دى أمى وأمك.. نوال دى كانت بتقعد جنبك كل يوم وانتى فى I.C.U .. عارفة اليوم الوحيد اللى ماجتش فيه كان امتى؟! كان يوم ما فقتِ ورجعت لوعيك.. ماقدرتش تبص فى عينيك.. دا مش انتقام يا سميحة؟!

كانت سميحة تنظر إلى ماجد فى استسلام وهو يتحدث ودموعه تسقط على وجنتيه وعاد ماجد يكمل:

رباب؟! رباب عملت كدا فى أمل.. وايه يعني؟! ربنا مش حيحاسبها ولا يغضب منها.. يبقى احنا نلومها.. احنا نحاسبها؟!

ابنك مات؟ تعرفى منين يا سميحة إن الجنين دا ماكانش حيتولد فيه حاجة.. وتتعذبى اكتر.. سميحة ربنا مش ظالم لو ظالم ماكانش أبداً قلبى بقى بيتقطع حواليكى دلوقتى.. بتكرهى علاء؟ أنا.. أنا اطلقك منه.. علاء بيترعب من بابا.. قوليها انتى بس.. قوليها وأنا أخليه يطلقك..

سميحة أنا بحبك وربنا كمان بيحبك..

وألقت سميحة برأسها على صدر ماجد.. الألم ليس وحده طريق الحكمة.. الحب الصادق أيضاً طريق آخر للحكمة!!

■ ■ ■

عندما جلست سميحة إلى جوار ماجد فى سيارته بعد نزولهما من شقة المساحة أغمضت سميحة عينيها ثم قالت:

ندمان يا ماجد؟!

والتفت إليها ماجد ليقول فى دهشة:

على إيه؟

كانت عيناها مازالت مغمضة كأنها لا تريد أن تسمع إجابته لأنها تعلم أنه سينفى وقالت:

على ظهورنا فى حياتك.. على كل الألم دا..

لاحت أطياف دمعة فى عينى ماجد الجميلة حاول أن يقتلها بابتسامة من ابتساماته المرحة فقال:

لو كدبت على الدنيا كلها مش حاكدب عليك يا سميحة.. أيوه ندمان.. ندمان قوى..

وشعرت سميحة بغصة فى قلبها.. كانت تريده أن يكذب ربما لهذا سألته.. لماذا ندرك الحقائق ونسعى إلى الهرب منها إن واجهتنا وأعادها صوته يقول:

حقيقى ندمان إنك اختى.. كان نفسى ماتكونيش عشان اتجوزك.. فاكرة لما شفتك فى بيتنا.. حسيت إنى عايز أحبك أصاحبك.. سميحة انتى حاجة مافيش منها.. مافيش منها..

وابتسمت سميحة لتقول:

الحب مش بيعيش يا ماجد والجواز أوقات بيبقى مجرد شكل وأحياناً لغز.. الاخوات حبهم بيعيش حتى لو خد ألف شكل وبقى ألف لغز.. ماجد.. تعرف بيت أحمد زهدى.

وأومأ ماجد برأسه قائلاً:



أنا كنت عنده اميارح.

وقالت سميحة فى هدوء:

خدنى هناك.. أنا عايزة أزوره قبل ما أروَّح.. عايزة أعمل كل حاجة لازم تتعمل قبل ما أروح أكتوبر ارتاح يومين وأتعود على الحياة هناك من جديد.. ثم أضافت بمرارة:

قصدى الحياة بشكلها الجديد... أنا حاكلم طنط عفاف أديها خبر..

كانت الساعة قاربت الثانية ظهراً عندما حادثت سميحة علاء لتخبره أنها ستتأخر قليلاً قبل أن تصعد مع ماجد إلى عمارة أحمد المطلة على نيل الزمالك..

كانت عفاف البندارى هى من فتح لهم باب المنزل.. كانت حقاً سعيدة برؤية سميحة واحتضنتها بين ذراعيها فى عناق صادق رغم الألم البعيد الذى كان يتجول فى صدر المرأتين..

عندما دخلت عفاف إلى ريسيبشن البيت وسميحة مازالت بين ذراعيها أصرت أن تجلسها على كنبة من الكانيه تواجه النيل وجلست عفاف إلى جوارها وهى تقول:

مش مصدقة يابنتى.. حمدلله على سلامتك..

وضحك ماجد قائلاً:

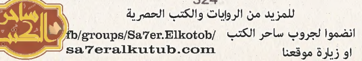
دا احنا لسه ماروحناش البيت.. من المستشفى على رباب على عندكم يا دكتور..

وابتسمت عفاف قائلة:

ماهو دا البيت برضه ياماجد.. رباب ازيها دلوقتى يا سميحة..

وتنهدت سميحة قائلة:

أنا اللى عايزة أسأل حضرتك.. رباب ما بتعملش أى استجابة..



وقالت عفاف فى ألم:

الصدمة كبيرة.. على العموم الدكتور محسن من أكبر دكاترة العصبية فى البلد.. ماتخافيش حتبقى كويسة..

وعادت سميحة تقول:

مش عارفة اشكرك ازاى.. دكتور محسن صبرى الناس بتحجز عنده بالشهور وحضرتك خليته يروح البيت ويتابع رباب وماجد بيقوللى مش راضى ياخد اتعاب..

وربتت عفاف على فخذ سميحة فى حنان وقالت:

دا دفعتى.. وانتو بناتى.. حنروحله العيادة سوا وتفهمى منه كل حاجة.. هو كمان محتاج معلومات.. انتى عارفة المشكلة كبيرة لأن التفاهم مع رباب صعب.. تشربوا إيه ولا اقولك نتغدى سوا.

وقالت سميحة فى اجهاد:

لا أنا حقيقى تعبانة.. عايزة أروَّح وآخد مولى فى حضنى.. أنا عايزة أشوف أحمد.. هو موجود..

ونهضت عفاف قائلة:

نايم.. حاصحيه.. لازم ترجعوا الشغل يا سميحة.

واستدارت تنظر فى عينى سميحة لتقول:

دى الحاجة اللى ممكن تعمليها لأحمد ولنفسك وللناس كلها.

وخفضت سميحة رأسها فى صمت.. هى تعلم ما تعنيه عفاف.. تعلم ما يمر به أحمد ولكن هل يعلم أحد على الأرض ما تعانيه هى.. قدرها أن تأخذ بأيديهم ولكن هى أيضاً ماكانت لتكون دون هذه القلوب التى تحيطها.

واشعلت سيجارة أخرجتها من حقيبتها ونظرت إلى النيل.. ما عساه



يقول لها.. ما عساها تقول له.. لا تعلم ولكن كان يجب أن تراه.. يجب أن تعود إلى بيتها وهى تعلم ما يدور فى رأس كل من يهمهم أمرها..

وقف أحمد زهدى ينظر إليها بعد أن ضمه ماجد إلى صدره لحظات.. لم تشعر بهما سميحة.. كانت غارقة فى النظر إلى النيل.. كانت ترتدى قميصاً من اللون الوردى الفاتح. كانت ظلاله تخفف من حدة شحوب لونها واصفرار وجهها الغارق فى الإجهاد والحزن.. وعندما قال لها زهدى:

حمدلله على السلامة يا سميحة..

أفاقت سميحة فى انتفاضة صغيرة وضعت بعدها سيجارتها فى منفضة السجائر الموضوعة إلى جوارها لتقف وتنظر إليه.. لم يكن حاله أفضل كثيراً من حالها رغم آثار النوم.. إلا أن وجهه هو الآخر كان شاحباً حزيناً.. كأن الإعصار ضرب قلوبهم جميعاً بنفس القسوة.. بذات العنف.

ثوان وكلاهما ينظر فى عين الآخر كأنهما يتفقدان النظرة التى اعتاداها.. كأن دهراً مر دون أن يرى أحدهما الآخر.. ولكن من قال إن الأيام العصيبة ليست دهراً طويلاً على قلوب أصحابها.. وجلست سميحة.. جلست دون حتى أن تصافحه وجلس أحمد على مقعد مواجه لها ليصبح النيل خلفه..

وجاءت عفاف يتبعها «سفرجى» يحمل بعض المشروبات أخذ كل منهم كوباً منها وقالت سميحة والكوب مازال معلقاً فى يدها:

أنا مرة زمان قلت لأحمد إنى باموت وإن شغله معايا حيحيينى ويقوينى.. النهاردة جاية أقولك يا أحمد إنى جربت الموت ورجعت بس عشان أعيش لبنتى واختى ومش حاقدر أعمل كدا غير بيكم.. عايزة نرجع الشغل.. عايزة.. عايزة أحاول أعيش كأن اللى حصل ماكانش.. إيه رأيك؟!



بعد لحظات من الصمت قال أحمد زهدى:

أنا يومها قلتلك إيه يا سميحة يادياب..

أنا بس بعد اللى حصل واللى كتبوه..

وقاطعته سميحة:

مش مهم اللى كتبوه.. مش مهم اللى قالوه أو حيقولوه.. احنا اللى بنكتب سطور حياتنا.. انت معايا؟!

وجاء صوت عفاف كأنه ينبه سميحة ويوقظها قائلة:

أحمد زهدي أخوكى يا سميحة.

وقالت سميحة:

لأ مش بس أخويا..

ثم عادت تقول فى صوت خفيض:

دا سندى وعونى.

وقالت عفاف فى ابتسامة مريرة:

هو الأخ إيه لو ماكانش سند يا سميحة.. ربنا يخليكم ويخليك يا ماجد..

كانت عفاف تعلم أن سميحة أيضاً تحب زهدى.. لكنها مازالت لا تعلم لم رفضته يوم طلبها للزواج.. مازالت لا تعلم أن سميحة وحدها تتألم يوم ظنت أن عفاف ستكون نادية أخرى.

ونظرت سميحة إلى ماجد وهى تقول:

أحمد.. فكر نرجع بابه؟! أنا محتاجة يومين اتنين..

يللا يا ماجد من فضلك.. انا تعبانة.. عايزة أروّح.. عايزة آخد أمل فى حضنى وأنام!





كل شىء تقريباً عاد كما كان.. سميحة وأحمد زهدى ظهرا فى حلقة رائعة شكرت فى بدايتها سميحة الجميع.. قالت إن الألم جعلها أكثر إصراراً على طريقها.. قالت إن التجربة التى خسرت فيها جنينها علمتها أن تنصر كل مظلوم جعله الظلم يخسر حلماً أو عمراً.. قالت إن الشائعات التى اطلقوها جعلتها أكثر تصميماً على المضى فى طريق الصدق والحق.. قالت إنها تحلم بتغيير اسم برنامجها من حوارات ممنوعة إلى حوارات مباحة.. تحلم بأن يصبح الصدق والشفافية طريقاً مباحاً.. قالت سميحة إنها تهدى كل من تألموا معها فى محنتها زهرة ووعداً صادقاً بأن تبقى دوماً تتحرى الحقائق وتكشف المستور مادام سينير دروب من وقع عليهم ظلم أو سُلب منهم حق..

كل شىء عاد كما كان.. علاء لطفى أكثر سعادة.. أنه يظهر مع سميحة فى كثير من المناسبات ليؤكد الاثنان أن كل ما كان مجرد شائعات دنيئة لا مكان لها من الإعراب فى سطور حياتهم الزوجية.. علاء لطفى سعيد بانتصاره الكبير.. أم سعيد وسيد سيقبضان راتبهما من سميحة إلا أن علاء وحده يضع على شفاههم الحروف ويرسم لهما الطريق.. حتى سيد عاد إلى الڤيلا أكثر انقياداً وانكساراً.. ماجد رسلان عاد إلى الجامعة أكثر توهجاً وحماساً.. طاهر رسلان سعيد بسميحة وماجد.. نوال عادت إلى صمتها ولكن علاء مازال لا يكف عن أحلامه بدخولها بيتهم.. لا هى ترفض ولا هى توافق.. حتى مولى الصغيرة بدأت ندبات جروح غرزها الأربع تأخذ طريقها إلى الذوبان.. أخذتها سميحة إلى رباب.. مولى رمت بنفسها بين ذراعى رباب كأن شيئاً لم يكن.. سميحة تركض كل يوم بين رباب وطبيبها النفسى وبين علاء ومولى..



كل شيء تقريباً عاد كما كان.. إلا أن سميحة مازال فى قلبها ثورة.. مازال فى رأسها ألف سؤال.. سميحة مازالت لا تعلم بعد ثلاثة أسابيع من خروجها من المستشفى كيف تحيا مع علاء.. كيف تمنحه جسدها وهى أبداً لا تنسى ما فعله برباب أمام عينيها.. مازالت كلمته تدوى فى رأسها كلما وضعته إلى جوار رأس علاء على الوسادة.. كل هذا كان يدور فى رأسها الصغير وهى تجلس أمام المرآة وعلاء يقف أمام الدولاب يتحدث وهى لا تسمعه حتى صاح قائلاً:

إيه يا سميحة قلتى إيه.. حتعملى إيه؟!

ونظرت سميحة إلى وجهه فى المرآة لتقول فى صوت خفيض:

بلاش عزومة النهاردة.. أمل عندها تطعيم وأنا أخدت ميعاد من الدكتورة عفاف.. أنا كمان دراعى لسه ما بيتحركش كويس بعد الجبس ومواعيد العلاج الطبيعى..

إلا أن علاء تقدم نحوها ليضع ذراعيه حول ذراعيها ويتسلل بكفه إلى صدرها قائلاً:

سميحة.. لازم نروح.. اسمعى.. ننزل عربيتين.. خدى منى وأمل مع سيد.. خلصوا التطعيم وأنا آجى آخدك من عند العيادة وأمل ومنى يرجعوا البيت مع سيد..

سميحة تعلم أنه يصر على اصطحابها إلى أى دعوة عمل يدعى إليها.. سميحة تعلم أن وجودها معه يسهل له أموراً كثيرة.. سميحة أيضاً تعلم أن ظهورهما معاً أمر مطلوب بعد كل ما حدث ولفترة طويلة.. هى لا تملك أن تلومه.. لا تملك أيضاً أن تحرمه من هذا فقالت فى تأفف:

يعنى أروح عيادة عفاف بهدوم سواريه.

وعاد علاء يتحسس صدرها فى نهم قائلاً:

سواريه ليه بس يا سميحة.. دا عشا.

ونفضت سميحة ذراعيه قائلة:

طيب سبنى عشان ألبس.. قول لمنى تلبّس أمل.. الساعة داخلة على تمانية.. احنا ميعادنا تسعة..

وضع علاء جاكيت على قميصه الأبيض وهو يقول:

طيب.. أنا حاجيلك قدام العيادة تسعة ونص حاشترى حاجة فضة. احنا رايحيين بيتهم..

ومضى علاء خارج الغرفة واختارت سميحة جوب حريرية من اللون الأبيض عليها زهور صغيرة متناثرة من ألوان وردية وفروع خضراء صغيرة.. كانت تقف على أعلى حدود ركبتها.. وارتدت قميصاً حريرياً وردياً قصيراً.. وأخرجت شالاً مستطيلاً من الحرير الأخضر فى لون ثمرة فزدق حلبى لتضعه على كتفيها وظهرها العاريين.. بعدها حاولت أن تجمع شعرها إلا أن ذراعها خذلتها.. فتركت شعرها البندقى الغزير ينسدل على ظهرها العارى.. وبعد أن انتهت من مكياجها الخفيف الرقيق وضعت قطرات من عطر «جيفنتشى» على عنقها الأبيض وخلف قرطها الماسى ثم ارتدت حذاء أبيض له كعب ٧سم وحملت حقيبتها الصغيرة لتنظر إلى المرآة فى حزن كبير.. انها أجمل من كل الأيام السابقة ولكن مازالت تشعر بثورة كبرى بين ضلوعها.. مازالت تشعر بظلم كبير.. مازالت تشعر أنها تشرب من كأس لا تريده.. وتخطو على طريق يدمى قدميها.. حتى ابتساماتها الضيقة لم تعد تقوى على استدعائها إلا نادراً.. بل إنها لا تظهر إلا أن ضمت مولى أو لاحقها ماجد بدعاباته..



وتنهدت وهى تحمل مولى على ذراعيها.. مولى جميلة أصبحت تخطو وزادت حصيلة كلماتها.. وهبطت أمل من على ذراع منى لتصيح فى فرحة:

مامى..

وأمسكت سميحة بكف أمل بين يديها ليهبطا سلالم البيت..

كانت أمل ترتدى شورت أحمر وتى شيرت مرسوماً عليها وجه مينى أحب شخصيات ديزنى إلى قلبها.. إنها طفلة رائعة جميلة تشبه رباب كثيراً.. بشرتها البيضاء.. عيناها السوداء الواسعة وشعرها الأسود الغزير.. غير أن أمل لها شفاه سميحة المستديرة، إن أمل هى ابتسامة قلب سميحة الوحيدة..

بعد أن انهت سميحة زيارتها لعفاف كانت أمل مازالت تبكى على ذراعى منى بعد أن حقنتها عفاف بالتطعيم.. عندما حاولت سميحة الخروج بها رفضت عفاف أن تتركها تخرج وهى تبكى.. وأخرجت لها من درج مكتبها بعض الحلوى ودباً صغيراً أخذت تداعبها به لتهدأ.. وفى تلك اللحظات دق هاتف سميحة الصغير.. واستأذنت من عفاف لتخرج لحظات تحادث فيها علاء بعيداً عن بكاء أمل..

اخبرها علاء أنه فى الأسفل بانتظارها وأخبرته أنها ستكون معه بعد لحظات.. فى اللحظة التى أغلقت هاتفها واستدارت لتعود إلى مكتب عفاف سمعت صوته يقول:

سميحة؟! سميحة دياب؟! مش ممكن.

ورفعت عينيها تنظر.. كان هو.. كان جالساً على أحد مقاعد الانتظار فى عيادة عفاف البندارى وهب واقفاً ليتجه نحوها.. وعادت سميحة تغلق عينيها وتفتحهما من جديد.. انه هو.. هو.. عمرو جابر..



ومد كفه يصافحها ومدت كفها نحوه وهى مازالت غارقة فى ذهولها.. كما هو.. شعره المجعد القصير عيناه الجميلة.. شفتاه المستديرة التى طالما التهمت شفتيها.. كل شيء فى عمرو كما كان.. لكن لا شيء فى قلبها أبداً كما كان.. قلبها يسكنه النسيان.. قلبها يسكنه أحمد زهدى الآن. لقد نست وصفحت.. علمها زهدى أن الحب يمحو الغضب.. يمحو الأحزان.. وابتسمت فى هدوء وهى ترقبه يتفحصها بجنون.. انها أجمل من كل يوم رقدت فيه بين ذراعيه.. أنها أجمل حتى مما يراها على شاشة التليفزيون.. إنها أكثر أناقة وسحراً من أى مرة رآها فيها.. من أى ليلة حلم فيها بها.. وأرخى عينيه ينظر إلى صدرها الذى كان يطل من تحت ملابسها.. مازال جميلاً مثيراً.. كم افتقدها.. كم تاق إليه وإليها..

وأفاقت سميحة لتقول فى صوت مبحوح ضائع:

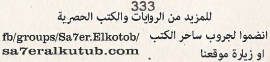
ازيك يا عمرو؟! بتعمل إيه هنا؟!

والتفتت تنظر حيث كان يجلس لتراها.. رأت نادية تجلس على أحد المقاعد وبجوارها طفلة فى حوالى الرابعة من العمر.. وتقدمت سميحة نحو نادية التى وقفت تصافحها فى تردد كبير.. كانت سميحة تشعر بسعادة كبرى وهى تصافح نادية.. كأنها أرادت أن تراها وهى فى قمة نجاحها وجمالها وأناقتها.. كانت تشعر أنها ترد لها صفعة كبرى مازالت روح سميحة تتذكر قسوتها بعد كل هذه الأعوام.. وأرادت سميحة أن تظهر قدر أكبر من اللامبالاة والانتصار فالتفتت تسأل:

بنتك يا عمرو؟!

وطأطأ عمرو رأسه قائلاً:

أيوة بنتى..





وقبل أن تنحنى سميحة لتقبّلها رفعت الصغيرة رأسها لتنظر إليها وشهقت سميحة رغماً عنها.. شهقت شهقة مكتومة.. إن الصغيرة «معوقة».. الصغيرة واضح على ملامحها أنها من الأطفال المنغوليين.. وعادت سميحة تنظر إلى نادية فى ألم.. كأنها تعتذر عن كل التعالى الذى حاولت رسمه.. عن كل اللامبالاة التى حاولت وضعها على ملامحها.. لا أحد على الأرض يعلم شعور نادية وعمرو مثل سميحة وقالت وهى لا تعلم ماذا يجب أن تقول:

ربنا يخليك ليها يا عمرو.. دول.. دول.

غير أن سميحة أفاقت على صوت مولى وهى تشدها من ثوبها قائلة:

مامى.. شوفى شوفى..

كانت أمل خرجت من غرفة عفاف تحمل ما منحتها إياه بين يديها..

وانحنى عمرو يحمل أمل بين يديه وهو يقول:

بنتك يا سميحة.. اسمها إيه؟!

ورغماً عنها سقطت من عينها دمعة صغيرة وهى تقول:

أمل.. يللا يا حبيبتى پاپى مستنينا تحت..

والتفتت تصافح نادية ورأت سميحة بين جفنى نادية دمعة.. كأنها تعتذر.. كأنها تستغفر.. كأنها تطفئ بها حريقاً اشتعل أعواماً فى عروق سميحة وقبل أن تنطق نادية أو سميحة حرفاً جاء صوت عفاف من خلفها يقول:

أهلاً.. استاذة نادية.. أهلاً يا ملك.. اتفضلوا..

واحتضنت عفاف سميحة وهى تقول:

نتقابل يوم السبت عند رباب مع الدكتور محسن يا سميحة باى يا



أمل.. باى يا روحى..

ووقفت سميحة ترقب نادية وهى تدخل مع عفاف وقفت لترقب عمرو وهو ينظر إليها كأنه يستجديها كلمة.. وقفت ترقب «ملك» الصغيرة وهى تتعثر فى خطواتها خلف نادية.. ولم تقل شيئاً.. ومن ذاك الذى يستطيع قول حرف إن قالت الأقدار كلمتها!!

■ ■ ■



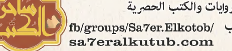
شهران منذ خروج رباب وأم سعيد من ڤيلا علاء لطفى.. شهران وكلاهما تزداد نحولاً وذهولاً. أم سعيد تشعر بذنب كبير لا تعلم أين تهرب منه.. كلما رفضت رباب الطعام.. كلما جاء الطبيب وحقنها بالأدوية.. كلما بكت سميحة.. كلما قامت أو نامت تشعر بذنب كبير لا تعلم أين تهرب منه.. إنها تكتوى بكل قطعة تجلس عليها فى بيت دياب.. تكتوى بكل كسرة خبز تأكلها من نقود سميحة.. أم سعيد تشعر أن رباب ستشفى فقط إن عرفوا الحقيقة، لكنها مازالت خائفة.. مازالت تشعر أن علاء سيلقى بها هى وسيد إلى السجن.. تماماً كما قال لها «من السجن إلى التربة».. ليتها حقاً تعلم كيف تذهب إلى التربة.. لم تعد تحتمل.. إنها ترى وجه منصور يطاردها فى كل ركن.. تراه يسألها لماذا لا تبرئ ساحة رباب.. لماذا تظلمها وتتركها مظلومة فى عين الآخرين؟!

رباب لم تجن.. أم سعيد هى التى اقتربت من الجنون.. لقد شكت للدكتور محسن من قلة نومها وشهيتها.. أخبرته بالكوابيس التى تطاردها.. منحها الدكتور محسن أقراصاً منومة ولكنها تخاف أن تأخذها فلا تشعر برباب.. إن رباب تزداد ضعفاً وذهولاً.. لو تشفى رباب.. قد تصفح أم سعيد عن نفسها ولكن كأن رباب تعاقبها بصمتها.. بشرودها وبضعفها.

منذ الصباح لم تأكل شيئاً.. منذ الصباح لم تضع قطرة ماء بين شفتيها.. أم سعيد لا تعلم ماذا تفعل.. هل تحادث سميحة.. ماذا تراها تفعل.. ستحضر إليها وتحادث الطبيب وتبكى إلى جوارها فى صمت ثم ترحل.. يجب أن ترحل سميحة.. لديها بيت وطفلة وعمل..

ونهضت أم سعيد من على مقعدها الذى تجلس عليه فى غرفة رباب





وذهبت إليها تحمل الصحن الملقى إلى جوارها منذ الصباح ومدت يدها تأخذ ساندوتش الجبنة الذى تحبه رباب وقالت من خلف دموعها:

عشان خاطرى الله يسترك يابنتى ارحمينى.. وكلى دا بس..

ووضعته إلى جوار فمها إلا أن رباب اشاحت بوجهها فى هدوء وضعف لتجلس إلى جوارها أم سعيد قائلة:

أعمل إيه؟! إيه اللى يرضيكى.. أقول للست سميحة.. أقولها يارباب.. طب لو رحت السجن مين يقعد معاكى.. حيجيبوا واحدة تانية تراعيكى.. عندك حق.. خلاص أقولها.. اترمى فى السجن يا رباب.. وسيد.. طب سميحة عشان خاطرها بلاش عشان خاطرى.. رباب يابنتى ارحمينى.. أنا خلاص حاتجنن..

لكن رباب كانت كعادتها تنظر إليها فى ذهول.. غير أن أم سعيد كانت ترى خلف ذهولها لوماً كبيراً.. كانت ترى فى عينيها صرخة وتسمع أنيناً حاداً يمزق ضلوعها.. وهبت أم سعيد تخرج من الغرفة.. لا تستطيع البقاء إلى جوارها أكثر.. ستخرج من هنا.. ستخبر سميحة أنها لن تستطيع.. هل تغضب سميحة.. هل تقول عن أم سعيد أنها تخلت عنهما.. هل تقول عنها دنيئة.. فلتقل.. إنها الحقيقة.. لن تبقى..

وفى طريقها إلى الهاتف رفعت رأسها لتسأل أين تذهب؟! إلى سيد؟! لم تره منذ طردته من هنا.. كأنها تعاقبه.. كأنها تعاقب نفسها بعدم رؤيته.. أين تذهب؟.. أبعد كل ما فعلته تترك رباب وحدها.. ولطمت رأسها بكلتى كفيها.. إنها تجن.. تجن.. وعادت إلى غرفة رباب بعد أن أخذت قرصاً من تلك الأقراص التى أعطاها إياها الطبيب

واستلقت على الأرض تحت سرير رباب.. إنها تنام هنا تحت قدميها كأنها تعاقب نفسها وحاولت أن تغفو.. إنها التاسعة مساء.. فى الصباح إن لم تأكل رباب شيئاً ستحادث سميحة.. ستحاول فقط أن تنام.. وقبل أن تغلق عينيها تماماً أو هكذا شعرت سمعت أم سعيد صوته يناديها قائلاً:

البنات اتفرقوا يا أم سعيد.. اتفرقوا؟!

وانتفض جسدها مذعوراً.. إنها نائمة.. لا.. إنها مستيقظة.. إنها لا تعلم.. لا.. هى نائمة.. إنه حلم.. يجب أن تصحو وعاد يسألها قائلاً:

خايفة منى يا أم سعيد.. طب ليه ماخفتيش من ربنا.. البنات اتفرقوا يا أم سعيد.. ليه.. هى رباب عملت إيه.. بتحبى سيد اكتر منها.. ليه يا أم سعيد؟!

وصاحت أم سعيد فى جنون:

أنا طردته.. أنا أهو تحت رجليها على الأرض أنا.. أنا أعمل إيه؟!

وأخذت تلوح بذراعيها فى الهواء كأنها ترفض أن تراه كأنها ترفض أن تسمعه.. هو الذى يجب أن يراها ويسمعها ويفهمها.. منصور دياب يجب أن يرحمها.. انه فى رحمة الله فلِمَ يأتى ليعذبها.. وعادت تصيح وتهمهم فى جنون حتى وجدت نفسها تنتفض وتجلس فى فراشها.. كانت تبكى فى جنون.. إنه حلم.. حلم.. ليس كابوساً كان منصور يسألها.. من حقه أن يسألها ولكن هى لا تعلم الإجابة.. وهبت من فراشها واقفة تستغفر الله والتفتت تنظر إلى وجه رباب ورأتها نصف جالسة فى سريرها تنظر إليها ذات النظرة التى لا يفهمها أحد سواها، وخرجت أم سعيد بعيداً عن غرفة رباب.. لن تستطيع الصمود أكثر.. أبداً لن تستطيع الصمود وبعد وقت طويل قررت أم سعيد أن



تفعل ما تستطيع فعله.. عندما يعجز الإنسان عن فهم شيء.. عندما يعجز عن مواجهة شيء فهو يجب أن يحتمى بشخص يحبه.. أم سعيد لن يهدئها وينير قلبها وروحها سوى شخص واحد.. شخص واحد فقط بإمكانه أن يعود بها إلى خطى العقل والصواب..

■ ■ ■



نكّس الدكتور محسن رأسه فى ألم ثم عاد يقول:

سميحة هانم.. مش عارف أقولك إيه.. لازم ننقلها المستشفى.. لازم تاخد محاليل.. كدا ممكن تروح..

ومن خلف دموعها قالت سميحة:

ننقلها.. ننقلها.. أنا حا أقعد معاها فى المستشفى.

وقاطعها الدكتور محسن قائلاً:

شوفى.. أنا خايف من خطوة المستشفى دى.. ماكانش نفسى أبداً نلجأ ليها.. أنا خايف إن رباب تفهم إن إحنا بنخرجها من حياتكم.. خايف تتخيل أن انتو بتعاقبوها يامدام سميحة.. خروجها من بيتك بعد اللى حصل ممكن تكون فاهماه إنه عقاب ليها.. خروجها من هنا كمان ممكن يكون صدمة أكبر.. خايف ماتستحملهاش..

وعادت سميحة تسأل:

طب إيه الحل؟!

بعد لحظات من الصمت قال:

مش عارف.. أنا حاسس إن فيه حلقة مفقودة.. هل عندها شعور بالذنب على اللى عملته فى بنتك.. ولا زهد فى الحياة ولا شعور بالخوف والضياع.. أو دا كله مع بعض؟ أنا مش عارف.. على العموم أنا حاعمل حاجة.. حاكلم ممرضة من المستشفى تيجى تقعد يومين معاها تعلقلها محلول وجلوكوز وانتى حاولى.. شوفى مين اللى بتحبه وإيه اللى بتحبه ونحاول نعمله يمكن تستجيب.. أنا مش عايزها تروح المستشفى.. خايف من رد الفعل..

وألقت سميحة برأسها بين يديها.. إنها حائرة ممزقة هل تطلب من علاء أن يسمح لرباب بالعودة إلى السليمانية.. أبداً لا يسمح لها



كبرياؤها بذلك كما أنها تثق أن علاء هو آخر من تريد رباب رؤيته.. ورباب أيضاً آخر من يريد علاء رؤيته.. لا تعلم.. لا تعلم.. سميحة لم تعلم متى غادر الدكتور محسن البيت.. وهل كانت فى وداعه أم لا.. لا تعلم.. كل ما أفاقت عليه هو نحيب أم سعيد وهى تصرخ باكية:

سايقة عليكى النبى يابنتى خلينى أكلمه.. ورحمة الغالى خلينى أكلمه..

ومن خلف ذهولها وضياعها سألتها سميحة من هذا الذى تريد أم سعيد محادثته فأجابت:

الاستاذ عبد العزيز.. صاحب منصور بيه.. شوفى نمرته فين يا سميحة وخلينى أكلمه..

وعادت سميحة تسألها فى ذهول:

عبدالعزيز مين يا أم سعيد.. أنا مش فاهمة..

كان بكاء أم سعيد وذهولها أكبر من أن تتجاهله سميحة حتى وهى تفكر فى محنة رباب.. أم سعيد كانت تنتفض فى ذعر كبير.. عندما أخبرتها أم سعيد بأنه صديق دياب الذى يعمل لديه سعيد سائقاً سألتها وهى لا تفهم:

أم سعيد حبيبتى.. أهدى.. عايزة تكلمى سعيد.. اطلبيه الموبايل بتاعك فيه رصيد.. خدى تليفونى اتكلمى منه قد مانت عايزة.

وعادت أم سعيد تقاطعها وقد بدأ صوت بكائها يهدأ قليلاً:

لأ.. أنا عايزة أكلم الأستاذ عبدالعزيز.. أنا كلمت سعيد وقالى لازم يستنى كمان خمس شهور وإن الاستاذ مش حيرضى ينزله ولا يديله فلوسه.. أنا عايزة أكلم الاستاذ نفسه..

وشهقت شهقة بكاء كبيرة لتنظر فى عين سميحة وتقول:



عايزة ابنى يا سميحة.. عايزاه.. عايزاه يكون بكرة عندى.. خلاص مش قادرة..

لأول مرة ترى سميحة أم سعيد بهذا الشكل.. لم ترها يوماً بهذا الانهيار وهذا الخوف، ولكن ربما كانت على حق.. من حقها فى كل هذا الألم وكل هذا السواد أن تشتاق إلى ابنها الذى تحب.. لو كان هناك طريق على الأرض يقود سميحة إلى رؤية دياب ولو لحظات لسلكته وإن كان فيه هلاكها.. ربما كانت أم سعيد تشعر أنها تموت وتريد رؤية ابنها.. ربما كانت تشعر أنها خائفة وتريد مساندته.. فى عينيها ذعر.. فى عينيها خوف وضعف يستحقان الرحمة.. ونهضت سميحة فى خطواتها التائهة لتخطو إلى غرفة دياب وأخرجت من مكتبه أجندته القديمة وهاتفه الصغير لتضعه فى مكبس الكهرباء ثم فتحته وأخذت تبحث حتى وجدت رقم عبدالعزيز.. هى أيضا تعرفه جيداً وطلبت رقمه من هاتفها وحين جاء صوته قالت فى هدوء:

أنا سميحة.. بنت منصور دياب يا أستاذ عبدالعزيز..

وقال الرجل فى سعادة:

بنت الغالى.. أهلاً يا أستاذة..

وبعد لحظات من التردد قالت:

استاذ عبدالعزيز.. أنت عارف أن أم سعيد هى اللى ربتنا.. اختى رباب حالتها الصحية وحشة جداً ودا مأثر بشكل واضح على اعصاب أم سعيد.. هى عايزة تكلمك أرجوك.. أرجوك تسمعها وتريحها.. أرجوك..

ونهضت سميحة بهاتفها الصغير لتخرج به إلى أم سعيد حيث وجدتها فى غرفة رباب تنظر إليها من خلف دموعها لتمد يدها



بالهاتف اليها قائلة:

اتفضلى يا أم سعيد.. الاستاذ عبدالعزيز معاكى..

وخرجت سميحة وأغلقت خلفها الباب لتترك أم سعيد وحدها تنظر إلى الهاتف الصغير فى يدها لثوان وهى لاتعلم ماذا تقول لكنها نظرت إلى وجه رباب ووضعته على أذنها وقالت:

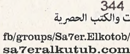
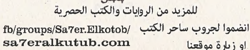
استاذ عبدالعزيز بيه أنا عارفة انك شرطت على سعيد مايرجعش الا بعد الكام سنة بتوع العقد مايخصلوا عارفة.. لكن أنا.. أنا عمرى ما كلمت حضرتك لكن وحياة حبيبك النبى أنا عايزة سعيد.. عايزاه اسبوع.. بلاش تديله فلوسه.. لو مارجعش تانى خدهم.. سايقة عليك الرسول أنا عايزة ابنى لو ماشفتوش انا حاتجنن.. حاتخنق.. الله يسترك اديله اجازة..

وأجهشت فى البكاء.. لا تعلم ماذا تقول.. لا تعلم أي شىء سوى انها تريد سعيد.. تريد أن ترتمى على صدره وتخبره بالحقيقة.. سعيد سيحميها.. سعيد سينير لها رأسها.. سيد ضعيف ولا يستطيع الوقوف أمام علاء وأخوه ولكن سعيد وحده سيقف إلى جوارها.. ألا تستحق أن يقف أحد إلى جوارها.. كانت تبكى وكان عبدالعزيز ينتظر أن يسمع منها شيئاً يفهمه.. لكن بكاءها كان أقوى من أى لغة كانت فقال بعد لحظات:

انت أمه ومادام طلبتيه لا يمكن أقول غير حاضر..

ابشرى.. سعيد وكل حقه ومستحقاته حيكون عندك فى ظرف اسبوع.. اخلّص اوراقه ولو حب يرجع أهلاً وسهلاً.. حبيتى تخليه عندك أهلاً وسهلاً.. كله إلا رضا الأم وسعيد خدمنا بإخلاص..

حاضر يا ست أم سعيد حاضر..

وعلا صوت بكائها وهى تدعو له دعوات كثيرة لا تعلم ماذا قالت فيها ولكن كان قلبها يرفرف بين ضلوعها.. وعادت تنظر إلى وجه رباب كأنها تقول لها إنها ستهدأ.. ستصبح قوية.. بعودة سعيد ستصبح قوية وعندما تصبح أم سعيد قوية ستخبر سميحة.. ستبرئ رباب.. عودة سعيد ستعيد السلام إلى كل القلوب وترفع كل الرؤوس عالياً..

■ ■ ■



ركضت عزيزة على سلالم بيتها فى مدينة الشيخ زايد.. يجب أن تصل بسرعة قبل أن يصل الحاج محروس.. لقد طلبها سعيد أكثر من مرة وهى فى الطريق.. لم تستطع أن ترد عليه وهى تستقل الميكروباص.. بل لقد أرسل لها رسالة يقول لها فيها إنه يريدها فى أمر عاجل.. وأغلقت باب البيت بالمفتاح وتركت المفتاح داخل الثقب ومرت تتجول في الغرف تتأكد من عدم وجود أحد.. يجب أن تحادث سعيد وهى مطمئنة وألقت بحجابها الأخضر على السرير واستلقت إلى جواره وهى تطلب رقم سعيد وقالت فى لهفة:

سعيد.. حبيبى خير؟!

وصاح سعيد كالمجنون:

عزيزة.. انتى فين.. أمى مالها يا عزيزة.. أمى مالها؟!

وقبل أن تجيب انطلق سعيد يكمل قائلاً:

أمى كلمت الاستاذ عبدالعزيز عشان أرجع.. فيه إيه.

وأجابت عزيزة فى ذهول:

ماعرفش يا سعيد.. أمك بقالها أكثر من شهر مادخلتش الحارة.. وكل ما اطلبها فى التليفون ماتردش وإن ردت تقفل فى الكلام زى ما تكون قرفانة منى.. والله ماعرف.. هو إيه اللى حصل؟!

وأجاب سعيد وهو لا يعلم إن كان يجب أن يكون سعيداً أم حزيناً قائلاً:

أنا راجع.. راجع بعد يومين.. الراجل خلصلى التأشيرة وإدانى كل فلوسى يا عزيزة.. أنا حاركب بعد يومين..

وأكمل سعيد وهو شبه تائه:

أنا كلمتها.. ماقالتش حاجة.. بتعيط وبتقول أمك بتموت.. أخوك



قتلها.. لما سألتها عليكى يا عزيزة قالتلى انساها.. انساها خالص.. فيه إيه؟!

عزيزة لم تسمع حرفاً مما قاله سعيد.. عزيزة لم يبق فى رأسها سوى كلمة «يومين»..

سعيد سيعود بعد يومين.. يومين..

واطلقت عزيزة صرخة صغيرة صاح بعدها سعيد قائلاً:

عزيزة؟! ياناس ارجمونى.. فيه إيه.. عزيزة؟! سامعانى؟!

وفى لوعة كبيرة خرج صوتها ممزقاً لتقول:

يومين! جاى بعد يومين يا سعيد.. يومين؟!

شىء كبير يحدث.. شىء كبير يدور.. شىء يجب أن يعلمه شىء لا يستطيع حتى انتظار مرور اليومين ليكتشفه.. يجب أن يعلم.. وصاح:

عزيزة؟! مش عايزانى.. انتى مش عايزانى أرجع.. انساكى ليه؟! عملتى إيه؟! سيد عمل إيه..

وفى ذهول قالت:

بجد راجع؟! بجد..

وعاد سعيد يصيح فى جنون:

والله راجع بعد يومين.. الجواز فى إيدى وبكرة حاعمل تحويل لكل الفلوس.. حاعمل تحويل على الراجحى يا عزيزة.. معايا مية ألف تقريباً.. يا حبيبتى فيه إيه.. انتى عملتى حاجة غلط يا عزيزة.. سيد عمل معاكى حاجة..

ومن خلف دموعها الكثيفة ومن خلف سحب حيرتها وجنونها قالت:

يمكن.. يمكن خالتى شايفة إن شغلى وحش أو مش عارفة.

وصاح سعيد يقول:

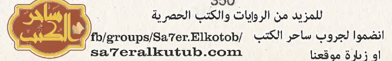


بتحبينى؟! بتحبينى يا عزيزة.. شاريانى لسه؟!
وقاطعته قائلة:
بعمرى كله.. بعمرى يا سعيد..
وعاد سعيد يقول:
اسمعى يابنت الناس.. بكرة قدمى استقالتك.. من بكرة ماتروحيش المستشفى دى تانى.. حتى لو عملتى حاجة غلط.. مين قال إنى كنت هنا ملاك.. طول ما ضميرنا صاحى وبنندم ممكن نبقى كويسين.. أنا مسامحك يا عزيزة وعايز أتولد معاكى.. يوم ما أحط رجلى فى مصر.. انتى وأمى حتبقوا على راسى من فوق.. عزيزة باقولك معايا مية ألف.. نجيب شقة ونتجوز ياعزيزة.. كفاية ذل بقى..
أنا حاركب الأتوبيس لغاية ضبا وبعدين أركب العبَّارة.. حاوصل بالليل سفاجا.. نكتب الكتاب هناك يا عزيزة ونرجع مصر ندور على شقة.. فاهمة يا عزيزة.. وحياة عينيك ما يعدى اسبوع غير وانتى نايمة فى حضنى فى بيتنا.. عزيزة.. سمعانى؟!
وقالت فى ألم:
أنا حاجيلك سفاجا يا سعيد.. حاجيلك.. أنا بكرة حاسيب الشغل.. بس مش حاقول لأمى.. حاقولهم عندى نوباتشية وأبات فى سفاجا.. حا أقابلك فى المينا يا سعيد..
وبدأ صوته يهدأ.. لا يهمه ما قالته أمه عن عزيزة لن ينساها.. لقد انتظرته طويلاً.. لن يتركها.. لن ينساها، عزيزة ملاك والملائكة لا تخطئ.. هو كفيل بأم سعيد.. هو كفيل بإرضائها.. وأرسل سعيد لعزيزة ألف قبلة وألف وعد.. انتهى العذاب.. أم سعيد انهت كل شىء.. لم يكن يظن أبداً أن عبدالعزيز سيطلق سراحة بهذه السهولة..



سيعود.. سيعود.. ليولد معهم من جديد.. ولم يغضب سعيد عندما تعجلت عزيزة انهاء المكالمة.. أخبرته انها يجب أن تمهد منذ اللحظة لترك عملها.. وتركها على أن تحادثه فى الغد بعيداً عن جميلة لتخبره باستقالتها.. بل أخبرته عزيزة إنها ستحادث أم سعيد وربما تذهب إليها.. سيحضر وأمه راضية عنه وعن عزيزة وأغلقت عزيزة مع سعيد الخط ونظرت حولها فى جنون.. يومان.. يومان فقط يجب أن تنهى فيهما كل شىء مع الحاج محروس.. يومان يجب أن تعود فيهما عزيزة كما كانت.. لا.. ليست كما كانت.. ستعود ومعها سيارة جديدة مازالت تحت غطائها اسفل العمارة.. ماذا تقول للحاج محروس.. ماذا تفعل معه؟! لا تعلم ولكن يجب أن تنهى كل شىء فى هذه الليلة.. الوقت قصير.. أقصر من التمهيد والمقدمات.. ونهضت من فراشها ودخلت تغتسل وتحت الماء كانت تفكر.. ماذا تقول له لم يعد مولعاً بها وهذا سيساعدها.. أصبح أكثر بخلاً وأكثر عصبية.. بل أصبح كثيراً ما يضربها.. لقد ملّها الحاج محروس.. ربما كان هذا هو أفضل مدخل تدخل منه إلى ماتريد.. بل لا مدخل أمامها سواه.. وارتدت قميصها الأسود ومشطت شعرها فى هدوء ثم سكبت بعضاً من العطر على ملابسها.. يجب أن تبدو طبيعية هادئة وأيضاً حزينة.. ولكنها ليست حزينة.. إنها لا سعيدة ولا حزينة إنها ترتجف خوفاً.. سعيد سيعود.. سينتهى الكابوس.. ستخبره عن أمر الشقة.. وستخبره عن أمر السيارة.. ولكن هل يصدق سعيد أن عملها فى المستشفى لمدة عام ونصف العام يجعلها تملك شقة كهذه وسيارة..

وهزت رأسها فى عنف.. لن تخبره.. ستغلق الشقة.. ستخبره فقط عن أمر السيارة.. من حقها وحقه أن يركبا السيارة معاً.. ستجلس إلى



جواره كأى امرأة أخرى يجوبان شوارع القاهرة ويشتريان مستلزماتهما.. الشقة ستجد لها حلاً آخر..

وعادت عزيزة تدق رأسها بكفها فى قسوة.. كل هذا لا يهم الآن.. ما يهم هو الحاج محروس.. ماذا سيفعل؟! هل يقبل بسهولة.. إن لم يقبل ستهدده بالحاجة نعيمة.. عزيزة هى الأقوى.. ورقة الزواج العرفى معها وحدها.. الحاج محروس أبداً لن يقاوم.. إن لاعبها ستهزمه.. إنه يرتعد من نعيمة كما ترتعد هى من جميلة..

ستربح.. يجب أن تربح.. كل الأوراق الرابحة فى يدها وحدها.. مسكين الحاج محروس.. أبداً ليس مسكيناً.. عام ونصف وهو يعبث بجسدها وقدرها.. عام ونصف وهو يحركها كشاة صغيرة بين أصابع كفه السوداء.. إن شاء ضربها وإن شاء اسكرها وإن شاء اقتلع جلدها قطعة قطعة.. لقد استسلمت له.. هذا أقل ثمن يقدمه لكل ما أخذ.. هى لم ترغمه.. وحده عرض عليها شراء الشقة.. ولم يعترض يوم طلبت منه شراء سيارة.. لم تلوم نفسها؟!

لقد باعت وهو اشترى.. آن لها أن تأخذ الثمن وتسترد ما بقى من البضاعة.. لم يذكر لها أبداً مدة الصفقة.. لم يقل لها ابداً إنه اشتراها العمر بأكمله.. حق الانتفاع لم يكن مرهوناً بمدة معينة.. هى الآن اكتفت وهو أيضاً بدأ يكتفى..

وهزت رأسها وهى تحاول أن تكون أكثر هدوءاً وثباتاً وحزناً.. ثم انتفضت فى جنون لتركض نحو الباب نسيت أن تخلع المفتاح.. انها المرة الأخيرة التى ستحتاج فيها إلى الاختباء لتحادث سعيد.. يومان ويصبح سعيد زوجها.. يومان وتعود عزيزة كما كانت.. لا ستعود كما أبداً لم تكن يوماً..



قالها سعيد ستولد عزيزة من جديد.. لقد أزاح عن قلبها الهموم.. لقد أخبرها أنه يصفح عنها إن أخطأت لقد أخبرها أنه أبداً لن يسأل أو يهتم بما دار فى أعوام غربته.. ولكن هل يدور بخياله ما فعلته عزيزة.. هل يمكن أن يتصور أو يتخيل أين هى الآن وما هو المستشفى الذى تعمل به ومن هو المدير الذى تقضى ليالى «النوباتشية» معه.. الله سيغفر.. الله يعلم أنها.. أنها ما وجدت طريقاً آخر..

وأفاقها صوت الباب وهو يفتح ليطل الحاج محروس من خلفه وهو يقول:

ازيك يا جميل؟!

ووقفت عزيزة لتتقدم نحوه فى هدوء عاصف وهو يستدير نحوها:

مش شامم ريحة طبيخ؟ ماعملتيش عشا برضة؟!

وقالت فى تلعثم:

أنت ما طلبتش حاجة يا حاج.. ومافيش حاجة فى التلاجة.. واقترب نحوها قائلاً:

لو جوعتينى وجوعتك نبعت نجيب أكلة سمك ولا كباب.. ورينا شطارتك..

تعلم ما يريد ولكنه لا يعلم ما الذى تريده واحتارت عزيزة هل تمتنع أم تسلم له نفسها.. هل تمتعه حقاً وتحرك شهوته.. أم تظهر له اشمئزازها وزهدها فيه.. يجب أن تكون حكيمة.. يجب أن تعلم ماذا تفعل.. الدقائق لها ثمن.. يجب أن تقدم استقالتها حقاً من هذا الرجل الكريه.. آن الأوان ولكن يجب أيضاً أن تعلم أى قلم تكتب به الاستقالة وأى صيغة تصوغها بها وعلى أى وتر تضرب والا أطاحها محروس وأضاع وقتها.. لم يعد الوقت وقتها.. هى الآن فى عراك مع عقارب



الساعة إن لم تنتصر ابتلعها سم العقارب وقتلها.. عزيزة يجب أن تحيا.. يجب أن تحيا مع سعيد.. كفاها ذلاً وموتاً.. وركضت خلفه إلى غرفة النوم ووقفت ترقبه وهو يخلع ملابسه قطعة قطعة.. الأحمق لماذا يظن فى كل مرة يخلع فيها ملابسه أنه يثيرها.. انه لا يثير فيها سوى مزيد من الاحتقار له ولها وأشار لها بعينيه وذهبت إليه ليلقى بجسده على فراشها وهو يقول:

يللا يا عزيزة.. دلكى جسمى.. صحصحينى يا عزيزة..

انحنت عزيزة تدلك جسده بكفها الرقيق.. لم تحاول أن ترسم الحيرة أو الضياع.. كانت حقاً حائرة تائهة.. ترتجف أوصال جسدها خوفاً مما هى مقدمة عليه وفى صوت متقطع قال لها:

ياه.. ايدك ساقعة قوى يا عزيزة.. ادعكى ضهرى بشفايفك..

وانحنت عزيزة تقبل ظهره قبلات صغيرة اعتادت اجادتها وطبعها على جلده.. لكن حتى شفتيها كانتا باردتين وبصوته المحموم قال:

تعالى.. تعالى جنبى يا عزيزة..

واستدار بجسده اليها يخلع عنها ملابسها وسار بأصابعه على جسدها وأخذ صدرها بقسوة بين يديه وهى مازالت غائبة تفكر كيف تبدأ ما تريد قوله.. كيف تبدأ النهاية معه وشعرت به يقسو عليها فصرخت صرخة صغيرة وبلا وعى هربت من جسده قبل أن يقتحمها وهى تصيح:

كفاية بقى. أنا زهقت.. زهقت..

وفتح محروس عينيه لينظر إليها فى جنون وعاجلها بلطمة قوية على وجهها وهو يصيح:

زهقت من إيه يا غبية.. دانا ماصدقت إنى..



وقاطعته عزيزة وهى تصيح فى ألم:
ماصدقت إنك إيه.. انت مش عايزنى.. أنا كمان مش عايزاك.. انت خلاص زهقت منى.. انا كمان مش عايزة أكمل.. مش قادرة أكمل..
وانتفض محروس محاولاً النهوض عن السرير وهو يقول:
الله يقرفك زى ما قرفتينى.. انا خارج.
وقبل أن ينحنى ليلتقط ملابسه كانت عزيزة تمسك بكتفه وهى مازلت عارية إلا من جنونها لتقول:
مش حاتخرج من هنا غير لما ننهى كل حاجة.. طلقّنى..
وارتدى محروس ملابسه وهو ينظر إليها وهى تضع جسدها داخل قميصها فى ثورة كبرى علم منها أن عزيزة حقاً تعنى كل حرف قالته.. هو الآخر زهدها.. ماعاد يستمتع بها.. إنه يرغم نفسه عليها.. تماماً كما تستعمل سيارة لا تحبها فقط لأنك دفعت فيها نقوداً كثيرة.. ولكن محروس لايخسر.. لقد استمتع بكل ما دفع.. بل استمتع بأكثر مما دفع.. آن الأوان ليغير هذا الموديل القديم الذى بدأت أعطاله تبعث فى قلبه وجسده الضيق..
وجلس على حافة السرير ليقول فى سخرية:
حاضر.. اطلقك.. ايه تانى..
وارتمت عزيزة لتجلس إلى جواره على حافة السرير وهى تقول فى خجل:
سامحنى.. حقيقى خلاص مابقتش قادرة.
ومد كفه وهو يربت على فخذها قائلاً:
مسامحك.. ايه تانى يا عزيزة قصّرى..
وتلعثمت وهى لا تعلم ما تقول ثم قالت:



مافيش يا حاج.. طلقنى وسبنى لوحدى..

وضحك وهو يقول:

انت طالق يا عزيزة.. خلاص يللا قومى روحى بيتكم..

إلا أن عزيزة قالت فى صوت جريح:

دا بيتى ياحاج.. انت نسيت..

وعاد يضحك قائلاً:

لا مانسيتش يا عزيزة.. بس مادام قرفتى وزهقتى يبقى ترجعيه لصاحبه.. بكرة الصبح آخدك ونروح الجهاز بتاع اكتوبر عشان ترجعيه لصاحبه..

انه يصر على اشعال حريق.. محروس يصر على أن تخرج عزيزة لسانها وتظهر دناءتها.. إن كان هو تاجر خردة فهى أيضاً ابنة جميلة، فقالت فى تحد واضح:

مش حارجعه ياحاج.. دا بيتى.. انت عمرك ماقلتلى انى لازم ارجعه يوم ما تطلقنى..

وأجاب:

نقصّر ياعزيزة.. أنا ماقلتش لأنى ماكنتش فاكر إنك حتقرفى من النعمة.. عايزة تعملى إيه يا عزيزة قدامك يا بنت الناس حاجة من اتنين عايزة الشقة والعربية والفلوس اللى بتسرسبيها منى نكمل اللى كنا بنعمله ويادار ما دخلك شر.. عايزة تمشى ورا قرفك.. تقومى تلبسى هدمة وتخرجى بيها ولو عايزة تلمى الهدوم كلها ليها.. ماتلزمنيش..

وعلا صوت تحديها وهى تقول:

مش حارجعلك الشقة ولا أنا كمان حارجع ولا حاكمل اللى كنا بنعمله



لأنى مش قرفت منه.. لأ أنا قرفانة منه ومنك من أول يوم.

واعتدل الحاج محروس بجسده قليلاً ليخرج هاتفه الصغير من جيب بنطلونه وأخذ يعبث به بعض الوقت ثم قال:

الواد محمود الله يسعده عملى ييجى عشر اسطوانات من الفيلم دا.. شايلهم فى خزنتى.. خدى.. خدى اتفرجى.

وصاحت عزيزة فى جنون:

اتفرج على إيه.. احنا فى إيه ولا إيه؟

وقبل أن تكمل وقبل أن يرد تسلل صوت محروس من هاتفه الصغير وهو يقول: ارقصى.. ارقصى يا عزيزة..

ومدت عزيزة كفها تلتقط هاتف محروس لترى نفسها عارية تقف على فراشها وهى ترقص فى مجون.

كانت عيناها مفتوحتين حتى كاد محروس يشعر أن وجهها بأكمله اصبح عينين فارغتين.. وعاد التسجيل يعيد نفسه من البداية لترى عزيزة نفسها وهى ترقص وتمد يدها إليه وتقول «ادينى تانى» ثم تشرب كؤوس البيرة وتدخن سجائر البانجو وهى عارية تماماً وتذكرت عزيزة ذلك اليوم.. انه اليوم الذى احضر فيه الآلاف الخمسة.. انه اليوم الذى اخبرته فيه بقصة حملها الكاذب.. انه اليوم الذى سقط فيه بعد أن كان يعبث بمحموله فوقها وهو يقول «بقيتى ملكى بجد يا عزيزة».. وسمعته يقول:

الأسطى حسين عنده كمبيوتر يا زوزة ولا أبعتله واحد مع الاسطوانة.. أصل الفرجة فى الكمبيوتر غير المحمول خالص..

لم تعلم عزيزة يوماً قبل تلك اللحظة ان أنهاراً غزيزة من الدمع يمكن أن تخرج من عين الإنسان.. كانت دموعها تنهمر فى جنون وهى



تشعر بذل ومهانة لا حدود لها وصاحت:

يا واطى.. يا واطى..

وامسك محروس بذراعها فى قسوة كبيرة ليصيح:

أنا برضة الواطى.. ماشى يا برنسيسة.. أعمل بأصلى اخترتى إيه.. نكمل ولا استناكى تسعة الصبح قدام الشهر العقارى.. تسعة ونص حابعت للحاج حسين اسطوانة وكمبيوتر.. هو سعيد جى يا عزيزة؟!

واتسعت عينا عزيزة فى ذهول وجسدها ينتفض كأن تياراً من كهرباء يسرى به وعاد محروس يكمل:

أصله لو جى أعمل حسابه فى اسطوانة هو كمان.. خلصينا قلتى إيه؟!

لم تقل عزيزة حرفاً.. كانت تنتفض وتبكى.. كانت خائفة لم تعد الشقة تهمها فى شىء.. لم يعد يهمها ابداً سوى سعيد وحسين.. قتلها محروس وقد يقتلهما معها.. لا.. ستختار أن تموت وحدها.

وقالت فى انكسار:

مش عايزة الشقة.. مش عايزاها.

وضحك محروس قائلاً:

والله لو قلتى نكمل كنت حاقولك ما تلزمنيش.. أنا كمان عايز أغير.. عايز موديل جديد.. موديل انضف شوية.. آه على ذكر الموديلات.. حنعمل إيه فى العربية المرمية تحت البيت دى..

وقالت عزيزة فى انكسار:

دى بأسمى يا حاج

وبذات الثبات.. بذات الصوت الساخر قال لها:

وماله يا عزيزة.. ما تغلاش عليكى.. أنا مسامح فى الأقساط اللى



اتدفعت.. كمّلى انتى بقى بقية الاقساط وحلال عليكى.. اظن فاضل عليها بتاع ستين ألف.. ادفعيهم.

ولطمت عزيزة على وجهها لتصيح:

انت اللى كاتب الكمبيالات

لكن محروس قاطعها ساخراً:

أيوة يا زوزة.. بس انتى ماضية ضامن يا حبيبتى.. أنا مش حادفع ولو انتى مادفعتيش حيسحبوها منك ويبيعوها انتى حتى ماتقدريش تبيعى يا حلوة.. بصى فى الرخصة حتلاقى عليها حظر بيع.. معاكى ستين ألف خديها ما معاكيش سيبيها.. من الآخر بكرة الساعة تسعة الصبح الاقيكى واقفة قدام الشهر العقارى فى الزنانيرى معاكى بطاقتك وعقد الشقة.. انا حاجيب رخصة العربية تعملى توكيل بالعربية وتوكيل تانى للشقة عشان أروح الجهاز انقلها باسم العروسة الجديدة.. وحياة أمك يا عزيزة تسعة ونص لو ماجتيش شبرا كلها حتتفرج عليكى.

ووقفت عزيزة تنظر إليه من خلف دموعها فى بلاهة.. لا تصدق لا تصدق.. هزمها محروس.. وشعرت به يمسك بذراعها فى قسوة ليدفعها خارج البيت قائلاً:

هاتى معاكى الورقة يا عزيزة.. يللا يا حلوة.. قلتلك مايلزمناش..

وقالت فى ذهول وهى تنظر إلى قميصها العارى:

طب البس حاجة الله يسترك..

واطلقها محروس قائلاً:

خشى اتنيلى ولو عايزة هدومك كلها خديها ربنا ياخدك وياخد امثالك كلهم.



فى طريقها إلى شبرا كانت عزيزة تبتسم ابتسامة ساخرة صغيرة.. فى طريقها الى حارة القهوجى كانت تنظر إلى ثيابها فى حزن.. لم تأخذ شيئاً من دولاب شقة الشيخ زايد.. عندما تصل إلى البيت ستحرق ما ترتديه.. ستقف أمام مرآتها فى غرفتها عارية.. لقد ذهبت يوماً عذراء مستورة وعادت عارية ملوثة.. لم يبق لها سوى سعيد.. لم يبق لها سوى أم سعيد.. ستذهب إليها مع سعيد عندما يعود وتقبل قدميها.. ستحيا عند قدم سعيد وأمه.. الفقر والحب فقط لا يأخذهما أحد منك.. الفقر والحب فقط يبقيان والعار أيضاً يبقى.. العار سيبقى حتى إن ذهبت إلى الطبيب وعادت عذراء سيبقى العار مطبوعاً على روحها ما بقيت على قيد الحياة.. الحب والفقر قد يغسلان عنها العار يوماً.. حمقاء غبية إن ظنت أن بإمكانها هزيمة الفقر..

الفقراء لا يهزمون إلا أنفسهم.

■ ■ ■



كل شىء فى بيت دياب ساكن.. دعاء الممرضة الشابة تجلس إلى جوار رباب تداعبها وتطعمها قطعة من الجبن.. رباب تستجيب لدعاء أكثر من استجابتها لأم سعيد.. دعاء فى نهاية العشرينيات من عمرها.. رقيقة حانية.. أخبرها الدكتور محسن أن سميحة ستمنحها مبلغاً كبيراً إن بقيت مع رباب وتحسنت حالتها.. رباب تتناول بعض الجبن وقطعاً من البطاطس وقليلاً من العصير.. كل شىء هادئ ساكن حتى أم سعيد روحها أكثر سكوناً وهدوءاً.. سعيد حادثها وأخبرها أنه اليوم سيصل القاهرة.. لقد حادثها وهو يركب العبارة فى منتصف الليلة الماضية.. لابد أنه وصل الآن إلى سفاجا.. إنها العاشرة صباحا.. لابد أنه وصل.. لقد أخبرها أن عزيزة ذهبت إلى ميناء سفاجا لاستقباله.. عزيزة!! لن تقول أم سعيد شيئاً إلا عندما تراها معه.. ستخبره بكل ما رأت فى ذلك اليوم.. لن تتركها أبداً تخدعه.. ونهضت أم سعيد من أمام رباب بعد أن شكرت دعاء ودعت لها براحة القلب وقبل أن تخرج من غرفة رباب نظرت إليها كأنها تطمئنها.. عندما ترى وجه سعيد ستخبره بكل شىء.. ستطلب مشورته.. ستفعل كل ما يقوله لها.. لا.. هى ستخبر سميحة.. حتى لو قال لها سعيد ألا تفعل.. ستخبر سميحة وستهرب مع سعيد بعيداً.. ربما تأخذ سيد وربما تحذره.. لا تعلم.. لا تعلم.. كل ما تعلمه الآن هو أنها تريد رؤية سعيد.. تريد أن تأخذه إلى صدرها وتبكى على ذراعيه وتحكى له كل شىء.. وفى طريقها إلى المطبخ عادت تنظر إلى الساعة.. هل تطلب سعيد؟! ستنتظر.. ربما كان ينهى اجراءات الخروج من المركب وربما كان مشغولاً بعزيزة ولقائه بها.. وفى المطبخ وضعت هاتفها الذى كانت تقبض عليه بكفها وصنعت كوباً من الشاى ثم جلست على مقعدها

بجوار الباب تفكر.. أخبرها سعيد أن الطريق من سفاجا إلى الدقى حوالى ست ساعات لو كان الآن فى سفاجا ستراه فى الرابعة أو الخامسة مساء.. خمس ساعات فقط وتراه.. خمس ساعات وتأخذه بين ذراعيها.. خمس ساعات وتلقى عن كاهلها هذا الهم والذنب الكبير.. وسمعت هاتفها الصغير يدق وكوب الشاى على شفتيها فوضعته وامسكت بهاتفها لتصيح:

آلو.. مين؟!

إلا أن صوت عزيزة جاءها يصرخ باكياً:

الحقينى يا خالتى.. الحقينى.. العبّارة اللى سعيد كان راكبها غرقت.. غرقت يا خالتى.. بيقولوا كل اللى عليها ماتوا.. ماتوا.

■ ■ ■



كان أحمد زهدى نائماً عندما رن جرس هاتفه الصغير ليفتح عينيه.. انها الحادية عشرة تقريباً.. لمَ تحادثه سميحة مبكراً-وامسك هاتفه ليقول فى لهفة ظهرت على صوته النائم:

صباح الخير يا سميحة.. فيه إيه؟!

وسمعها تقول وكأنها تصرخ:

أحمد.. اسمعنى كويس.. عبّارة غرقت.. أنا عملت تليفونات ولازم نروح الغردقة.. كلم الكاست كله وقابلنى.. اسمع يا أحمد.. سعيد على العبارة..

كان أحمد يحاول أن يفهمها ويلاحق كلماتها وصوتها المتقطع ليقول:

إيه يا سميحة فيه إيه.. سعيد مين وعبّارة إيه؟!

وعادت سميحة تقول:

ابن أم سعيد اللى فى السعودية.. كان راجع على العبّارة على سفاجا.. العبّارة غرقت.. أنا حاخدها ونطلع الغردقة وبالمرة نصور الحادثة وبعد ما نصور نجيب المسئولين وتبقى هى دى حلقتنا يا زهدى فاهم.. اسمع أنا حاخد سيد وأم سعيد ونطلع.. حصلنا لو عايز بالطيارة.. بس خلى كاست التصوير يطلع..

وبعد لحظات من الصمت قال زهدى:

هاتى سيد وأم سعيد ونتقابل عند كارفور القطامية.. أنت حتيجى معايا فى عربيتى.. ونمشى ورا مع بعض نتكلم ونرتب.. ساعة ولا ساعة ونص كفاية أكون صحيت الناس وبلغت القناة..

وقالت سميحة فى حزن:

أم سعيد حالتها تقطع القلب.. أنا نازلة حالاً.. نتقابل عند كارفور..

وصاح أحمد قائلاً:



سميحة.. أنتى مش بتقولى سفاجا.. نروح الغردقة ليه؟!

وقالت سميحة:

أنا كلمت مدير مينا البحر الأحمر قاللى معظم الجثث والناجين بيطلعوهم من الغردقة.. لما نتقابل يا أحمد.. لما نتقابل.

أغلقت سميحة الهاتف وارتدت بنطلوناً من الجينز الأزرق الفاتح وبلوفر من اللون الوردى الفاتح.. وانحنت تضع قدميها فى سبادريل من الكنافاه الوردى ثم نظرت إلى علاء وهى تقول:

ربنا يستر يا علاء.. لو سعيد دا جراله حاجة أمه تروح فيها..

كان علاء مازال فى سريره ينظر إليها.. لقد استيقظ معها على مكالمة أم سعيد.. ان سميحة لا تترك فرصة ابداً.. حتى وهى تتمزق على أم سعيد تفكر فى عملها.. تفكر فى قصة تخرج منها بحلقة ناجحة.. انها حقاً امرأة عنيدة.. انها لا تقل عناداً وقوة عن نوال، وأفاقه صوت سميحة وهى تخرج من غرفتها قائلة:

أنا مش عارفة اقول إيه لسيد؟ احنا حناخد الكورسا أحسن.. خد بالك من مولى يا علاء.. أنا فهمت منى على كل حاجة.. لو عايزين تروحوا النادى روحوا يا علاء.. كويس إن أنت النهاردة اجازة يا علاء.

ولم تنتظر سميحة رده.. ركضت على السلالم لتجد سيد فى انتظارها بالكورسا كما أخبرته على التليفون ونظرت إليه سميحة فى اشفاق كبير وبعد ان خرجوا على المحور حيث أمرته سميحة بالتوجه إلى الدقى قالت له:

سيد.. أنا آسفة.. سعيد أخوك كان جاى النهاردة وكان راكب عبّارة والعبارة حصلّها حادثة.. إن شاء الله يكون بخير، أنا كلمت مدير المينا وحناخد امك من الدقى ونطلع الغردقة.



لم يكن سيد يعلم بحضور سعيد.. ولم يفهم حقيقة القصة حتى أعادت سميحة ذكر تفاصيلها أكثر من مرة ورأته سميحة فى مرآة السيارة يقاوم دموعه التى سقطت فى النهاية على وجهه وسألها:

أمى عاملة إيه؟!

وأجابت سميحة فى حزن:

حالتها صعب قوى.. هى محتاجالك يا سيد.. سيد لو مش قادر تسوق أنا ممكن أسوق..

ورفع سيد عينيه ينظر إليها فى المرآة كأنه مازال لا يفهم.. كأنه لا يصدق أن سميحة تخرج من بيتها لتصطحبه وتصطحب أمه إلى الغردقة بحثاً عن مصير سعيد..

قبل أن يدخل سيد إلى شارع المساحة كانت سميحة قد طلبت من أم سعيد انتظارها أمام باب العمارة وهبط كل من سيد وسميحة حين وجدوها تستند على حائط باب العمارة.. وأسرعت سميحة إليها تضمّها إلى صدرها وهى تطمئنها وتخبرها أن هناك ناجين كثيرين وربما كان سعيد منهم.. كانت أم سعيد تنتفض بين ذراعى سميحة وحين اقترب منها سيد وهى يبكى نظرت إليه ثم قالت:

انت جاى معانا؟!

وابتعدت عنها سميحة ليقترب سيد ويمسك بيد أمه يقبلها حيث انخرط فى بكاء عنيف وهو يقول:

سامحينى يا أمى.. سامحينى.. دا أخويا.. دا سعيد.. سعيد..

واستندت على ذراعيه لتجلس جواره وسميحة على مقعدها الخلفى تفكر.. لماذا هى غاضبة منه إلى هذا الحد.. وافاقها صوت أم سعيد تقول فى نحيب خفيض كأنها تحتضر:



عزيزة بتقول إن كلهم ماتوا..

وقاطعتها سميحة قائلة:

لا يا أم سعيد.. فيه ناس كتير نجيت الحمد لله.. إن شاء الله سعيد حيكون منهم.. هى عزيزة فين.. إدينى نمرتها.

ومنحتها أم سعيد هاتفها لتبحث فيه سميحة عن رقم عزيزة ثم خابرتها لتقول لها فى هدوء:

عـزيزة.. أنا سـمـيـحـة دياب.. أنا وسـيـد وأم سـعـيـد فى طريقنا للغردقة.. اسمعى اركبى اتوبيس من عندك وروحى الغردقة.. اسمعى اللى باقولك عليه.. فيه حد هناك حيساعدنا..

عندما أمرت سميحة سيد بالتوقف أمام كارفور القطامية لم يفهم ولكنه عندما رأى أحمد زهدى يقف خلف سيارتهم ورأى سيارة أخرى للتصوير وفريقه أطلّت على وجهه ابتسامة ساخرة.. سميحة لا تذهب حباً فيه أو فى أمه.. سميحة تذهب لتتاجر فى قصة أخيه.. سميحة دوماً تبنى نجاحاتها على جثة أم سعيد وأولادها..

وقبل أن تهبط سميحة من السيارة نظرت إليها أم سعيد لتقول فى ذهول:

لأ.. ماتسيبينيش يا سميحة.. فيه حاجة مهمة عايزة أقولك عليها.. عايزاكى تسمعينى وتسامحينى عشان ربنا ينجى سعيد.

وصاح سيد:

فيه إيه يا أمى؟

وقالت سميحة فى هدوء:

حبيبتى.. مافيش حاجة فى الدنيا ممكن تزعلنى منك.. نطّمن على سعيد ونوصل هناك ونتكلم زى مانتى عايزة.



وعادت أم سعيد تبكي وهي تتمتم بصلواتها وقبل أن تغلق سميحة الباب خلفها عادت أم سعيد تقول:

لازم أقولك يا سميحة.. لازم أقولك.

وجاء أحمد زهدي ليأخذ سميحة من ذراعها وقالت وهي تمضي معه:

أول ما نوصل يا حبيبتي.. إهدى انتي بس.. احنا حنمشي ورا بعض يا سيد.. يللا عشان ما نتأخرش.

■■■



فى ميناء الغردقة كان المشهد مهيباً.. عشرات الأمهات يبكين ومئات الرجال ينتحبون.. قصص لا حصر لها.. أخذت سميحة تتجول بين الناس والكاميرا خلفها.. شباب هم أمل أسرهم.. رجال تقف نساؤها فى ذهول وهى لا تعلم مصيرهم أو مصيرها ومصير أطفالها.. سيارات اسعاف تخرج بجثث.. وناجين إلى المستشفيات.. كانت سميحة تسأل وتصور وتسقط دموعها على طفل أخرجوه حياً بعد أن ماتت أمه وهى توصى أحد الناجين به.. بكت على امرأة اخبرتها أن زوجها كان على العبّارة وأنه يعولها ويعول اسرة مكونة من سبعة أشخاص منهم ثلاثة اطفال تحت الخامسة.. كانت الكاميرا معها وأيضاً كانت مع أم سعيد وسيد.. لقد اتفقت سمحية مع زهدى أن الحلقة سيكون اسمها «أم سعيد» لقد صوروها لحظة هبوطها من السيارة فى ميناء الغردقة.. صوروها لحظة لقائها بعزيزة.. كانت عزيزة تنتحب وألقت بنفسها على صدر أم سعيد وأخذت تقبل كفيها.. كانت أم سعيد واجمة ساكنة تنظر حولها فى ذهول.. ليست وحدها التى تتمزق.. كثيرون من الفقراء أمثالها يتمزقون.. بل هناك أناس أفضل منها حالاً ينتحبون كأطفال صغار.. أمام الخوف والمجهول لا أحد قوى.. لا أحد كبير أو غنى..

وخرج مدير ميناء الغردقة إلى لقاء سميحة واصطحبها هى وأم سعيد وعزيزة وفريق التصوير وكل من معها إلى الداخل.. وعدها أنه سيطلعها على قوائم الناجين ووعدها أنه سيبلغها بوصول أى جثث.. سميحة دياب ركضت خلفه إلى الداخل.. كانت تتمزق مما تراه.. كان البعض يرجوها ويتوسل إليها أن تساعده.. كانت تتمنى لو كان بإمكانها أن تساعد الجميع ولكن الكلمة الآن للقدر وحده.



وبعد أن انتهت سميحة من حوار قصير أجرته مع مدير الميناء ذهبت لتجلس إلى جوار أم سعيد وعزيزة وأخذت تنظر إلى عزيزة.. كانت ترتدى بنطلوناً رمادى اللون وبلوفر من الصوف الأحمر وفوق رأسها حجاب من نفس اللونين.. كان على وجهها آثار ماكياج.. يبدو أنها كانت تحاول أن تبدو فى أجمل صورها عند وصول سعيد.. لكنها الآن تبدو كجثة هامدة لا شىء يقول إنها مازالت على قيد الحياة سوى دموعها التى تسقط دون توقف.

واقتربت سميحة لتجلس إلى جوار أم سعيد وأحمد زهدى يجلس أمامها يرقب هذا الحزن الكبير فى أسى صادق واضح على ملامح وجهه.. ورأى سميحة تمد كفها لتضعها على كف أم سعيد وتحاول أن تطمئنها وتمنحها الأمل وسقطت دموع أم سعيد لتقول فى مرارة:

ربنا بيعاقبنى يا سميحة.. لكن هو سعيد ذنبه إيه.. سامحينى يا سميحة يمكن ربنا يسامحنا ويرجع سعيد.

وعادت سميحة تربت على كفها فى هدوء وهى تقول:

اسامحك على إيه بس؟! دا انتى اللى تسامحينى يا حبيبتى..

ونظرت أم سعيد الى سيد وإلى عزيزة فى حرقة واضحة ثم أرخت رأسها لتقول:

دا ذنب رباب يا سيد.. ابنى دا سرق الغوايش من ايد بنتك وست رباب لما سمعتها بتتوجع شالت الطوبة عشان تضربه بيها.. رفع راسه وقعت الطوبة على راس أمل.. أنا وهو سكتنا وقلنا إنها رباب..

وهزت سميحة رأسها فى عنف.. انها لا تفهم ولا تستوعب شيئاً مما يقال إلا أن أم سعيد مسحت دموعها وعادت تستطرد:

أنا شفت كل حاجة.. لكن لما سيد قال إن رباب ضربت أمل خفت



اتكلم.. لما علاء ضرب رباب مالحقتش أقول حاجة.. انتى وقعتى من على السلم.. دا ذنب رباب.. فاكر يا سيد أنا قلتلك آه من ظلم الغلبان وقليل الحيلة.. أنا سكت وما نصفتش رباب، سيد مجرم وكلب وعزيزة بتخون سعيد وماشية مع محروس كلنا كدا ما نستاهلش إن إحنا نلمس سعيد بأيدينا.. ماشى.. لكن يارب سعيد نفسه ذنبه إيه؟!

ونظرت سميحة حولها فى ذهول.. كانت عزيزة تبدو كتمثال من شمع وكأن صاعقة كهربائية ضربتها.. أما سيد فلقد وقف عن مقعده وهو ينتفض فى خوف كبير ليقول:

والله كنت خارجع الغوايش.. وكنت حاقول الحقيقة لكن علاء بيه خدنى القسم.. ضربونى.. ذلونى يا سميحة هانم وقالولى لو قلت الحقيقة حيلبسونى قضية أمن دولة..

كانت سميحة تسمع وتنتفض وتنظر إلى أحمد زهدى لتراه مفتوح العينين هو الآخر كأنه لا يفهم شيئاً.

وعات أم سعيد تبكى وتلطم وجهها:

سامحينى.. سامحينى.. لو سامحتينا يمكن.. سامحينا مش عشان خاطرى ولا خاطره ولا خاطرها.. ولا واحد فينا يستاهل.. سيد رجع يشتغل عندك وياخد فلوسك ولا كأنه عمل حاجة.. ودى أهى لابسة اللى على الحبل وجاية تقابل سعيد وتعيط ولا كأنها مرافقة راجل تانى.. وأنا.. أنا رجعت أخدك فى حضنى وأنام جنب رباب ولا كأنى عارفة حاجة.. احنا كلنا كدا كلاب كلاب ما نستاهلش حتى الرحمة.. لكن سامحينا عشان سعيد.. عشان شبابه.. عشان شقاه وغربته ورحمة الدكتور دياب يا شيخة تقوليها..

ولم تنظر سميحة إليها.. لم تقل كلمة بل وقفت تخطو نحو سيد



لتقول فى ذهول:

علاء.. علاء كان عارف.. قولّى كدا تانى.

وعاد سيد يحكى.. عاد يحكى بالتفصيل عن الإقرار.. عن تعذيبه فى قسم شرطة شبرا.. عن زيارة الصباح.. عن كل شىء.. كانت سميحة تسمع ولا تتحدث.. وكان أحمد زهدى ينظر إليها فى خوف وهو لا يعلم ما الذى يمكن أن يفعله من أجلها أو من أجل أم سعيد التى كانت تشق قلبه حزنا عليها..

وبعد ان انتهى سيد من قصته عاد يقسم لها أنه كان سيعيد أسوار الصغيرة.. عاد يقسم لها أنه ابداً ما كان ولاؤه إلا لها.. أنه ابداً ما رضخ يوماً لأسئلة علاء عنها.. أنه ابداً ما حكى له يوماً عنها وعن تحركاتها كما كان يطلب منه و يسأله.. عاد يقسم ويبكى، ووضعت أم سعيد رأسها بين كفيها لتنتحب من جديد وتقول:

قالوا للحرامى احلف قال جالك الفرج..

ونكست سميحة رأسها واستدارت لتمضى بعيداً عنهم ليلحق بها أحمد قائلاً:

سميحة؟! رايحة فين..

وأجابت فى هدوء:

راجعة مصر..

وانتفضت أم سعيد لتركض نحوها قائلة:

سامحتينى يا سميحة.. قوليها الله يسترك

ومن خلف حيرتها ودمعها قالت سميحة فى صوت خفيض:

ربنا يطمنك على ابنك.. ربنا قال فى كتابه العزيز ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ إن شاء الله حيرجع.



وفى انكسار وتهالك واضح القت أم سعيد بجسدها على أول مقعد وهى تقول:

طول عمرك ما تعرفيش تقولى حاجة مش من قلبك.. روحى يابنتى الله يستر طريقك.. أنا ربنا ليا.. ربنا بيخلقنا وبيرزقنا.. بيدينا فلوس وعيال وصحة وبرضة بنغلط فى حقه.. وبرضة بيسامح..

والتفتت سميحة تنظر إليها فى غضب.. تمنت لو تصرخ بأنها ليست أبداً إله.. ولا تستطيع أن تكون لكنها أرخت عينيها فى حزن.. لاتستطيع أن تقسو عليها أكثر من هذا.. قدرها أن تحتمل وحدها قسوة كل من حولها.

وركض سيد خلفها قائلاً:

أنا حاوصل حضرتك..

ورفعت سميحة كفها قائلة:

خليك هنا مع أمك وخلى العربية معاك.. انتو يمكن تحتاجوا تروحوا سفاجا أو أى حتة.. ربنا إن شاء الله حيطمنكم عليه.

كان زهدى يتحدث الى فريق التصوير الذى كان يجلس بعيدا عندما رآها تخطو من جواره كأنها لا تراه ولحق بها ليمسك بذراعها قائلاً:

رايحة فين؟!

عندما رفعت سميحة عينيها سقطت دموعها وهى تقول:

راجعة مصر..

وامسك بذراعها وهو يقول:

أنا جاى معاكى.. أنا فهمت الكاست.. حيتناوبوا.. ناس حتروح تنام فى الأوتيل وناس تفضل هنا.. زى ما اتفقنا لغاية ما يصوروا لحظة النهاية.. أنا معاكى.. وبكرة الصبح حارجع حتى بالطيارة.. يللا يا



حبيبتى.. انتى مش حتوصلى قبل الساعة تلاتة أربعة الصبح.. يللا.

حين دخلت سميحة إلى سيارة أحمد أشعلت إحدى سجائرها وقبل أن تعود بعلبة سجائرها إلى حقيبتها كان علاء يطلبها على هاتفها الذى أخرجته لتمسكه بين أصابعها وهى تفكر.. لقد كان يحادثها كل ساعتين ليطمئن على أخبارها.. كيف يستطيع الإنسان أن يحيا بوجهين وقلبين ولسانين وبعد ثوان فتحت هاتفها لتقول فى صوت هادئ بارد:

أيوة يا علاء.. أنا بخير.. أنا راجعة دلوقتى مع أحمد.. لأ ما ظهرش عنه حاجة لسه.. أمل كويسة؟.. طيب مع السلامة.

ومد أحمد كفه ليمسك بكفها وهى تخرجها من حقيبتها بعد أن أدخلت هاتفها فيها ليقول فى صدق:

سميحة.. لازم تسمعيه.. بلاش نظلمه.. اسمعيه يا سميحة.. أوقات الإنسان لما بيحب حد بيعمل اخطاء كبيرة.. بيفتكر انه بيها بيحافظ على الحب دا.

وقاطعته سميحة فى مرارة قائلة:

الحب يا أحمد المفروض يطهر النفس والروح.. الحب لو ما علمش الإنسان ازاى يغسل روحه يبقى مش حب.. يبقى آفة.. مرض يقتل ويأذى بس يا خسارة ياريته يأذى صاحبه بيأذى غيره اللى مالوش ذنب.. أنا كدّبت نفسى كتير.. ودى غلطتى أوقات التبريرات الزيادة بتبقى خطأ مش فضيلة..

واطلق أحمد كفها من بين أصابعه ليتنهد فى مرارة كأنه لا يجد ما يقول أو كأن كل ما سيقول ليس صادقاً، ليس حقيقياً.. ما تقوله هو الصدق هو الحق.. علاء لا يحبها.. إنه لا ينسى بروده وجموده عندما



كان يراه فى المستشفى.. إنه لا ينسى نظرات علاء له كلما اجتمعا معاً.. إن من لا يجد القدرة على إعلان ما يدور بداخله يكون ما بداخله شىء قبيح يؤذى من حوله.. شىء قبيح قد يطلق عليه أى اسم إلا الحب..

وأغمضت سميحة عينيها واستندت برأسها على مسند المقعد وهى تفكر.. كانت الصور تتلاحق فى رأسها.. رباب.. مسكينة رباب.. حتى سميحة صدقت أنها أرادت قتل أمل.. كانت تأخذ أمل معها إلى شقة المساحة لكنها ابداً لم تتركهما معاً وحدهما.. لماذا فعل علاء ذلك؟!.. لماذا يكرهها إلى هذا الحد؟! لماذا يكذب؟! لماذا يقسو؟!

كانت دموعها تسيل فى صمت على جنبات عينيها المغلقتين وهزت رأسها فى عنف.. عادت تلك الكلمة تطرق رأسها من جديد.. عاد ذاك المشهد يجثو على صدرها.. لقد عذرت علاء لأنه أب ولكن ألم يشعر بالذنب بعد أن عرف الحقيقة.. إنه حتى لم يفكر يوماً فى زيارة رباب.. كم مرة أخبرته سميحة عما قاله الدكتور محسن من ان خروج رباب من الفيلا فى ذهنها يعنى العقاب.. يعنى انهم جميعاً نبذوها وكرهوها ولم يصفحوا عنها.. كان من الممكن ألا يخبرها بالحقيقة التى عرفها ولكن كان يجب أن يطلب عودتها ولو لأيام..

ولكن من كان بلا قلب أو ضمير ما تراه يفعل سوى ما فعله علاء لطفى.

■ ■ ■



كانت الثانية صباحاً عندما دخلت سميحة إلى غرفتها لتجد علاء نائماً فى فراشه.. وبهدوء ضغطت سميحة مفتاح الضوء ووقفت تنظر إلى وجهه. وابتسمت فى مرارة.. هناك وجوه تشعر أنك لو مددت أصابعك نحوها ستجد مكاناً ما تخلع به قناعاً ما لترى الوجه الحقيقى لها.. ليتها تستطيع أن تفعل هذا.. لكن لماذا تفعل ذلك الآن.. لقد عرفت وجهه الآخر.. بل أنها تراه الآن بوضوح دون حتى أن تعبث بهذا القناع.. وشعر بها علاء ليفتح عينيه قائلاً:

انت وصلتى يا سميحة؟!

وأجابت سميحة فى هدوء:

أيوة.. وصلت.. علاء.. طلقنى..

واتسعت عيناه فى دهشة كبيرة اعتدل بعدها فى فراشه قائلاً:

أيه؟!

وعادت تقول:

انت سمعت.. طلّقنى ودلوقتى..

وعادت تكمل فى تهكم:

سؤال واحد عايزة أعرفه.. أنت خبيت غوايش أمل ليه لما أم سعيد رجعتهملك.. أنا لما سألتك عليها قلتلى إنهم الظاهر سرقوها لما وديتها المستشفى.. ياترى عشان أحمد زهدى هو اللى جابهم.. ولا يمكن عشان عليهم بصمات سيد.

وأدرك علاء أنها علمت كل شىء.. أخذ يتحدث بلا وعى.. لم يكن يعلم ماذا يمكن أن يقول سوى أنه يحبها.. سوى أنه رأى أن وجود رباب خطر على حياتهم سواء قصدت أو لم تقصد إيذاء أمل.. كان يقول إن من حقه أن يحيا كرجل وامرأة وأبناء دون هذا الخطر.. كان يتحدث



وكانت تسمع ولا تسمع ثم قالت:
كل دا حلو.. طلّقنى دلوقتى..
وصاح:
تبقى مجنونة لو افتكرتى انى حاعمل كدا عشان شوية كلام قالته خدامة هى وابنها.
وبثبات شديد عادت سميحة تقول:
بكرة الصبح حارفع قضية خلع.. وحاعمل لك فضيحة عند كل اللى بتترعش قدامهم وأولهم طاهر رسلان.. وإيه كمان.
وقاطعها علاء:
سميحة.. اعقلى.. عشان أمل..
وابتسمت سميحة:
عشان أمل لازم نتطلق.. لازم ابعدها عن الحياة فى جو مسموم مزيف ظالم.. علاء أنت عارف لما أقول كلمة.
وأمسك علاء بذراعها قائلاً:
اسمعى.. حتى لو اتطلقنا.. أنا مش حاسيب بنتى تعيش معاكى ومع واحدة مجنونة حاولت تقتلها.. أنا عندى اقرارات وشهود بتقول إنها حاولت تقتلها.
وزاد اشمئزاز سميحة منه لتقول:
وماله.. أنا مش حاعيش مع المجنونة.. أنا حاعيش لوحدى مع بنتى.. علاء إذا كنت خايف من الطلاق عشان الڤيلا من بكرة حارجعهالك.
ونظر إليها علاء وبعد تفكير قصير قال:
الڤيلا دى مش بتاعتى.. الڤيلا دى هدية من أمك من نوال هانم اللى انتى بتهربى منها وبتكرهيها وبتبيعيها وبتبيعى بنتك وبيتك عشان



خاطر رباب اللى مش حاسة بيكى ولا بيا.

وامسكت سميحة بذراعه لتقول:

نوال؟! إيه.

كان علاء يعلم أن ذكر نوال يشعل جنونها.. إلا أنه كان يريدها أن تخطئ فى حق نوال كان يريدها أن تلعنها.. لأنه عندها سيجد ما يقوله لنوال.. سيجد ما يستميل به قلبها.. لن تدعه سميحة يخسر كل شيء فعاد يقول:

يا سميحة اهدى واسمعى.. أمك وأنا عايزين مصلحتك بنحبك.. يا سميحة أمك هى اللى رشحتك ليا للجواز.. وهى اللى اشترت الفيلا وخلتنى اكتبها باسمك.

يا سميحة ليه مُصرة تخسرى كل اللى بيحبوك وبيقفوا وراكى.. عشان رباب؟! ياستى خلاص أنا حاروح أبوس راسها.. استسمحها.. يارب تفهم بس.. يا سميحة خلينا نعيش بقى.

وصاحت فى جنون كأنها لم تعد حقاً تحتمل حتى وجوده على ظهر الأرض:

أنت متخيل إن رباب هى سبب كل دا.. أبداً.. السبب الحقيقى البشاعة والسواد اللى جواك.. عارف.. رباب دى مرايتك الحقيقية.. كل ما تبص فى وشها تشوف علاء الحقيقى.. الانتهازى.. الوصولى.. لكن لما تدور وشك وتبقى فى وش نوال وطاهر وبقية الناس تشوف علاء اللى انت راسمه.. اللى انت ملوّنه بصوابعك.. فتحبهم وتكرهها.. رباب مرايتك اللى كان لازم تكسرها.. بس يا خسارة انت خلاص اتعريت، أنا كمان شايفة حقيقتك.. شايفة صورتك.. صورة حقيرة مقززة.. عنك ما طلقت.. بكرة وغصباً عن عينك حتطلق يا علاء يا



لطفى.. وابقى قول سميحة دياب قالت.

وقبل أن تصل سميحة إلى باب الغرفة كان علاء قد أمسك بذراعها فى قسوة ليصيح:

تعالى هنا قوليلى.. انت مش كلمتينى عالطريق وقلتى انك راجعة.. أكيد كان بعد ما عرفتى.. ايه اللى حصل بقى وعكننك كدا بعدها.. ايه حبيب القلب شار عليك بالطلاق؟!

واتسعت عينا سميحة فى جنون.. انها تفهم ولا تفهم وسمعته يصرخ من جديد:

جاية محروقة قوى على غوايشه.. خلاص قررتوا تتجوزوا.

ونفضت ذراعها وهى تقول:

حقيقى حقير

لكنه أمسك بها من جديد صارخاً كأنه يطلق سراح المجنون النائم فى عروقه:

أنا اللى حقير.. لكن أقولك إيه.. أمك عملتها قبل كدا.. بس أنا مش حاسكت زى منصور دياب.. مش حاسكت.

ورفعت سميحة كفها الطليق كأنها تريد أن تصفعه إلا أنه أمسك بيدها فى قسوة وهى تصيح:

اخرس.. أوعى تجيب سيرة أمى على لسانك إذا كان يوم جبت سيرة دياب وأنا سكت المرة دى مش حاسكت.

واطلق علاء ذراعيها فى ذهول.. لم يكن يريد أن يخطئ أبداً فى حق نوال.. لا يريد وقال فى بلاهة:

شفتى؟! بقت أمك وبقيتى بتحبيها.. مش باقولك.. البنت بتطلع لأمها.. انت طالق يا سميحة لكن ورحمة أمى مش حاسيبك تتجوزيه..



على جثتى.. مش حاكون منصور دياب نمرة اتنين ابداً..

ومضت سميحة إلى باب الغرفة وقبل أن تعبرها نظرت إليه وقالت:

لو عرفت تفكر أو تحس أو تكون زى منصور دياب لحظة واحدة ماكنش حاجة من دى حصلت أبداً يا علاء.. أنت حاجة تانية.. حاجة تانية خالص!

وما أن فتحت باب غرفتها حتى رأت منى تقف فى الردهة.. كان واضحاً انها استيقظت على صوت صراخهما.. ونظرت إليها لتقول:

افتكر سمعتى كل حاجة.. هاتى أمل وحصلينى على تحت..

وسألتها منى فى دهشة:

اجيب هدوم يا مدام سميحة؟!

وقالت وهى تخطو على السلالم:

ولا حاجة..

واشارت إلى غرفتها قائلة:

ادخلى هاتى شنطة ايدى من هنا وأنا حاجيب أمل.

كانت أمل نائمة على صدر سميحة عندما دخلت بها سيارتها الباسات وبقيت على صدرها دقائق طويلة حتى ظهرت منى وهى تحمل حقيبة يد سميحة وحقيبة صغيرة قذفت فيها بكل متعلقاتها الشخصية.. إن كانت سميحة ستترك ملابسها وملابس ابنتها إلا أن منى لن تترك شيئاً.

ودخلت منى إلى المقعد الخلفى وحملت أمل بين ذراعيها لتقود سميحة فى هدوء صاخب.. كانت الأفكار تتلاطم فى رأسها.. لا شىء يدعو للندم.. لا شىء أبداً يدعو للإشفاق على علاء.. كان مأجوراً للزواج منها.. كان يؤمن أنها على علاقة بأحمد.. ذبح رباب.. سحق



كبرياء أم سعيد وأذل سيد.. لا شىء أبداً يستحق البكاء أو الحزن.. ولكن مازال هناك نوال.. مازالت أصابعها خلف كل الجرائم.. ولكن لماذا غضبت سميحة حين تطاول عليها علاء.. لماذا انفعلت؟! لماذا دافعت عنها؟! لماذا رفعت كفها لتصفعه؟! لأنها تعلم أن نوال لم تخن دياب مع طاهر.. لأنها تعلم أن علاء دنىء يتسلق على ذراعى نوال.. لا تعلم.. لكنها حقاً غضبت.. حقاً انتفضت دماؤها كما انتفضت يوماً على منصور قبلها.

وعادت سميحة تهز رأسها فى جنون.. ابداً لا تحب نوال.. ابداً لا تسامحها، وقالت:

منى.. افتحى شنطتى وادينى التليفون بتاعى،

وما أن منحتها منى الهاتف الصغير حتى طلبت أحد الأرقام لتصيح بعد لحظات كأنها تصيح فى اذن نفسها.. فى قلب نفسها قائلة:

شفت يا ماجد.. شفت أمك عملت إيه؟!

أنا وعلاء اطلّقنا.. اطلّقنا.. نوال هى.

وصاح ماجد:

إيه.. انتى فين؟!

وسقطت دموعها من جديد وهى تقول:

راجعة.. راجعة الدقى.. راجعة بيت دياب.

وقبل أن تكمل قال لها ماجد:

قبل ما توصلى حاكون هناك مستنيكى.. اهدى.. اهدى ارجوكى.





كل شيء في بيت دياب هادئ.. كل شيء صامت حين فتحت سميحة الباب لتدخل.. عادت.. عادت ولكنها لم تعد وحدها.. عادت تحمل طفلة صغيرة.. عادت تحمل جراحاً كبيرة.. كان خروجها من هذا البيت خطأ.. كل شيء كان يدعوها إلى عدم الخروج.. لكنها انقادت وراء استسلامها في تلك الأيام.. قد يبدو لنا الاستسلام مريحاً في بعض الأوقات.. قد يسعدنا الاستسلام ويهدئ نفوسنا ونفوس من حولنا بعض الوقت ولكن في النهاية ندفع وحدنا ثمن استسلامنا.. نهاية الاستسلام تبقى دوماً العودة بهزائم وجراح كبيرة.. نهاية الاستسلام دوماً واحدة..

وقاومت دمعها.. علّمها الاستسلام ألا تستسلم من جديد واشعلت ضوء غرفتها وأخذت أمل من على ذراعي مني لتضعها في فراشها وقالت في هدوء:

مني.. أنت حتنامي هنا مع أمل.. أنا حانام في أودة بابا.. الحمام برا لوعايزة تغيري هدومك..

وخرجت سميحة لتفتح باب غرفة رباب كانت نائمة في فراشها ودعاء نائمة على سرير صغير كانت سميحة اشترته لها في أول أيام عملها مع رباب.. وشعرت بها دعاء لتنتفض من فراشها وقالت لها سميحة في هدوء:

ازيك يا دعاء.. أنا آسفة صحيتك.. دعاء مني دادة أمل برا من فضلك وريها مكان كل حاجة.. احنا حنبات معاكم..

وقامت دعاء في هدوء لتقول:

أم سعيد ازيها؟! أنا كلمتها كتير ما بتردش.. مافيش أخبار؟!

وطأطأت سميحة رأسها قائلة:



ربنا معاها.. لسه مافيش حاجة..

عندما أغلقت دعاء الباب خلفها جلست سميحة إلى جوار رباب وأخذت تنظر إلى وجهها فى صمت.. مسكينة رباب.. الكل يعتقد أنها محور الأحداث.. رباب كانت سبباً فى رحيل نوال.. رباب كانت سبباً فى ألم دياب.. رباب كانت سبباً فى تخلى عمرو جابر وزواج سميحة وطلاقها من علاء.. رباب أبداً ليست سبباً.. رباب هى تلك الذريعة التى تتذرع بها النفوس لتدارى ضعفها وقسوتها.. لتدارى غدرها وخيانتها.. رباب ليست إلا فراشة صغيرة لا تعرف بأى حقل تقف ولا على أى زهرة ترسو..

وانحنت سميحة تقبل رأس رباب فى حزن لتفتح رباب عينيها وضمتها سميحة إلى صدرها وهى تقول:

سامحينى يا حبيبتى.. سامحينا كلنا.. احنا ما نعرفش نكون فى طهارتك عشان كدا بنغلط وبنظلم.. سامحينا.

وانتفض جسدها وهى تسمع رنين جرس الباب وقبل أن تنهض لتستطلع الأمر سمعت باب غرفة رباب يدق دقات صغيرة ظهر بعدها ماجد ليندفع نحوها فى لهفة قائلاً:

أنا آسف إنى اتأخرت.. أصل ماما وبابا عرفوا كل حاجة.

ولاح على وجه رباب شبح ابتسامة صغيرة عندما رأت ماجد الذى انحنى يضمها بعد أن ضم سميحة إلى صدره لحظات طويلة.. وجلست سميحة إلى جواره على فراش رباب فى هدوء.. وأخذت تحكى له عن كل شىء وهى تنظر إلى عين رباب كأنها تعتذر لها.. كأنها تعلن لها عن براءتها.. كأنها تعيد لها اعتبارها وكرامتها.. وفى نهاية حديثها رفعت عينيها لتسأل ماجد قائلة:

ماجد؟ أنت كنت تعرف أن نوال هى اللى بعتت علاء يخطبنى؟ كنت تعرف لحكاية الفيلا؟!

وأجاب ماجد في هدوء:

أنا ماكنتش أعرف حتى أنك اختى كل اللى اعرفه أن علاء كان بيتعزم أوقات عندنا وأوقات كنت اشوفه فى الشركة عند بابا.. مهندس شاطر زى أى مهندس بياخد مقاولات أو بيشارك فى مشروع من مشاريعه.. سميحة مافيش أمل عشان أمل حتى.

وعادت سميحة تقول:

عشان أمل أنا اتنازلت عن حق رباب لما ضربها.. عشان أمل أنا اتنازلت عن حق أبويا لما شتمه علاء يومها.. لكن برضة عشان أمل وكرامتها يستحيل أقبل الحياة مع انسان يظلم واحدة زى رباب أو يستغل ضعف واحدة زى أم سعيد أو حتى يتاجر فى دناءة واحد زى سيد..

واطرقت للصمت قليلاً ثم قالت:

بتحبنى يا ماجد.. حقيقى بتحبنى؟!

وترقرقت دمعة فى عين ماجد وهو ينظر إليها فعادت تقول:

بكرة الصبح.. تروح لعلاء تاخده على أى مأذون.. قبل ما يفكر فى حاجة دنيئة من ألعابه القذرة.. بكرة يا ماجد..

خفض ماجد رأسه ليقول فى صوت خفيض:

ماشهدتش على عقد جواز اختى أقوم اشهد على ورقة طلاقها؟!

ووضعت سميحة كفها على وجهه لترفعه إليها وقالت:

انت ماشهدتش على الورقة الغلط.. عايزاك تشهد على



تصحيح الوضع.. عايزاك تكون الشاهد على أول حاجة صح بأعملها بعد موت دياب.

■ ■ ■



انها الثانية عشرة وسميحة مازالت نائمة فى فراش دياب.. أفاقت مرتين لتطمئن على أمل ورباب لكنها سقطت على فراشه من جديد.. أخبرها ماجد أنه سيذهب إلى علاء ليصطحبه إلى المأذون.. أخبرها أنه كان يبكى عندما حادثه وابتسمت لحظتها سميحة فى مرارة.. علاء سيحيا ويموت بقلبين ووجهين، إنها نائمة ولكن عقلها يقظ يشعر بحركاتهم جميعاً خارج غرفتها.. تسمع ركض أمل وتسمع صوت دعاء ولكنها مغلقة العينين وسمعت طرقات على بابها أطلت بعدها منى تقول:

مدام سميحة انتى نايمة؟

ورفعت سميحة الوسادة التى كانت تضعها فوق رأسها لتقول:

مش قوى.. فيه إيه؟!

وعادت منى تقول:

فيه واحدة ست على باب البيت عايزة تقابلك اسمها مدام نوال..

واعتدلت سميحة فى فراشها لتقول:

مين؟! فين.

وأعادت منى ما قالته على مسامع سميحة مرة أخرى.. وشردت سميحة برأسها قليلاً.. ها هى نوال تقف على بابها كما وقفت سميحة يوماً ونفضت رأسها لتقول:

دخليها الصالون وشوفيها تشرب إيه.. أنا جاية حالاً.

ونهضت سميحة عن فراشها لتدخل حمام غرفة دياب وتنظر فى المرآة.. انها ترتدى قميصاً وردياً من قمصانها القديمة التى تركتها فى منزل منصور.. كان شعرها مازال مهوشاً بعض الشىء لكنه جميل يحتضنها فى حنان وألقت ببعض من الماء على وجهها وتحسست



فرشاة اسنان دياب فى حنان.. سترسل لشراء فرشاة جديدة لها ولأمل ولكن بعد هذا اللقاء الذى لم تكن تنتظره سميحة أبداً.. من أين واتت نوال الجرأة لتحضر.. من أين جاءتها كل هذه الشجاعة؟!

وخطت سميحة خارج الحمام.. لن تترك نوال تنتظرها طويلاً كما فعلت بها يوماً.. كان قلب سميحة يدق فى جنون.. لا هى ثائرة ولا هى سعيدة.. هى فقط حقاً تريد أن تعلم لما جاءت.

حين وصلت إلى صالون البيت كانت نوال تجلس على أحد مقاعده.. كانت ترتدى چوب سوداء ضيقة تكشف عن ساقيها الجميلتين وفوقها كانت ترتدى چاكيت من اللون الرمادى.. كان مكياچها رقيقاً وشعرها كعادته جميلاً مصففاً ورائحة عطرها تملأ المكان.. كانت هادئة لكن توترها كان جلياً واضحاً.. وازداد وضوحه حين رأت سميحة تدخل عليها فى هدوء لتقف نوال وتقف أمامها سميحة من جديد قائلة:

أهلاً وسهلاً.. اتفضلى..

وعادت نوال إلى مقعدها وعاد الصمت يدق أركان المكان وبعد لحظات قالت نوال فى صوت خفيض:

كان لازم آجى.. كشف ذنوبى واخطائى تقل وكبر..

وبصوت أعلى قليلاً قالت سميحة فى مرارة كبرى:

أنا عايزة اسمع.. بس أرجوكى أى كلام.. أى تبرير إلا الحب.. إلا الحب.

ورفعت نوال عينيها فى حدة غاضبة ثم أرختهما بسرعة كأنها قررت أن تنسى وجود سميحة معها.. كأنها قررت أن تحادث نفسها فقالت فى صوت هادئ مرتعش وهى تنظر حولها:

يوم ماجيت أعزيكى فى موت منصور كنت خايفة.. كنت خايفة أرفع



عينى وأبص حواليا افتكر اللى حصل زمان.. يوم ما انتى جيتى عندى البيت ترجعى الفلوس بقيت برضة خايفة تفكرينى باللى حصل.. قد ماكنت اتمنى تقعدى قدامى قد ماكنت اتمنى تمشى قبل ما تيجى ناحية الجرح.. النهاردة وأنا جاية كنت برضة خايفة لأنى عارفة إنى لازم اتكلم فى اللى حصل..

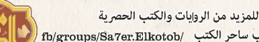
أكثر من ربع قرن وأنا خايفة.. لما دياب الله يرحمه كلمنى وقاللى انه حيموت هربت لأنى خايفة.. لما كنت فى المستشفى كنت باقعد جنبك يا سميحة برضة وأنا خايفة.. خايفة تفتحى عينيك وتشوفينى اكتر ما أنا خايفة تقفليها وتروحى..

لأ دول تلاتين سنة وأنا خايفة.. خايفة حد يقوللى إلا الحب.. خايفة وأنا عارفة أن جريمتى الكبيرة فى نظركم كلكم هى أنى ما اعرفش أحب.. وأول حاجة تقوليها يا سميحة النهاردة هى إلا الحب..

وضمت نوال أصابع كفيها ليتشابكا لحظات ونظرت إليهم فى حزن ثم أكملت بصوتها الخفيض قائلة:

أنا كنت باحب منصور.. حبيته أكتر من أى قلب فى الدنيا.. مارضتش اشتغل عشان أكون جنبه.. عشان يذاكر ويخلص ماجستير ودكتوراة.. عشان امتعه واتمتع بحبه كل دقيقة.. كل شبر فى البيت دا يشهد بأنى كنت بأحبه.. لما انتى اتولدتى كنت بحبك.. لما كبرتى كنت بحبك.. لما منصور طلب طفل تانى رفضت لأنى بحبك وبحبه.. ماكنتش عايزة الحب يتقسم على تلاتة.. كنت عايزاه دايماً على اتنين.. أنا وانتى فى قلبه وأنا وهو فى قلبك وانت وهو بس فى قلبى.. لما رباب جت كنت بحبها.. والله بحبها.. لكن كل حاجة اتلخبطت.. منصور بيعيط.. أنا بتألم.. الناس بتسأل.. بقينا بنبكى حتى واحنا نايمين مع





بعض.. وياريتنا كنا عارفين ننصفها.. كنا بنجرب معاها وفيها خوفنا وجهلنا.. كفرت أنا يا سميحة لما طلبت تروح مستشفى أو دار متخصصة؟! هو أبوكى لما مرض مش ودتوه مستشفى برضه؟! كفرت أنا انى حاولت اشيل الخوف؟! ابعد عنه؟! اهدى شوية؟! انت فى المدرسة.. منصور فى الشغل وأنا.. أنا لوحدى ليل ونهار خايفة.. خايفة تقع.. خايفة تتألم من حاجة أنا مش فاهماها.. هربت.. هربت عشان أفكر.. طلقنى.. طلبتك خفت اكتر.. طلبتك.. هددنى برضه خفت.. طاهر مد ايده ولمنى ولم خوفى.. برضه بقيت ما بعرفش احب.. خفت اكتر واكتر.. خفت من نظرات الاتهام وتجريح الكلام.. بعدت لكن فضلت افتكر البيت دا كل يوم.. سعيت انى اجوزك.. أيوه.. إيه الغلط فى كدا؟! كان عندى أمل تبقى أم..

كان عندى حلم انك يوم ما تبقى أم تعرفى ازاى الست بتتحول.. كان عندى أمل تعرفى أن البشر مش راجل وست.. مش ذكر وأنثى.. لأ.. البشر تلات أنواع ذكر وأنثى وأم.. يا سميحة.. يمكن ربنا ماذكرش ده.. ماقلش إن الجنس ذكر وأنثى وأم لأنه مش كل انثى بتبقى أم.. لكن الست اللى بتتحول لأم هى بس اللى بتدرك ان فى جنس تالت.. جنس تالت قلبه فيه رحمة أكبر .. جنس تالت بتدمع عينه على كل مجروح.. جنس تالت بيسامح.. بيغفر ويحب اكتر من الجنسين التانين.. أيوه كان أملى إنك تتحولى معايا وماتفضليش ضدى.. تفهمي إن الجنس الثالث ده ممكن ما يعرفش يطبخ كويس.. ما يعرفش يتكلم أو يعلم أو يغسل لكن بيعرف يحب ويسامح.. مش قادرة أصدق إنك بقيتى أم. بقيتى من الجنس التالت لكن لسه مجرد ست.. الرحمة والحب اللى جواها زى الرحمة والحب اللى جوا أي راجل وأي ست..



آه يا سميحة.. ازاى ما اتحولتيش.. ازاى؟! إزاى مش قادرة تحبى وتسامحي..

وارخت سميحة عيناها لتقول:

الحب لما يبقى أنانى ما يبقاش حب.. لما نكون إحنا محور الحب.. يبقى أنانية.. انت كل خوفك كان على نفسك كل خوفك كان على مشاعرك مش علينا.. مش على منصور.. مش على رباب من غيرك.. مش على سميحة وهى لوحدها.. عيلة صغيرة من غير حضنك.. حبك وخوفك كان لنوال.. لنوال بس.

وسقطت دمعة من عين نوال لتقول:

لما أصريتى أن علاء يطلقك.. مش دا كان حب لسميحة.. لما اشتغلتي فى دريم مع أحمد زهدى اللى كل حتة فيك بتقول إنك بتحبيه وعايزاه معاكى وجنبك ده مش حب لسميحة؟! أنا شفت عينيك وهى بتحلف بحبه يوم ما كان بيعزيك فى منصور هنا..

وأشارت نوال بيدها إلى حيث التقت أحمد زهدى للمرة الأولى وعادت تصيح:

طلاقك من علاء مش فيه ظلم لأمل.. اخترت حبك لسميحة ولأحمد على حساب بنتك يا سميحة.

صرخت سميحة فى جنون كأنها تئن:

لأ طلاقى من علاء حتى مش خوف منه ولا من ظلمه ده الانصاف الوحيد لشرفى وشرف أبويا.. رد اعتبار لكرامة أختى وكرامتى.

وفى جنون أكبر قالت نوال:

كرامتى.. شرفى.. كرامة سميحة دياب.. شرف سميحة دياب.. يا سميحة لو ماقدرناش نحب نفسنا مستحيل نحب غيرنا ما نقدرش



نديه لحد غيرنا..

وقاطعتها سميحة فى جنون أكبر:

انتى ماحستيش بالحب؟! منصور ماكانش بيحبك؟ أنا ماكنتش بحبك؟ رباب ماكنتش بتحبك؟. حب إيه تانى اللى كنت عايزاه يا نوال.. حب إيه؟!

وبكت نوال وهى تصيح:

يمكن أكون غلطت.. يمكن أكون ضعفت قدام خوفى.. بس أنا اتعاقبت..

وقالت سميحة فى تهكم:

اتعاقبتى؟! بقيتى نوال هانم رسلان سيدة المجتمع.. بقيتى أم ماجد طاهر رسلان.. يوم فى باريس ويوم فى أمريكا ويوم تانى فى سويسرا.. واحنا.. احنا أيامنا كانت عاملة إيه.. وبعدين انتى جايه عايزة ايه.. ماحدش طلب منك حاجة.. تختارى عريس وتبعتيه.. ايه.. حتى لما بعدنا عايزة تدمرينا.. ليه؟! عايزة ترسمى ايامنا ليه؟!

ورفعت نوال كفها لتضعه فى طيات شعرها وتمشطها فى عصبية كبيرة وعادت تقول كأنها بدأت حقاً تنهار:

لأ.. أنا عايزة ابعد صوابع الاتهام عنى.. عايزة اطلب التماس بالصفح والمغفرة.. عايزة اقول انى بحبك.. انى اشتقتلك انى نفسى اشوف رباب.. نفسى آخدكم فى حضنى.. نفسى اترحم من خوفى وضعفى قدامه يا سميحة.

ومدت سميحة أصابعها تشعل إحدى سجائرها وهى لا تعلم ماذا تقول وقبل أن تتحدث إحداهما بكلمة دخلت أمل لتقف أمام نوال وهى ترتدى بيجامتها البيضاء المنقوشة وأخذت تنظر إليها فى دهشة وهى

تراها تبكى ثم جاءت لتقف مستندة إلى ساقى سميحة وهى تقول:

مامى.. بحبك.. هى عيط ليه؟!

ونظرت نوال إليها فى هدوء ثم عادت تنظر إلى سميحة التى ضمت أمل إليها فى صمت حتى جاءها صوت نوال يقول:

عايزاكى تعترفى بيا يا سميحة.. عايزاكى تكتبى اسمى على قوائم الأحياء.. تعالى يا أمل.. تعالى خدينى عند رباب.

ونظرت أمل فى عينى سميحة اللتين أرختهما بالموافقة لتمد أمل بعدها يدها الصغيرة نحو يد نوال وتدخل بها بعيداً عن سميحة التى أطفأت سيجارتها فى ذهول ثم وقفت تخطو لتلحق بهما..

كانت أمل تقفز إلى جوار رباب فى فراشها وتداعبها حين وقفت نوال تنظر إليها من بعيد.. لا شىء بينهما سوى ستار ضعيف من الدمع يتراقص فى عينى نوال..

كانت ترى سميحة.. كانت تعلم أنها تكبر.. لكنها أبداً لم تحاول أن ترسم صورة لرباب.. كانت دوماً تغمض عينيها كلما حاول قلبها رسم صورة لها.. كانت تخاف أن تكون صورتها أجمل من الواقع فتصدم حين تراها وكانت تخاف أن ترسم لها صورة أبشع من الواقع فتشعر أنها اضافت لظلمها لها ظلماً آخر..

حين دخلت سميحة غرفة رباب كانت نوال تخطو فى بطء وهدوء وأمل تصيح:

رباب.. رباب أهى..

واقتربت نوال أكثر لتصبح أمام رباب التى كانت تنظر إليها فى ذهولها المعتاد والذى مازال أكبر من سابق عهدها منذ ذاك اليوم المشئوم.



لم تحاول نوال أن تلمسها.. لم تحاول حتى أن تجلس إلى حافة سريرها.. مازال الخوف يسكنها حتى من رباب رغم ضعفها ووهنها إلا أن نوال كانت خائفة منها وبعد لحظات من الصمت قالت نوال فى صوت خفيض:

منصور كان دايماً يقول إنك هدية وهبة من ربنا.. كان دايماً يقول إنكِ ملاك.. يا ترى الملايكة بيشوفوا اللى البشر مش بيشوفوه ولا بيعترفوا بيه؟! يا ترى الملايكة بتسامح يارباب.. بتسامح؟!

كان صوت نوال خفيضاً باكياً لم تحتمله سميحة.. انها ابداً لا تريد لقلبها أن يرق.. لا تريد أبداً لقلبها أن يحنو أو يغفر.. لذا قررت أن تترك لهما الغرفة ماشاءا وحين أغلقت عليهما الباب نظرت إلى غرفة دياب بزاوية عينيها وبكت.. كم كان دياب يحب نوال.. كم كان حقاً يتمنى لقاءها ورؤيتها ولو لحظات..

ومضت سميحة إلى الصالون من جديد لتشعل سيجارة جديدة وبعد لحظات لا تعلم عددها سمعت دعاء تقول وهى تسرع نحوها:

مدام سميحة.. الآنسة رباب قالت بابا..

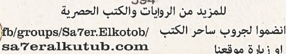
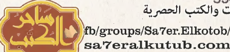
ونهضت سميحة لا تصدق ما سمعت.. منذ خروج رباب من فيلا سميحة لم تقل حرفاً أو تصدر صوتاً وقبل أن تدخل إلى غرفتها كانت نوال تقف أمام سميحة من جديد لتقول لها:

سؤال واحد يا سميحة.. انتِ اتطلقتى من علاء عشان كارهة ولا عشان أنا اللى بعتّه يطلبك..

وقالت سميحة فى انكسار:

ما تفرقش كتير.. الغلط بيجيب غلط ونهاية الغلط لازم تكون كدا..

ومضت نوال تأخذ حقيبتها الصغيرة وفى تلك اللحظة جاءت منى

تحمل هاتف سميحة الصغير بين يديها قائلة:

سميحة هانم.. الاستاذ أحمد زهدى عايزك ضرورى..

عندما التفتت نوال تنظر إلى وجه سميحة رأته يزداد شحوباً وألماً وسمعتها تقول:

إيه.. لقيوا جثة سعيد.. أنت متأكد.. امتى؟!

■ ■ ■



كانت سميحة ترتدى قميصاً من الصوف الأسود على چوب سوداء تقف على حدود ركبتيها ومن تحتهما تظهر ساقيها البيضاء ملتفة احداهما حول الأخرى فى چورب أسود شفاف.. وجهها كان خالياً من أى ماكياچ عدا خط أسود صغير فوق عينيها.. شعرها البندقى الغزير كان مرفوعاً فوق رأسها فى شينيوه جميل.. كان على عينيها طبقة خفيفة من دمع رقيق كأنه ورقة سيلوفان التفت حول أجمل ماسة على كوكب الأرض.. ورفعت عيناها تنظر إلى الكاميرا فى هدوء ثم أخذت ترحب بضيفها وزير النقل والمواصلات فى هدوء أكبر ثم قالت بعد لحظات قصيرة:

أرجو من سيادتك وكل المشاهدين تسمحولى نشوف التقرير التالى وبعدها نتكلم..

كان صوت سميحة يشرح كل ما يظهر على الشاشة ففى البداية جاء صوتها يقول:

دا سعيد.. ودى أم سعيد والشابة الجميلة السمرا دى خطيبة سعيد.. دا بيت سعيد ودى حارته.. ودى شبرا الحى اللى اتولد وعاش فيه.. ودى مصر بلده.. عبدالصمد أبوه مات من الفقر والمرض وأمه كملت المشوار لكن لأنه انسان عنده قلب وعنده أحلام سافر.. أربع سنين مانزلش فيهم بلده ولا مرة.. اشتغل سواق وجناينى وكل حاجة تتطلب منه كان بيعملها.. مصر وحشته.. أمه وخطيبته وحشوه وطلبوه.. رجع لمصر ورجع على عبّارة مصرية صاحبها برضة مصرى.. وبرضة عنده أحلام بس بالمليارات، العبّارة غير مستوفية للشروط الأمنية.. العبّارة.. العبّارة فيها اعطال ومعانا تقرير بكدا.. لكن مش مهم.. المهم الناس تركب والعبّارة تجيب فلوس.. سعيد ركب العبّارة



المصرية وهى دى نهايته.. جثة مشوهة مقتولة بالظلم والطمع.. ليه مصر ولادها بيهربوا وليه لما يهربوا نطلب نرجعهم وليه لما يرجعوا نقتلهم ويبقى تمنهم مية وخمسين ألف جنيه وليه بعد دا كله الجانى يهرب على أول طيارة؟! ليه يا سيادة الوزير؟!

كانت المشاهد قاسية.. صور لسعيد وأمه وصور لميناء الغردقة وصور لآلاف النساء والرجال الذين انتظروا طويلاً وكان بعضهم حتى لحظة عرض الحلقة مازال ينتظر وصول جثث ابنائهم.. ولكن كان أقسى المشاهد هو مشهد أم سعيد وعزيزة بعد ظهور جثة سعيد.. كانت الأم تبكى فى حرقة وهى تصيح بأنها هى التى قتلته.. هى التى طلبت عودته كانت تصيح وتلطم وجهها فى قسوة بالغة وهى تتمنى لو لم يعد يوماً إلى أرض وطنه..

فى النهاية عادت الكاميرا إلى وجه سميحة التى رفعت عينيها تنظر إلى المخرج كأنها تطلب منه فاصلاً إلا أنه أشار لها بالاستمرار وسقطت دمعة سميحة.. هربت الدمعة من ورقة السيلوفان لتقول معها سميحة فى صوتها الحانى الحزين:

العزاء ليا وليكم جميعاً فى كل سعيد مات.. فى كل طفل اتيتم وفى كل حلم اتحول لكابوس.. العزاء لمصر والمصريين فى قلوب اتحجرت وضماير ماتت وشباب راحت وكل خطيئتها انها حلمت وحاولت تحقيق حلمها.

أنا ليه بيحضرنى أبيات كتبها شاعرنا فاروق جويدة ليه بترن فى وجدانى؟! مش عارفة لكن عايزاكم تسمعوها..

فاروق جويدة قال:

ماذا أصابك يا وطن



بخلت يوماً بالسكن
واليوم تبخل بالكفن

وسقطت دموع أخرى من عيون سميحة التى أرختهما فى خجل كبير ثم عادت بعد لحظات تستعيد بعضاً من رباطة جأشها لتلتفت إلى الوزير وتسأله فى هدوء:

دى الجريمة ودا التمن.. الجانى فين يا سيادة الوزير.. الجانى فين ودم ولادنا اللى لوّن البحر الأحمر فى رقبة مين بالتحديد؟!

■ ■ ■



عشرة أيام بعد حلقة سميحة دياب عن غرق العبّارة المصرية التى مات عليها مئات الضحايا.. عشرة أيام تحدثت فيها الصحف والجرائد عن سميحة دياب وعن السبق الكبير الذى قدمته.. تحدثت الجرائد عن نجاحها الكبير وأيضاً عن طلاقها الذى أعلنته فى هدوء.. تحدثت الجرائد أيضاً عن التعويضات التى ارتفع قدرها حتى أصبحت خمسمائة ألف جنيه للغريق ونسبوا فضل هذه الزيادة إلى حلقة سميحة دياب.. تحدثت أيضاً عن تحقيقات كبرى تفجرت ووعود بتتبع مالك العبّارة وإعادته إلى أرض مصر لتقديمه إلى محاكمة عاجلة..

عشرة أيام مرت فى صخب كبير ولكنها أيضا مرت فى ألم وحزن لا حدود لهما على كل من تعرفهم سميحة..

كان قلب سميحة نفسها يذوب ألماً على أم سعيد التى عادت إلى منزلها فى حارة القهوجى.. منزلها الذى كانت تدعوه الحفرة والذى وقفت سميحة دياب أمامه للمرة الأولى فى حياتها وحولها عشرات الأشخاص الذين تعرفوا عليها حين سألت عن مكان بيت أم سعيد.. البعض كان يرقبها مشدوهاً لا يصدق جمالها وبساطتها والبعض الآخر كان يحكى لها عن مشاكله أو قصة يتمنى أن تثيرها فى برنامجها.. وبابتسامتها الهادئة انسلت إلى داخل بيت أم سعيد ووقفت تبحث عن جرس فلم تجد فمدت يدها تطرق طرقات صغيرة متوالية فتحت بعدها أم سعيد الباب لتنظر إليها سميحة وهى تقول:

ممكن أدخل؟!

ودخلت سميحة وأغلقت باب البيت خلفها ومدت ذراعها لتضم أم سعيد إلى صدرها فى حنان ثم جلست إلى أحد المقاعد المتهالكة لترفع عينيها قائلة:

مش كفاية كدا يا حبيبتى.. مش ترجعى معايا الدقى بقى..

ورفعت أم سعيد بقايا وجهها النحيل لتقول:

أنا رجعت فعلاً.. رجعت الحفرة بتاعتى يا سميحة.. أنا مش حاخرج من هنا غير على لقا سعيد إن شاء الله..

ومضت سميحة تقول:

كلنا لينا ناس عايزين نقابلهم بس لغاية الميعاد ما ييجى ارجعى.. رباب محتاجالك وأنا كمان..

وسقطت دموع أم سعيد بعد أن ظنت أنه ما بقى لديها دموع لتقول:

أنا مابقتش أقدر أعمل حاجة.

وقاطعتها سميحة فى حنان:

مش حتعملى أي حاجة.. دعاء ومنى موجودين ولو مشيوا أجيب غيرهم.. انت تقعدى وكلنا نخدمك.. أم سعيد.

إلا أن أم سعيد رفعت كفها النحيل لتقول:

مش قادرة أنسى إنك مارضتيش تسامحينى ومش قادرة برضة أزعل منك.. اسمعى يا سميحة أنا مش حاخرج من هنا.. بكرة حاروح اتنازل عن نصيبى فى التعويض لسيد.. يحرم عليا مليم من عوض ابنى.. الاستاذ عبدالعزيز كلمنى وعزانى لما شاف البرنامج بتاعك وحيبعتلى دعوة أروح أعمل عمرة واشوف الحتة اللى ابنى قعد فيها اربع سنين يخدم.. أنا حارجع بعدها حفرتى وصدقينى ورحمة أبوكى وابنى مش حاخرج منها.. أنا دلوقتى عايزة أنسى انى أنا اللى جبته.. أنا اللى خليته يرجع عشان مايرجعش ويموت.. افهمينى يابنتى.. مابقاش ينفع.. بس وحياة غلاوة العشرة يا سميحة لو يوم احتجت حاجة مش حاطلبها غير منك..

وعادت أم سعيد تجهش فى البكاء من جديد وسميحة ترقبها فى صمت.. هى أيضاً مازالت تلوم نفسها لأنها لم تقل لها تلك الكلمة التى أرادت سماعها ولكن هل تراها كانت تشكل فارقاً.

إنها الأقدار.. ولكن نحن دوماً لا نعلم..

وبعد لحظات نهضت سميحة فى هدوء وهى تقول:

فلوسك حتوصلك كل شهر وبيت دياب دا بيتنا كلنا.. صدقينى من قلبى كنت اتمنى إنه يرجع لكن دا أمر ربنا..

■■■



كم عدد المرات التى اعتذر فيها علاء عن موعد حدده للقاء نوال.. اكثر من ثلاث مرات.. لكنها هذا الصباح أخبرته انها لن تقبل أى اعتذار..

وعادت نوال تنظر إلى ساعة مكتبها بمدرسة رؤى الدولية.. تأخر نصف ساعة.. سيحضر.. هى تعلم أنه سيحضر ولكن هل هى حقاً تعلم لماذا تريده أن يحضر بالتحديد.. منذ أكثر من شهر.. منذ ذاك اليوم الذى دخلت فيه بيت دياب.. منذ ذاك اليوم الذى رأت فيه فى عينى سميحة انكساراً وهزيمة كبرى وهى تعلم مم تخاف سميحة.. سميحة تخشى جنون علاء.. وحدها نوال تعلم كيف تتعامل معه.. وحدها يجب أن تضع لخوف سميحة نهاية.. إن كانت نوال حقاً دمرت ماضى سميحة كما قالت لها فيجب أن تكون هى من تنقذ مستقبلها.. سميحة تعشق أحمد زهدى.. رأت فى عينيها الحب يوم ذهب لعزائها ورأت فى عينيه العشق أيام كانت سميحة ترقد فى العناية المركزة عندما فقدت جنينها... نوال وحدها ستضمن لسميحة عدم تعرض علاء لها أو لابنتها إن أرادت الزواج من أحمد.. نوال أم سميحة.. كانت وستبقى.. شاءت أم أبت هى أم سميحة وأم رباب..

رباب؟! مسكينة رباب.. كانت نوال تظنها أكثر دمامة.. وأرخت عينيها فى خجل.. رباب أكثر رقة وانكساراً من كل معاقى الأرض.. لو تسمح لها سميحة.. فقط لو تسمح لها ستأخذها إلى أكبر مصحات الأرض.. ربما..

إنها تائهة.. ولكنها تعلم أنها إن لم تستطع تجميل الأمور فيجب عليها على الأقل أن تعيدها كما كانت.. تعيدها كما كانت قبل رحيل دياب.. ولكن هل يعود شىء كما كان.. لا شىء يعود.. لا العمر يعود ولا



الأيام تعود.. فليكن.. لا شيء يعود ولكن يجب أن تشعر سميحة بالأمان.. يجب أن تتحرر من خوفها من علاء لطفى.

يجب أن تنال حقوقها منه كاملة..

ومدت نوال يدها تبحث عن هاتفها الصغير لتحادثه وقبل أن تفعل وجدت سكرتيرتها الخاصة تخبرها بقدومه.

دخل علاء مكتب نوال فى هدوء.. كان يرتدى سويت شيرت أبيض.. انه شاب مفتول العضلات رائع الجسد لكنه أحمق كبير.

وأشارت إليه نوال من خلف مقعدها بالجلوس وجلس علاء ليقول بعد لحظات:

أنا حقيقى آسف إنى لغيت كذا ميعاد قبل كدا.. بس حضرتك ماتعرفيش ظروفى النفسية عاملة إيه..

وابتسمت نوال ابتسامة صغيرة حائرة قالت بعدها:

أنا كمان آسفة على كل اللى حصل بينكم ياعلاء.. بس الحمد لله إن العلاقة بينا مش بس جوازك من سميحة.. لأ.. فيه شغل ومشاريع وأمل بنتك.. وكل دى حاجات عمرها ما حتنتهى.. شفت بنتك كام مرة فى الشهر دا يا علاء؟!

وأصابه السؤال بحيرة واضطراب كبيرين.. علاء لم يسأل عن أمل مرة واحدة.. علاء طوال الشهر الذى انقضى بعد طلاق سميحة كان يركض ويلهث فى مشاريعه.. كان يريد أن يتأكد أنه ابداً لن يقع إن أخرجته نوال من دائرة طاهر رسلان.. كان يريد أن يثق أنه لم يعد بحاجة لهم ولكن ها هى تعده بأعمال ومشاريع.

وعادت نوال تسأل:

شفت بنتك كام مرة؟!



ونظر إليها علاء فى تردد ليقول:

ولا مرة يافندم.. أنا حالتى النفسية ماكانتش تسمح.. الحقيقة يا نوال هانم.. سميحة جرحتنى وأهانتنى لدرجة أنى مش عارف ومش قادر حتى اتصل بيها ولو كان عشان أمل.

وابتسمت نوال فى هدوء لتقول:

انت شايف إن سميحة ماعندهاش حق فى اللى عملته؟!

ولم يعلم ماذا يقول فقال فى صوت خفيض:

مش عارف.. لكن أنا عملت كل اللى طلبته.. صحتنى من النوم وقالتلى طلقنى.. طلقتها.. بعتت ماجد بيه تانى يوم الصبح ياخدنى عند المأذون رحت.. فيه حاجة تانى ممكن أعملها.. أسيب الڤيلا؟!

وقاطعته نوال قائلة:

ڤيلا إيه اللى تسيبها.. استحالة طبعاً.. سميحة مش عايزة حاجة وماطلبتش حاجة..

ورفع علاء عينيه ينظر إليها فى بلاهة.. انه لا يفهم لكن نوال قالت:

شوف يا علاء.. اللى فضل بينكم أمل.. وبنتى من حقها.

وقاطعها علاء فى حدة قائلاً:

تتجوز؟ مش كدا.

وبحدة أكبر لكن فى صوت هادئ أجابت نوال:

أيوة كدا..

وعاد علاء يقول فى انفعال كبير وهو يقاطعها:

هى لحقت؟ دى العدة لسة ما خلصتش يا نوال هانم..

عندها أشعلت نوال سيجارة لتأخذ منها نفساً عميقاً ثم قالت:

علاء.. أنت ابنى زى ما سميحة بنتى بالضبط.. فاكر لما زمان طلبتها

من الدكتور منصور واعتذر وافتكرنا الحكاية خلصت.. أنا معاملتي معاك اتغيرت؟! أنا اتخليت عنك أو عن إيمانى بيك كراجل كويس أو مهندس هايل؟! أبداً!! لا أنا ولا أنت كنا نعرف أن الموضوع حيتفتح تانى ولا أنه حيبقى فيه نصيب غير لما أنت جيت وقولتلي إن المهندس أيمن النجار كلمك بناء على طلب الدكتور على سليمان، علاقتى بيك وحرصى على نجاحك كانوا زى ما همة وزى ما حتكون على طول.

وهدأ علاء قليلاً.. إنها على حق.. عندما رفضه دياب فى المرة الأولى نوال أبداً لم تتغير.. وعاد يرفع عينيه لينظر إليها فى هدوء أكبر وبعد نفس جديد من سيجارتها قالت نوال وقد بدأ الهدوء يكسو صوتها هى الأخرى:

بس دا كمان ما يمنعش أبداً إنى اتطمن على بناتى.. عارف إيه اللى حيعديكم المرحلة دى أنتو الاتنين؟ الشغل والنجاح.. مش أى شغل ومش أي نجاح.. سميحة الحمد لله حطت رجلها على الطريق الصح.. أنت كمان لازم تقف على أرض صلبة أكتر.. المشاريع الصغيرة اللى أنت بتحاول تاخدها دى مش نجاح.

وعاد علاء ينظر إليها فى شىء من الدهشة والخجل.. إنها تعلم كل شىء.. لا شيء فى سوق المعمار والمقاولات الهندسية يمكنه أن يختبئ أو يخفى عن مظلة طاهر رسلان الكبرى.. بل ربما كانت مشاريع مصر بأكملها لا تخرج إلا من تحت مظلته.

وعادت نوال تبتسم وهى تخرج من درج مكتبها مظروفاً أبيض مدت به يدها إلى علاء قائلة:

دا حيخرجك من كل اللى أنت فيه.. دا يا علاء حيخليك أقوى.. حيخليك حتى تفتكر تسأل على بنتك ويخليك أقوى وأكبر فى نظرها.



ومد علاء يده إلى نوال ليلتقط المظروف ويفتحه.

كانت نوال ترقبه فى هدوء.. تعلم إن علاء لن يقاوم.. تعلم أن علاء سيسقط أمام سطور الأوراق.. لهذا أحبته نوال.. لهذا تمنته زوجاً لسميحة لأنه شخصية واضحة سهلة لها ثمن.. لا خوف أبداً من كل ما له ثمن!!

وعاد علاء يحدق فى السطور من جديد.. إنه لا يصدق.. عقد من شركة طاهر رسلان بإدارة فرع الشركة الكبير فى دبى.. عقد يتضمن سكن فاخر وسيارة ونسبة مئوية من كل عملية تنفذها الشركة.

إنه لا يصدق.. لا يصدق أبداً ولكن ما زاد جنونه هو الرقم الذى يراه فى خانة المرتب الشهرى.. إنه لا يصدق.. وعاد ينظر فى وجه نوال.. كل شىء تبعثر فى رأسه.. كل شىء أضطرب فى عينيه حتى أنه لا يرى شيئاً سوى بيت دبى وسيارة دبى ومكتبه هناك ونجاحاته وأسمه الذى أصبح لا يقل شهرة عن رسلان أو حتى سميحة دياب..

وابتسم ابتسامة ساخرة دون وعى.. سميحة؟! ألف ألف سميحة ستقع أمام علاء لطفى.. ألف ألف سميحة ستلهث خلفه وتركض فى ركابه.. فلتذهب سميحة إلى الجحيم بغرورها وغبائها.. نوال.. هذه العبقرية وحدها تكفيه.

وقبل أن يقول كلمة قالت نوال:

أنا مش بأعمل كدا عشان أبعدك.. أبداً لأ عشان أنا مؤمنة بيك وبقدراتك.. طاهر كمان موافقنى وواثق أنك حتحقق نجاح كبير لينا هناك وخصوصاً أن رفعت فهمى حيبقي معاك..

وعادت تستكمل فى صوت أكثر حنواً:

علاء.. أنا عايزة حفيدتى تكون فخورة بأبوها..



خد وقتك وفكر.. عندك عشرة أيام بعدها تسافر.. تبدأ مرحلة جديدة من حياتك.. نجاح حقيقى وكبير..

كان علاء ينظر إليها وهو لا يصدق.. أنه سعيد.. أنه محظوظ.. لم يعد يعنيه أمر سميحة فى شيء حتى ذاك الغيظ بدأ يذوب ويهدأ.. حتى أمل يعلم أنها ستكون بخير.. يكفيها أن تحيا مع نوال لتصبح امرأة غير كل النساء.

وأطرق برأسه لحظات.. لن يخبر نوال شيئاً الآن.. ولكن من قال إن نوال رسلان لم تكن تعلم إجابته حتى قبل ذهابه إلى لقاءها!!

■ ■ ■



كانت سميحة تتقلب فى فراشها فى ضجر كبير.. صوت كبير يدق رأسها.. صوت لا تعلم كيف تقاومه أو أين تهرب منه..

منذ الصباح.. منذ أخبرتها دعاء أنها ستذهب إلى زيارة أمها لتهنئتها بعيد الأم وهى لا تعلم إين تهرب من هذا الصوت الذى يلح عليها فى محادثة نوال.. لكنها تقاوم.. تقاوم بشدة..

ونهضت من فراشها.. لا فائدة.. يجب أن تخرج من غرفتها.. يجب أن تجد شيئاً تفعله ليسكت هذا الصوت.. وما أن خرجت من غرفتها حتى تسرب إلى أذنيها صوت فايزة أحمد تغنى «ست الحبايب».. وأرخت عينيها المجهدة لتتبع قدماها مصدر الأغنية.. كان الصوت قادماً من مذياع وضعته منى إلى جوارها وهى تقف فى المطبخ تعد لرباب وجبة الغداء.

وقفت سميحة بباب المطبخ ترقب منى وهى تمسح عيناها بكم قميصها الذى كانت ترتديه وهى تعد الطعام.. واقتربت سميحة منها فى هدوء لتسألها:

انتِ بتعيطى يا منى؟!

ورفعت منى عيناها إلى سميحة قائلة:

حاجة غريبة قوى يا مدام سميحة.. كل سنة من ساعة أمى ما ماتت الله يرحمها وأنا أقول مش حاسمع أغانى عيد الأم أبداً.. لكن ماقدرتش.. ماقدرتش ما اسمعهاش.. الله يرحمك يا أمي..

وربتت سميحة بكفها على كتف منى فى حنان لتسألها:

كنتِ بتحبيها يا منى؟!

وانحنت منى تلتقط ملعقة سقطت من يدها قائلة:

مين ما يحبش أمه يا ست سميحة.. مين؟!



وقالت سميحة كأنها تقاوم من جديد:

لازم كانت طيبة وحنينة يا منى..

إلا أن منى قالت:

أبداً والله.. يعنى أقولك إيه بس؟!.. لكن والله لو ترجع بقسوتها وأكتر مية مرة أرحم بكتير من إنى اسمع غنوة زى دي وأمى مش موجودة.

وخرجت سميحة من المطبخ بسرعة.. لِمَ تتحد كل الأصوات عليها اليوم.. حتى مني تخبرها أن أمها كانت قاسية ولكن رغم هذا قسوة فراقها أكبر.. هل تنتظر هى أيضاً رحيل نوال حتى تبكيها؟!

وقبل أن تصل سميحة إلى غرفتها كانت أمل تركض نحوها وهى تقول:

مامى.. كل سنة وأنتِ طيبة..

وانحنت سميحة تحمل أمل على ذراعيها لتجدها تحمل بين كفيها زهرة حمراء صغيرة وقبل أن تسألها جاءها صوت منى يقول:

أنا بعت اشتريت وردتين من الكشك اللى قصادنا.. خليت أمل تدى واحدة للست رباب وقلتلها تدى حضرتك التانية..

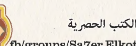
سميحة أيضاً أرسلت باقة كبيرة من الزهر إلى عفاف البندارى وبعض من زميلاتها فى قناة دريم لكن مازال الصوت يدوى فى رأسها والتفتت تنظر إلى منى قائلة:

منى.. من فضلك.. لبسّى رباب وأمل حنخرج كلنا..

وانحنت لتطلق أمل من ذراعيها وهى تقول:

ألبسى يا أمل.. حنروح عند ماما..

وقبل أن تسأل أمل عادت سميحة تقول:



ماما.. مامتى أنا.. فاكراها؟!.. نوال.. ماما نوال!!





عندما وقفت سميحة بسيارتها فى شارع البحر الأعظم جاءها نفس البواب الذى رأته يوم جاءت تحمل كيساً أسود فى يدها.. لكنها جاءت اليوم تحمل باقة كبيرة من الزهر الأبيض.. حتى أمل كانت تحمل فى يدها بالونات كثيرة من الهيليوم مكتوباً عليها عبارات تهنئة.

وقف البواب ينظر إلى وجه سميحة كان يعرفها ولكنه لم يكن يذكر زيارتها الأولى.. كان ينظر إلى رباب التى كانت تتكئ على ذراعى سميحة فى وهن.. مازالت رباب ضعيفة رغم تحسنها الكبير.. وصاح الرجل فى انبهار:

مدام سميحة دياب.. أهلاً وسهلاً.. حضرتك طالعة عند مين؟!

وفي ثبات وبابتسامة هادئة قالت سميحة:

أنا وأختى طالعين عند ماما..

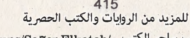
وصاحت أمل فى فرحة:

ماما نوال..

وركض أمامهم فى سعادة ليحضر لهم مصعد العمارة.. وما أن دخلت سميحة حتى رفعت عيناها تنظر إلى المرآة.. قرصت يوماً خديها أمام هذه المرآة لتخفى خوفها وشحوبها لكنها اليوم جاءت تُظهر حباً حاولت أن تخفيه.. غفراناً تحاول أن تعلنه وآخر تحاول أن تطلبه..

ليس من حقها أبداً أن تحرم رباب من نوال مادامت تريدها.. ليس من حقها حتى أن تحرم نوال من سميحة ولا تحرم نفسها من أن تضمها نوال.. لم تعد تريد المزيد من الحرمان..

حتى منصور سيسعده أن تعود إلى ذراعى نوال.. حتى منصور سيسعده أن يعلم أن سميحة ستردد أغنية من أغانى عيد الأم مع كل من يرددها اليوم!!



ذات الخادمة الآسيوية بذات الزي الأنيق فتحت الباب ووقفت لحظة تنظر إليهم.. أمل كانت ترتدى بنطلوناً من الجينز الأزرق الفاتح وعليه تى شيرت وردية جميلة.. وسميحة أيضاً كانت ترتدى قميصاً وردياً عليه نقوش من اللون البيستاچ الهادئ وأيضاً ترتدى بنطلوناً من الجينز الأزرق الفاتح.. كأنهما نسختين إحداهما صغيرة والأخرى أكبر قليلاً.

وابتسمت الآسيوية.. ليس صعباً أبداً أن تعلم أنهما قطعة من نوال رسلان.. الصورة واحدة ربما جاءت فى مقاسات مختلفة إلا أنها صورة واحدة.. حتى رباب بشعرها الأسود وثوبها الأبيض الأنيق بدت قطعة منهم.

وأفسحت لهم الطريق.. لم تسألهم من يريدون.. لم تتركهم على الباب كما تركت عليه سميحة منذ أعوام.. هناك وجوه تخبرك لما جاءت ومن أجل من دون أن تنطق الشفاه.

وصاحت أمل وهى تنظر حولها فى فرح:

إن البيت جميل رائع.. وقبل أن تجلس أمل استدارت وبالوناتها مازالت بين أصابعها الصغيرة.. استدارت لترى ماجد يركض نحوها وهو يحملها فى حب وفى اللحظة التى احتضن فيها رباب بذراعه الآخر ظهرت نوال رسلان.. ظهرت وهى ترتدى ذات الروب الوردى من كريستيان ديور.. لكن لا ألوان على وجهها ولا عطر يفوح من ثوبها.. من يضعون الألوان غالباً يضعوها ليخفوا خلفها خوفهم أو قبحهم.. نوال خرجت اليوم بوجه يكسوه الأمل وسميحة جاءت بوجه يوردّه الحنان.. وتلاقت عيناهما لتقول سميحة من خلف دمعة لاحت فى عينيها:

ماكانش ممكن أحرم نفسي وأختى من كلمة كل سنة وأنتِ طيبة



ياماما..

واقتربت نوال منها في هدوء ورفعت عيناها البنية الصغيرة ورفعت ذراعيها لتحتوي بينهما سميحة..

لحظات هادئة صامتة أغمضت فيها نوال عينيها كانت ساكنة كأنها تتدفأ.. كأنها تسترد ذكرياتها.. كأنها تسترد هويتها الضائعة..

لحظات لا يعرف معناها أحد.. لحظات لا يعلم أحد قسوتها ولا يعلم أحد أيضاً حنانها..

وابتعدت سميحة قليلاً عن نوال التي تقدمت نحو رباب لتأخذها هي الأخرى بين ذراعيها كما أخذت سميحة..

لم يقوى طاهر رسلان على التفوه بكلمة ولا حتى ماجد.. كان الجميع يرقب وجه نوال الذى بدا وكأنه يُخلق من جديد.. وجه حاولت إخفاءه زمناً لكنها تاقت إليه وتاقت روحها أيضاً إليه.. كان طاهر رسلان يشعر أنه يشهد مولدها من جديد.

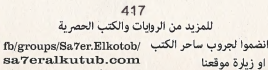
أخرجت سميحة من حقيبتها الصغيرة علبة كانت قد اشترتها من «داماس» وهي في طريقها إلى نوال التي فتحتها لتجد بها ميدالية مفاتيح كبيرة من الذهب الأبيض الخالص يتدلى منها قلب كبير هو أيضاً من الذهب الأبيض.. وابتسمت وهي تسمع سميحة تقول:

ماعرفتش اشترى إيه.. لما شفت القلب الأبيض قلت يبقى بداية كويسة..

وابتسمت نوال وهى تقول:

لأ.. دا مش البداية يا سميحة.. دى الحقيقة.. دا قلبك انتِ لما اتحول وبقى قلب أم.. عرف يسامح وعرف ينسى.

وبابتسامة صادقة قالت سميحة:





عندك حق.. دا قلب الجنس التالت..
والتفتت سميحة تنظر إلى ماجد قائلة:
أنا معايا هدية تانية فى العربية يا ماجد.. تيجي معايا نروح..
وقاطعتها نوال قبل أن تكمل:
ماجد حيستنتي مع أخته وأمل.. أنا حاروح معاكي شبرا.. مش أنت عايزة تروحى لأم سعيد؟!
وسقطت دمعة على وجنة سميحة الوردية.. لن تسألها كيف عرفت.. لن تسألها.. الأم لا يشعر بها إلا أم أخرى!!

■■■



كانت عزيزة تحدق فى سقف غرفتها ودموعها تسقط على حافتى وجهها فى غزارة وانتفض جسدها فى ذعر وهى ترى حسين يفتح الباب ليدخل إلى غرفتها..

واعتدلت عزيزة فى فراشها وقبل أن تنهض عنه أشار لها حسين بكفه أن تبقى وأغلق باب الغرفة ليجلس إلى جوارها وهو ينظر إلى سماح النائمة فى سريرها ثم التفت ينظر إلى دموع عزيزة وعاد يحدق فى وجهها أكثر ثم سألها:

إيه اللى على وشك يا عزيزة؟! هى أمك برضة ضربتك تانى؟!

واجهشت عزيزة فى البكاء قائلة:

هى بتعمل حاجة غير كدا.. مش مكفيها اللى جرالى.. أعمل إيه.. أعمل إيه بس.

وأخذ حسين يربت على كتفيها ويهدأها ثم نكس رأسه قائلاً:

ياعزيزة الحى أبقى من الميت يابنتى.. بصى لنفسك فى المرايا.. بصى على عنيكى.. هى دى عيون عزيزة الحلوة.. يابنتى ارحمينا وارحمى نفسك.

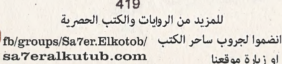
وعادت عزيزة تبكى وهى تحاول أن تكتم صوتها قائلة:

أعمل إيه بس عشان أرضيها.. يرضيك أنت اتجوز صبى عند الحاج نعيم.. يرضيك.

ونكس حسين رأسه ليقول بعد لحظات من الصمت:

لا يابنتى مايرضينيش.. بس هو.. طيب اسمعى أنا بكرة الصبح أروح للدكتور صابر أطلب منه يتوسطلك وترجعى شغلك بتاع المستشفى.. أهو تبعدى عنها وتشغلى نفسك وكمان تلاقى قرشين.

وقاطعته عزيزة فى ذعر:



ما أنت عارف الدكتور صابر قال مالوش دعوة وقال انه مش عايز حد يكلمه فى الحكاية دى تانى.. دا طرد ماما.. الدكتور اللى كنت باشتغل معاه زعل لما أنا قدمت استقالتى وسبت الشغل فى يوم وليلة.

وعاد حسين ينكس رأسه وهو يسترق النظر إلى وجهها.. مسكينة عزيزة.. جميلة لا ترحمها وهو أيضاً لا يعلم ماذا يفعل وبعد لحظات عاد يقول:

طب اسمعى يا عزيزة.. فاكرة الحاج محروس صاحب المكتبة اللى كنتى زمان بتشتغلى فيها.. أهو مشى البنت اللى جابها بعدك.. أروحله أنا يابنتى واترجاه يرجعك.

ولطمت عزيزة وجهها قائلة:

والنبى يا بابا لأ.. هو فيه إيه.. انتو متضايقين من لقمتى.. انزل من بكرة أخدم فى البيوت.

ووضع حسين كفه على رأسها قائلاً:

ماتقوليش كدا يابنتى.. أنا عايزك تخرجى وتبعدى عن جميلة وبعدين القرشين اللى انتى محوشاهم حيخلصوا.. الواد شعبان مش وحش وحيحطك على راسه.. دا بيشتغل عند جوز اختك يعنى عمره ماحيزعلك.. ياعزيزة.

ونظرت إليه فى هدوء.. هو أيضاً يريدها أن تتزوجه.. حسين يريد كل ما تريده جميلة.. لابد أنه أيضاً سعيد بكل لطمة وصفعة تصفعها جميلة على وجهها.. لا فائدة.. لا فائدة وقالت فى هدوء:

سبنى أفكر.. يالقيت شغلانة يا قبلت الجوازة.. خاضر عشان خاطرك انت.. قوم نام وما تحملش هم..

وقبّل حسين رأسها ونظر إلى سماح فى حزن.. مسكين من ينجب



بنات.. يبقى العمر فى حزن وحيرة..

وعادت عزيزة تنظر إلى سقف الغرفة كأنها تستكمل أفكارها.. جميلة تحاصرها.. جميلة لا تصدق أن محروس استعاد الشقة.. جميلة لا تصدق ما حكته لها عزيزة.. بل اخبرتها أن غضبها منها أكبر إن كان ما حكته صحيحاً.. لأن هذا يعنى أن عزيزة تستحق القتل.. كيف تركته يصورها..

آه محروس.. كيف، علمت أم سعيد بقصتها معه.. وأطلقت عزيزة صرخة مكتومة جريحة.. سعيد مات.. مات ومات معه آخر أمل كان يربطها بالحياة.. ورفعت عزيزة عينيها تنظر إلى سقف غرفتها من جديد وارتطمت عينيها بتلك الحقيبتين التى ملأتهما هى ملابس جديدة.. ولمعت عيناها فى جنون.. يجب أن ترحل من هنا.. لن تبقى أبداً..

لم يعد جسدها يحتمل كف جميلة ولم يعد قلبها يحتمل نحيبها وحزنها.. حتى رأسها لم يعد يحتمل الخوف.. الخوف من أن يعلم حسين الحقيقة.. الخوف من أن يكون هناك أحد غير أم سعيد يعلم قصتها.. لن تبقى.. مازال عندها بضعة آلاف.. ستترك البيت.

جميلة نائمة هى وسماح منذ ساعات وحسين سينام هو الآخر.. سترحل.. لن تبقى معهم.

ونهضت عزيزة عن فراشها لتأخذ كرسياً صغيراً وضعته تحت دولاب ملابسها وأنزلت احدى الحقيبتين.. ستأخذ هذه فقط.. لن تأخذ الأخرى بل هى حتى لا تقوى على فتحها وقبل أن تعود بالمقعد إلى مكانه أحضرت الحقيبة الأخرى.. ستفتحها.. ستنظر بداخلها مرة واحدة وأخيرة قبل أن ترحل..



ووضعت الحقيبة على فراشها وفتحتها وهى تنفض عنها الغبار.. ووقفت تنظر إليها..

كل ما فيها قمصان نوم حمراء من الدانتيل والساتان.. لم ترتد يوماً قميص أحمر مع محروس.. لهذا اشترت كل القمصان حمراء لسعيد ولكن سعيد لن يراها وهى أيضاً لن ترتديها..

عزيزة لن ترتدى يوماً قميصاً أحمر حتى تموت..

وعادت تتحسس قميص الدانتيل الأحمر ودموعها تسقط فى حسرة كبيرة.. أين ستذهب.. لا تعلم ولكنها لن تسأل هذا السؤال مرة أخرى.. لو كانت خرجت يوم طردها محروس من المكتبة لما حدث شىء مما حدث.. ستخرج اليوم.. ستخرج.. لن تسأل أبداً أين تذهب.. معها هذه المرة نقود.. ستبحث عن عمل.. ستفعل أى شىء ولكنها ابداً لن تبقى حتى يعلم حسين الحقيقة.. لن تقتله كما قتلتها جميلة يوماً.

وبقيت عزيزة ساعات أخرى تتحسس قميص الدانتيل الأحمر ونهضت تتأكد من نوم حسين لتعود وتنظر إلى الساعة.. إنها الرابعة صباحاً وارتدت ملابسها السوداء فى هدوء.. مازالت فى حداد على سعيد وستبقى.. وحملت الحقيبة المغلقة وانحنت تقبل كف سماح النائمة ورفعت عينيها إلى السماء تدعو الله أن يحفظ سماح من جبروت جميلة وضعف حسين.. وتسللت عزيزة إلى خارج البيت ووقفت تنظر على البعد إلى بيت أم سعيد فى حزن ثم نكست رأسها ومضت..

وسمعت صوتاً يناديها والتفتت فى ذعر كبير لتجده يركض نحوها حتى وصل إليها وهو يسأل:

إيه يا عزيزة.. رايحة فين وش الفجر كدا؟!



كان يرتدى قميصاً جديداً وبنطلوناً جديداً أيضاً وابتسمت فى حزن قائلة:

سايبة البيت يا سيد.. مش قادرة أعيش فيه.. أمى بتكرهنى وأنا كمان باكرهها.. أنت إيه اللى رجعك فى وش الفجر كدا؟!

ومد يده يحمل عنها حقيبتها قائلاً:

جيت أزور أمى.. طردتنى.. قولتلها جايبلك ألف جنيه خديهم.. طردتنى..

وبعد لحظات عاد سيد يقول:

اسمعى يابت.. أنا صرفت تعويض المرحوم.. نصف مليون تقريباً.. تعالى معايا.. أنا أجرت شقة.. تعالى نعمل دماغ ونشوف حنعمل إيه فى حياتنا.. ملعون أبو الحارة الملعونة دى والله أنا كمان ماداخلها تانى.

وبعد ثوان قليلة قالت عزيزة على استحياء:

سيد.. هى خالتى اتنازلت عن نصيبها؟!

وقال سيد فى تهكم:

عملتلى توكيل رسمى آخد بيه كل حاجة.. بتقول ماتاخدش عوض.. أمال كنا نسيبه للحرامية اللى قتلوه..

وعادت عزيزة تقول فى استحياء أكبر:

لو قلتلك على سكة مية ألف جنيه تسيبهوملى؟!

وقطب سيد حاجبيه.. مازال رأسه يترنح من تأثير البانجو ولا يفهم فقال وهو يهز رأسه:

آه وماله يا حلوة.. إيه دول بقى؟!

وقالت عزيزة:

سعيد الله يرحمه قبل ما يركب العبّارة الملعونة قاللى إن معاه تقريباً



مية ألف جنيه عملهم تحويل على الراجحى بتاع شبرا.

وضحك سيد فى صخب ثم قال وهو ينظر حوله:

وطى صوتك يا أبو السيد.. حلال عليكى نصهم يا عزيزة.. بكرة أروح الراجحى واشوف الإجراءات.

ووقف الاثنان على شارع خلوصى وامسك سيد بيدها قائلاً:

يللا يا عزيزة.. معايا.. طريقنا واحد.

وعاد يكمل:

يابت حيبقى معانا فلوس كتير.. وممكن نشعشع احنا الاتنين ونعملهم ملايين.. طب تصدقى بقى انا ممكن أعملك برنامج فى التليفزيون زى بتاع الولية اللى اسمها سميحة.. بفلوسنا.. مش هى بتعمل برنامج اسمه «حوارات ممنوعة» طيب بكرة اخليكى عزيزة حسين المذيعة واعملك برنامج اسمه «حوارات شخلوعة».. يللا يابت..

وعادت عزيزة تنظر إليه فى خوف.. تذهب معه؟! تحيا معه فى بيته؟! إنه سيد الذى كانت تخشى الاقتراب منه.. إنه سيد شقيق سعيد.. ونكست رأسها.. سعيد لم يعد هنا ولا هى بقى عندها ما تخاف عليه..

وعاد صوت سيد يفيقها قائلاً:

شوفى بقى.. خدى الحكمة من فُم سيد عبدالصمد بتكرهى أمك وأنا أمى بتكرهنى.. اللى امهاتهم مش بيحبوهم ويداروا عليهم مالهمش غير السكة دى.. طريقهم بيبقى واحد.

ونكست عزيزة رأسها وتركت كفها لسيد وسارت إلى جواره فى صمت..

من له أم تحبه.. من له أب يحميه هو فقط من لا يضل طريقه وإن



ضل يعود إليهم ليأخذوا بيده من جديد.. حب الوالدين وحمايتهم يعيده إلى الصواب.. ولكن من كان مثلها ومثل سيد لا طريق أمامهم سوى الضياع.

سيد على حق.. طريقهما واحدا

■■■



أغلقت سميحة دياب باب سيارتها بعد أن وجدت لها مكاناً بداخل نادى الجزيرة وحملت أمل على ذراعها لتقبلها ثم استدارت تنظر نحو منى قائلة:

خدى أمل يامنى خليها تركب العجلة بتاعتها وتلعب شوية فى البيبى جاردن.. أنا حالف التراك.. لو فيه حاجة اطلبينى على الموبايل.

ومضت أمل على دراجتها وخلفها منى.. وعبرت سميحة الطريق وهى تتلفت حولها بحثا عن أحمد زهدى.. لقد طلبت منه الحضور إلى لقائها ليتريضا معاً فى تراك النادى.

كانت كل الأعين تنظر إليها.. البعض يلقى عليها التحية والبعض ينظر ولا يتحدث.. لكن الجميع كان يقف بعينيه على وجهها.

كانت ترتدى تريننج سوت وردية من نايك ويظهر من خلف الجاكيت بولو نيك وردي اللون.. حتى حذائها الرياضى الوردى كان أيضاً من نايك.. شعرها البندقى الغزير كان مرفوعاً فوق رأسها فى بساطة.. ورائحة عطرها كانت تفوح حولها.. كانت جميلة هادئة ورآته يلوح لها وأسرعت إليه بخطاها لتقول:

هاى يا أحمد.. تيجى نمشى الأول وبعدين نقعد نشرب حاجة..

ودخلا معاً إلى التراك وسألها عن نوال وعن علاء وفى هدوء وصفاء أجابت:

ماما وأنكل طاهر جايين كمان شوية.. اتفقنا نمشى سوا فى التراك كلنا.. علاء سافر دبى وكلمنى من هناك.. المهم أنا.. أنا يا أحمد.. أنا كمان عايزة أرتاح.. عايزة قلبى يتنفس..

ومضى أحمد زهدى يخطو إلى جوارها وهو يحاول أن يجد مواضيع أكثر مرحاً يتحدث فيها لكن سميحة قاطعته فجأة لتقول:



أحمد.. آخر مرة مشيت فيها فى التراك دا مع بابا قاللى إن الحياة تراك مستحيل تمشى فيه لوحدك.. عنده حق بس لو الحياة تراك مستحيل تمشى فيه لوحدك.. الجحيم كمان هو أنك تمشى فيه مع حد مختلف عنك.. حد مضطر تمسك ايده وتصاحبه ومافيش حاجة مشتركة بينكم.. أنا عشت الجحيم دا وعايزة أعيش الحياة.. عايزة أكمل التراك معاك..

وهدأت خطوات زهدى لينظر إليها فى حيرة ثم قال:

أنا دايما معاكى..

وبلا تردد ودون أن تفكر سميحة فى كل الأعين التى تعرفها وتنظر إليها.. مدت سميحة كفها لتمسك بكف أحمد بين أصابعها وقالت:

أنا بحبك يا أحمد.. من أول يوم اشتغلنا فيه مع بعض فى الإذاعة وأنا بحبك.. يوم ما كلمتك عشان أقولك انى حاتجوز علاء كنت طالباك عشان أقولك انى بحبك.. حكاية طويلة وعقدة كبيرة ومن حقك تعرفها.. بس اللى عايزاك تعرفه دلوقتى انى بحبك من زمان..

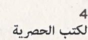
وضغط أحمد على كفها فى حنان ثم قال من خلف دمعة رقصت فى عينيه:

سميحة.. سميحة

وقاطعته قائلاً:

أنكل طاهر قاللى إن اللى فاضل فى العمر لحظات مانعرفش عددها ولا نعرف ممكن تخلص امتى.. مش عايزة أموت من غير ما تعرف انى بحبك..

وعاد أحمد يضغط كفها أكثر وقبل أن يقول كلمة عادت سميحة تكمل:



تقبل لما الأمور تستقر إن شاء الله.. تقبل تتجوز واحدة مطلقة وعندها بنت.. عندها أمل ونفسها يكون عندها هنّا..

ولم يستطع أحمد أن يقاوم وقف ينظر إليها وهو يقاوم رغبته فى أن يضمها ويقبّلها.. إنه يخشى عليها نظرات الناس وأحاديثهم.. الجميع يعلم أنها مطلقة.. الجميع يعلم ويذكر ما كتب عنهما.. لن يسمح لمخلوق أن يمس سميحة بكلمة.. إلا أنها نظرت إليه بعينيها الجميلتين وقالت:

مش أنت اللى سميت أمل ونفسك فى بنت تانية اسمها هنا..

وأحاط أحمد كتفيها بذراعيه ليعاود معها السير قائلاً:

نجيب منصور.. الهنا الحقيقى إن احنا نكمل التراك مع بعض زى الدكتور منصور ما قال.

ومالت سميحة برأسها على كتفه وهى تخطو والأعين ترقبهما ثم رفعت عينيها إلى السماء لترى وجه منصور دياب على احدى سحاباتها.. رأته يبتسم ويلوح لها من بعيد.. لم يخلف دياب وعده إنه حولها.. معها.. فى قلبها.. لم يهدأ حتى يراها تسير فى تراك الحياة مع قلب يحبها كما أحبها هو دوماً!!

■ ■ ■



إصدارات أخرى

1 - ديوان «وعادت سندريلا حافية القدمين».

2 - رواية «الحرمان الكبير».

e-mail: noor4corners@yahoo.com



نساء.. ولكن!!

أؤمن أن المرأة تتحول في مرحلة ما لتصبح جنسًا ثالثًا لا هو رجل ولا هو امرأة ..

جنس أكثر رحمةً وصفحًا وعطاءً ...

يزهد الكثير مما يلهث وراءه الجنس الأول و الثاني من البشر...رائع حقًا أن تصبح من الجنس الثالث لكنه صعب... صعب جدًا !!

***

يجب أن ننسى..هناك خناجر يجب أن تبقى مغمدة في جراحها لأننا إن حاولنا تحريكها نموت ... الألم ليس وحده طريق الحكمة ... الحب الصادق طريق آخر لها !! وكلاهما خنجر في الضلوع !!



نور عبد المجيد شاعرة وروائية شغلت منصب مدير تحرير مجلة "مدى". وظهر لها في الشعر ديوان "وعادت سندريلا حافية القدمين". وفي الرواية: "أريد رجلاً"، و"أنا شهيرة"، و"أنا الخائن" ..وروايات أخرى.





الدار المصرية اللبنانية

نور عبد المجيد

نساء ولكن

الدار المصرية اللبنانية